

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(شعر عبد السلام هاشم حافظ - دراسة وتحليل)

عبد السلام هاشم حافظ أديب يلحق بجيل الرواد ، شارك بجهد في النهضة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية إبداعاً وتأليفاً . وأقيمت الدراسة حول خصائص شعره ومميزاته ، فقد نظم الشاعر في شتى الموضوعات الذاتية والتأملية والاجتماعية والوطنية ، كما نظم القصة الشعرية والمسرحية الشعرية . وقد حددت الدراسة ملامح شعره ، وركزت على دراسته دراسة مرتبطة بنفسيته في المقام الأول ، بما تلمسته في شعره من خصائص ذاتية مغرقة في الخصوصية والفردية ، وتتبع تقلبات نفسية الشاعر وأثرها في نتاجه الشعري ، ولم تغفل الدراسة عن دور البيئة والثقافة والأسفار في تطلعاته وتوجهاته الفنية .

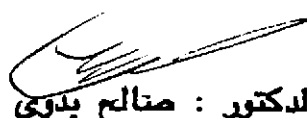
وقسمت الدراسة إلى ثمانية فصول بحسب موضوعات شعره ، فتناول الفصل الأول حديث الذات الذي يصور العوامل النفسية والاجتماعية والجسدية التي تصافرت على الشاعر فكانت شخصيته وتوجهاته الفنية . وتتبع الفصل الثاني المرأة في حياة الشاعر ومدى اهتمامه بها ويقضايها وكثرة شعر الغزل عنده . كما جاء الفصل الثالث عن التأملات وصلتها بنفسيته . وتناول الفصل الرابع شعر المناسبات الاجتماعية سواء الأسرية الخاصة بأسرة الشاعر التي تبين منها مدى حرصه على ترجمة آمالها وآلامها ، أو شعر المناسبات العامة من مدح وثناء واخوانيات . وتتبع الفصل الخامس الشعر الوطني ، وقسم إلى قسمين خاص وعام وما يدخل تحته من قضايا الأمة ومشكلاتها . وخصص الفصل السادس لشعره الديني ومدى صلته وسريانه في أكثر شعره . ويشمل الفصل السابع القصة الشعرية والمسرحية الشعرية والتي كشفت عن وجه آخر من أوجه التعبير يتصل بذات الشاعر . أما الفصل الثامن والأخير فخصص للدراسة الفنية ، والتي كشفت عن خصائص شعره الوثيق الصلة بنفسيته ، حتى في النبذة المقدمة عن السيرة الشعرية له اتبع البحث طريقة سرد نماذج من شعره لبيان تلك الصورة الخاصة بالشاعر . وقد سار البحث على المنهج المتكامل الذي يبين عن الخصائص الشخصية والأدبية . وظهر شيوع تقلبات نفسه المتألمة ، وأن حالات الشقاء والشكوى ونبرة الحزن طاغية ، اتسم بها أكثر شعره .

عميد الكلية



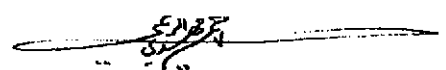
الدكتور : سعد بن حمدان الغامدي

المشرف



الدكتور : صالح بدوي

الباحثة



رحمة مهدي الريمي

شكر وتقدير

الحمد لله القائل في محكم تنزيله :

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

إلى كل من أسهم في إخراج هذا العمل المتواضع بمجهود أو
تقديم معونة أو عرض فكرة أو إعارة كتاب ...

إلى أولئك أجمع أقدم شكري وتقديري وامتناني .. وأخص
بالشكر والامتنان ، والديّ وزوجي الذين عكفوا معي على إنهاء
إخراج هذه الرسالة بالمشاركة الفعّالة والدعوات الصادقات .

وأشكر أستاذي المشرف الدكتور : صالح بنوي الذي أفدت من
توجيهاته وارشاداته ومتابعته في إكمال دراستي .

كما أتوجه إلى الله بالدعاء وطلب المغفرة للدكتور : عمر الفاروق
المشرف السابق على الدراسة ، راجية من الله تعالى أن يتغمده
بواسع رحمته ، لما أسداه لي من آراء سديدة في بداية دراستي ،
ووضع اللبنة الأولى لهذه الدراسة ، وبما أشاره إليّ من إشارات
هامّة أفدت منها في إكمال دراستي .

فجزى الله الجميع عني وعن العلم خير الجزاء

الباحثة



المقطعة

المقدمة

ترجع فكرة دراسة الأدب السعودي ، والتعرف على خصائصه عندي إلى عهد بداية الدراسة الجامعية ، وظلت هذه الفكرة تشدني اليه في تساؤل عن سبب قلة الدراسات الأكاديمية فيه ، بينما مايزال محتاجاً للدراسة ، للتعرف بمعاله وأعلامه .

ومن هذا المنطلق ، كان أمامي أن أختار أحد رجالته الكثيرين ، من الذين قامت على أيديهم نهضة الأدب والشعر ، ألا وهو الشاعر عبدالسلام هاشم حافظ . ولم تقم الدراسة على أساس النظر الى جودة النتاج أو ضعفه ، فذلك حكم مسبق لايعتمد عليه ، لأن الدراسة هي التي تقوم مستوى الأداء ، وإنما أقيمت لإنصاف هذا الرجل الذي غفل عنه الكثيرون وأهمله الدارسون ، وهو الأديب المكثّر ، ومن الرواد الذين أسهموا في نهضة الشعر وتجديده ، وشارك بجهد كبير في الحركة الأدبية والفكرية في البلاد إبداعاً وتآليفاً ، ورغم ذلك قل الحديث عنه في الدراسات التي أقيمت لدراسة الأدب في المملكة العربية السعودية ، وحتى تلك التي تعرضت له ، لم تبين خصائص شعره وملامحه التي قد تأخذ سمة خاصة بين خصائص الشعر عامة ، ولم يقدم أحد الدارسين صورة حقيقية لخصائص شعره .

وفي الاعتقاد أن هذه الدراسة أول ما يكتب في شاعرية عبدالسلام حافظ وخصائص شعره التي لها علاقة قوية بنفسيته . وقد استطاعت أن تحدد لونها خاصاً ، ومذاقاً متميزاً في الشعر السعودي .

وقد يعترض البعض على مبدأ دراسة آثار الأعلام في حياتهم ، بأن المعاصرة قد تجافي الدراسة العلمية المحايدة ، التي يتطلب فيها أن يكون صاحب الأثر متوفياً ، والواقع أن دراسة آثار الأعلام في حياتهم أولى بالاهتمام ، وأدعى الى انتشار هذه الآثار وتطورها ، وذلك لأن الدراسة تعتبر تكريماً لصاحب الأثر في حياته وتشجيعاً له على تقديم المزيد ، ولأنها قد تلقي الضوء على جوانب وآراء نقدية هامة ، قد يفيد منها في تصحيح ماينتجه من آثار قادمة .

أما المصادر الأساسية التي استقيت منها مادة البحث ، فكانت نواوين الشاعر ،

ولايفوتني أن أذكر الصعوبات التي قابلتني في بداية دراستي ، وهي عدم توافر أكثر دواوين الشاعر في المكتبات العامة التجارية ، أو مكتبات الجامعة ، وهي - كما يُعلم - المدد الأول للدراسة ، مما اضطرني إلى أن أطلب من الشاعر نفسه في لقاء لي مع أسرته معظم الدواوين القديمة التي نفذت نسخها من السوق ولم يُعد طبعها ، وقمت بتصويرها جميعاً وردها الى الشاعر ، إضافة إلى أخذ مخطوطة لديوانه الأخير (الأربعون) الذي طبع في آخر سنة للتحضير لهذه الدراسة ، فقمت في المراحل النهائية بتصحيح النسخ والموازنة بين المخطوط والمطبوع وتلافي الأخطاء والنقص الذي أقيمت عليه الدراسة السابقة .

ولقد حاولت هذه الدراسة البحث في دور نفسية الشاعر وتقلباتها ، متمسكة أثر هذه النفسية في نتاجه الشعري ، كاشفة عن لون خاص ومذاق خاص لشعره ، مما هو من خصائص ومميزات هذا الشعر . ولم تغفل الدراسة أثر البيئة والتراث - أيضاً - بما تلمسته من تأثيراتها في تضاعيف شعره ، فكانت الدراسة قائمة على المنهج النفسي التحليلي في المقام الأول ، غير غافلة عن غيره من المناهج التي لاينفصل بعضها عن بعض - غالباً - .

وتقع هذه الدراسة في ثمانية فصول ، عدا المقدمة والخاتمة ، إضافة الى التمهيد نبذة عن الشاعر ، رُسمت فيه صورة حياة لعبدالسلام ، لاترجمة حياة ، من خلال رصد الملامح الخاصة بحياته ، والتي حددت معالم الصورة الخاصة به . ثم عرض البحث لمؤلفاته دلالة على غزارة نتاجه ، مع نبذة مختصرة لهذه المؤلفات تعريفاً بمحتواها . وكانت للشاعر آراء ومفاهيم حول الشعر ، أفرد لها مبحث خاص في التمهيد عن مفهوم الشعر عنده ومدى تطبيقه لهذا المفهوم في شعره هو ، ثم جاء المبحث الرابع في التمهيد حول مصادر ثقافته ، فكانت التراث والبيئة ، وتبين شدة تأثره بالأدب الحديث خاصة .

أما الفصل الأول فتناول الحديث عن شعر الذات ، والذي يصور العوامل النفسية والاجتماعية والجسدية التي تضافرت على الشاعر فكونت شخصيته وتوجهاته الفنية ، ومن ثم خلص من ذلك إلى أمور عدة حددت نزوعه الى المذهب (الرومانتيكي) . وتتبع الفصل الثاني آراء الشاعر في المرأة وشعر الغزل عنده ، وقد تناول الأمور المتعلقة بالمرأة عامة

وقضاياها من وجهة نظر الشاعر ، إضافة إلى الحديث عن عاطفته الخاصة .
وتناول الفصل الثالث موضوع التأملات عند الشاعر ، والتي كانت لصيقه بنفسيته . وجاء
الفصل الرابع عن شعر المناسبات الاجتماعية ، والذي انقسم قسمين ، أولهما : الخاص
بأسرة الشاعر ، وقد أشير فيه إلى مدى اهتمام الشاعر بأسرته وترجمة آمالها وآلامها
شعراً ، والقسم الثاني : شعر المناسبات التقليدية من مدح وثناء واخوانيات ، وكيف كان
ذلك - في الغالب - ألصق بحياته . أما الفصل الخامس فتناول الشعر الوطني ، الذي
انقسم قسمين - أيضاً - ، الوطن الخاص بالشاعر ، والوطن الأم وما يدخل تحته من
قضايا الأمة ومشكلاتها ، بما يكشف عن لون آخر من توجهات الشاعر واهتماماته ، وإن
كان مازال - في أغلبه - في نطاق ذاتيته . والفصل السادس خصص للشعر الديني ،
وصلته بشعره ، مما كشف عن سريان الروح الديني في أكثر شعره . ويشمل الفصل
السابع القصة الشعرية والمسرحية الشعرية ، وفي هذا الفصل تتضح علاقة أداء الشاعر
في هذه الفنون بحياته ، مما يدل على أنها وجه آخر من أوجه التعبير عن الذات لتشكّل
عنده فناً أدبياً قائماً بذاته . أما الفصل الثامن والأخير ، فقد أختص بالدراسة الفنية
لشعر عبدالسلام ، وكيف كان شعره صورة من نفسه وحياته . ثم الخاتمة التي أبرزت
فيها أهم النقاط والنتائج التي توصل إليها البحث .

أما مراجع البحث ، فقد كان جُلُّ الاعتماد على دواوين الشاعر ، فضلاً عن
الاستعانة بالدراسات القليلة التي كتبت عن الشاعر ، والتي كان لها فضل السبق في
دراسة بعض أجزاء من شعره ولم تقم الموافقه مع آرائهم الا بعد تمحيص دقيق ، إضافة
إلى عدة مراجع ومصادر أخرى .

والبحث بعد ذلك مدين بالعرفان لجهود أستاذي المشرف الدكتور / صالح بدوي ،
الذي أولى هذه الرسالة من رعايته الكريمة وتوجيهاته السديدة ما لا يحيط به الشكر
والامتنان ، أمله أن أكون وفقت إلى شيء مما أصبو إليه .

﴿ وبالله التوفيق ﴾



تہذیب

التمهيد

- عبد السلام هاشم حافظ (صورة حياة) : -

تتمثل صورة حياة الشاعر في الأبعاد النفسية والاجتماعية والفكرية ، وأثر ذلك في نتاجه . عامة - وشعره - خاصة . وقد ابتعد البحث عن الطريقة المعهودة من الترجمة لحياة الشاعر والتي تذكر فيها الوقائع والأحداث في حياته مبتدئة بالمولد ومعقبة بالدراسة والسفر والمؤثرات وما إلى ذلك ، بطريقة متعاقبة ، ولاخير في ذلك كله ما لم يُعن بالمرحل النفسية والفكرية والاجتماعية للشاعر وأثرها في العمل الشعري ، فكان على البحث أن يتلمس خصائص هذه الشخصية وأثرها في العمل الشعري ، بحيث تكون خادمة للبحث تلقي الضوء على ما نظمه الشاعر ، ودراسة نفسية الشاعر وفكره بوصفه إنساناً ، لاتنفصل عن دراسته شاعراً ، إذ أن هذه الصورة تمثل الإطار العام لشخصيته .

« فالشخصية - حسب التعريف العلمي للكلمة - هي كل ما يميز إنساناً عن غيره بصفات جسمية أو نفسية معينة ، من حيث الشكل والطول والعرض والجمال والقبح والطيبة والخبث والشجاعة والجبن والذكاء والغباء والكرم والبخل وما يعتور هذا المخلوق من صفات مادية أو معنوية ، ملموسة بالعين أو بالقلب » (١) .

فأبعاد هذه الشخصية بالإضافة إلى العوامل الخارجية كالبيئة والعصر ، هي التي تشكل شخصية الأديب التي صدرت عنها هذه الآثار . وبهذا فالأثر الأدبي يعد « تعبيراً عن شخصيته وسجلاً لتاريخ حياته . . . » (٢) . والسبيل في استقصاء جوانب حياة عبدالسلام ماسطره قلمه حديثاً عن نفسه وشخصه ، على أن كتابة الأديب عن نفسه يدخلها خيال الفنان ، فيختلط فيها الخيال بالواقع ، ولكن سوف نتلمس الحقيقة من الخيال مستدلين بالمعلومات التي أدلى بها الشاعر في حوار دار بينه وبين الباحثة ، ولم

(١) د. مريم البغدادي ، المدخل في دراسة الادب : ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٦ (« السابق » فيما بعد) .

يكن ذلك الا لتقصي الحقيقة بما تفرضه الأمانة العلمية التي تتطلب الدقة في الاستقصاء .
وعبد السلام حافظ شخصية متميزة متفردة ، ملاك هذه الشخصية ، الشكوى
والأنين ، ويحسُّ في شعره الشاكي الحزين ، أنه يعيش حياة مريرة ، فإذا بحث عن
سبب الحزن ، ألفت أسباب كثيرة اعتورته وأثرت في شعره ، أهم تلك الأمور أصابته
بمرض القلب ، يقول الشاعر مبيئاً سبب مرضه هذا :

« ففي العام الذي تخرجت فيه من الابتدائية « من آخر سنة نظام قديم » (١) بل في
نفس اليوم الذي عرفت بنجاحي بتفوق وأنتني السابع على مستوى الملكة مررت على
بيت خالة لي ، فإذا بهذا البيت يضج بالبكاء والإزعاج ، كانت صدمة مفاجئة وقد عرفت
بأن زوج هذه الخالة قد فارق الحياة فجأة ومن يومها شعرت بأول دقات القلب
الضعيفة . . . » (٢) .

وقد أجرى عملية في بوسطن بأمريكا ، كانت الطامة الكبرى ، إذ سببت له الأماً
في العظام والظهر والساق ظلت تلازمه ربحاً من الزمان ، حتى تم فتح صمام القلب أو
توسعته في مصر ، ولكنه مازال مقعداً من أثر العلاج الخاطيء الذي تلقاه في أمريكا ،
وقد كتب بحثاً عنوانه « جريمة الطب الأمريكية » (٣) .

ومع هذا المستوى الذي كان عليه في الدراسة وتفوقه على أئداده ، لم يتح له
الاستمرار ، بسبب عدم قدرته مواصلة الدراسة مما أثر في نفسيته ، يقول : « . . .
ومن هنا كانت البداية . . . فلم يتأت لي أن أسافر إلى مكة المكرمة لمواصلة الدراسة
بتحضير البعثات . . . » (٤) . ومن أجل ذلك تقاعد بطلبه الراحة من وظيفته الحكومية
والتفرغ للأدب . لهذا يظهر في شعره حديث الحرمان والحزن الشامل من منغصات
الحياة .

وقد تميز بروح صبور قنوع بقسمة الله - في العموم - فقد حاول أن يعوض هذا

(١) النظام القديم كان ثلاث سنوات تحضيرية وأربع ابتدائي .

(٢) حكايتي مع الأدب ، جريدة المدينة (الأربعة الأسبوعي) ٢٥ ذي القعدة ١٤١٢ هـ .

(٣) حوار بين الباحث والشاعر .

(٤) حكايتي مع الأدب .

النقص وهذا الشعور بالعجز عن مواصلة الدراسة ، فداوم على الدراسة الذاتية ، أي تثقيف نفسه بنفسه ، فكان يقرأ كل ما يقع بين يديه من كتب في جميع المجالات العلمية والأدبية فتفوق على أنداده ثقافياً ، وما ذلك الا لشدة حبه للقراءة والاطلاع .

يقول معبراً عن تفوقه على أنداده وحبه للقراءة في مقطوعته : « الجبار الصغير » :-

وأراه شباً ينقش العلم الغزير
في صدره المصوم في الفكر الوليد
ويناقش الزملاء في درس القواعد والحساب
وهم يظنون التفاهة فيهما
لكنه بذكائه يغري مشاعرهم ويشرح منهما
سر البلاغة والرياضة للأديب
أو للطبيب وعالم الآثار والمتدينين
(ولكل مجتهد نصيب) (١)

ويقول :-

لكنه من ساعة تمضي إلى أخرى تراه
وقد استبد به كتاب
في الشعر أو في النقد أو علم الحياة
وسراجه يحو ويثبت أسطراً وصحائفاً (٢)

وهكذا ظل الشاعر يقرأ ويثقف نفسه بنفسه حتى استوى على عوده ، وقد ساعده على ذلك الجو العائلي الذي كان يعيش فيه ، فقد ولد عبدالسلام سنة ١٣٤٧ هـ في اليوم السابع من جمادى الأولى بالمدينة المنورة وتوفي أبوه وعمره آنذاك عامٌ واحداً ، فتعهد به برعايته عمه عبدالقادر الذي تزوج بأمه فعاش في بيت عمه وقد تأثر به كثيراً ، فقد كان رجلاً ذا علم وثقافة واستفاد الشاعر من مكتبة أبنائه علي وعثمان حافظ ، يبحث فيها عن كتب التراث فيقرأ بنهم لا يمل من القراءة لساعات طوال :-

ولا أملٌ مدى الساعات أقتلها
نشات نفسي على حب الكتاب وهل
بحثاً .. وأبعثها فيضاً من العبر
أبقى وأجمل من رفاته الزهر (٣)

(١) وحي وقلب والحان : ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) السابق : ص ١١٥ .

(٣) الأربعةون : ص ٢٦ .

وقد عُرفت عائلة حافظ بالعلم والأدب فأبنا عمه عبد القادر ، علي وعثمان أديبان كبيران الأول يكتب شعراً وتثراً والآخر يكتب النثر ، وهما أسسا معاً جريدة المدينة التي صدرت سنة ١٣٥٦ هـ وقد قام ابنا علي حافظ ، هشام ومحمد حافظ بتأسيس جريدة الشرق الأوسط ومطبوعات أخرى . وهكذا ينشأ من آل حافظ هؤلاء الرجال على علم وأدب ومنهم شاعرنا الذي نشأ في هذا الوسط العلمي ، وهي أسرة عرف معظم أفرادها بالطموح والمثابرة ، والاصرار على بلوغ الأهداف المنشودة ، رغم كل العوائق والعراقيل (١) . وقد أشاد بنفسه مفتخراً بقوله :

أنا يامنائي نسيب أشرف لهم في صفحة الأزمان تاريخ الهمم
سادات أجيال توارثنا بهم أسمى المعالي والمعاني والحكم
في النبل والأخلاق أبطال لنا من عفة تسمو إلى عظم الشيم (٢)

ولم تنحصر ثقافته فيما تلقاه في الوسط العائلي فقط ، إنما تلقى العلم في المسجد النبوي ومن مطالعته بمكتبة عارف حكمت ، بالإضافة إلى الكتب الحديثة التي كانت تصل إليه ، يقول الشاعر : « كنت في معتمدية المعارف بالمدينة في عهد الشيخ محمد سعيد . وكنت أعمل معه ، وكان لي زميل وهو الأستاذ أحمد بشناق وآخرون أمثال أحمد رضا حوحو ، ومحمد عالم أفغاني ، وهؤلاء كانت تأتيهم كتب من الخارج سواء من مصر أو لبنان أو سوريا أو تونس أو المغرب . . . الخ وكنت أستلفها منهم أولاً بأول ، وكنت أقرأ كل مايقع بين يدي ، واليوم الذي لا أقرأ فيه لا أعتبره من حياتي » (٣) . رجل يغرم بالكتب بهذه الدرجة لابد وأن تترك أثرها على شعره ولا بد أن تصقله وتنمي موهبته الأدبية . وربما كان من أسباب حزنه الواضح في شعره احساسه بالفقد والحرمان من كل شيء وضرورة تحمل المسؤولية ، ومنها أنه يعتمد على نفسه في التحصيل بالرغم من يتمه ومرضه . بالإضافة إلى تعرضه لأزمة نفسية عاطفية هزت مشاعره وأثرت في نفسيته فأصبحت ذات تميز وفردية ، وهي تعرضه لقصة حب عنيفة صدمته منذ صباه ، فقد التقى بفتاة من بنات جيرته أو - بالأصح - طفلة عمرها تسع سنوات . . كانت مثار تأمله ومصدر الهام وتفجير للطاقة الشعرية لديه، وقد ذاق الحب العذري في سن السابعة عشرة من عمره - وقال فيها شعراً كثيراً ، ولكن الشاعر حين تقدم لخطبتها فوجيء

(١) محمد هاشم رشيد ، مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٥ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) حوار مع الباحثة .

بالرفض من قبل أهلها ، وكان سبب الرفض مرضه وحالته المادية التي كان عليها حينذاك ، بالإضافة إلى أنه في صغره أصيب نتيجة لحقن إبرة في العضل بما يشبه شلل الأطفال بقدمه اليسرى ، ترك بها أثراً واضحاً ، وبهذا أحس شاعرنا بحسرة عنيفة وخيبة أمل شديدة ، أثرت في نفسيته وغيّرت نظرتة للناس وللحياة من حوله (١) .

فكثرت نغمة الحزن والشكوى في شعره ، ولكنه بما أوتي من قوة وصبر صار يتحمل ، بل ويعتد بنفسه وبما منح من استقامة وخلق رفيع ، ولكنه يعبر عن حسرته وألمه ، إذ على الرغم من استقامته وأخلاقه وثقافته ، إلا أنه يبوء بالخسران والرفض :-

وأنا الذي قدمت قربان الهوى روعي الكليم
وضربت عن طرق الشبيبة والدنس
وبرئت من لهو المراهق والحقود
وحصرت نفسي للتكامل بالأدب
وتخذت من كتبي ومكتبي لذاذات الحياة
فسعدت في أحضانها
وأخذت عنها حكمة العقل السليم
وعرفت فيها عبقرية فني السامي النزيه
وفهمت منها فلسفات الخالدين
لكنني مازلت في حبي غريب (٢)

وقد تحدث الشاعر عن قصة هواه في دواوين كثيرة وكان لايتحرج أن يذكر تفاصيلها شاكياً باكياً حظه التعيس مصوراً أهاته وحرمانه بأشد صورة ممكنة (٣) . وهذا التصريح أو الشعر الذاتي المُعلن ، إنما يدل على شخصية فقدت القدرة على المجازاة واحترام العرف وذلك من لوعة الوجد .

وتسعى والدته الشاعر لتزويجه ، بعد مارأت من حاله السيئة ، وتحاول أن تجعله يستقر ويهنأ في بيت الزوجية السعيد ، ولكنه مايزال يحس بألم الخيبة وجروح الآلام ، وقد عبر عن دور أمه ومعاناتها في إخراجها من عزلته وإزالة همومه بقوله :-

والكل نام ..

الا معذبة الفؤاد :

(الأم) في سيجارها تحيي الدجى

(١) انظر ذلك في تأملات في الحياة والناس : ص ١٠٦ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٦٧ .

(٣) انظر تفصيل ذلك في التجربة العاطفية من الرسالة : ص ٦٢ .

وتقول : يا ابني أنت من لحم ودم

أسهرتني حيرتني ..

عذبت نفسك بالألم

أواه لبتك تقبل النصح الجليل

تقدرو توافقني على زوج حنون

تلهيك عن تفكيرك الساهي الحزين

وتلون الدنيا أمامك بالمسرة والجمال

ترعى شئونك . بل تطيب مهجتك

تأنيك بالخلف الكريم ..

وينوب عنك إذا كبرت وينفكك

وتعيش في أمن وفي أمل يغرد للوجود (١)

وقد تزوج الشاعر - فعلاً - وأنجب (الخلف الكريم) ، ولكنه لم يعيش حياة سعيدة ، فقد أصبحت زوجه شديدة الغيرة مما أفسد عليهما العشرة ، عاشا خمسة وعشرين عاماً ثم طلقها .

وتزوج بأخرى ورزق منها ولداً أثناء إقامته بمصر للعلاج ، ولكن زوجته هذه الأخرى تركت ولدها وهاجرت إلى بلدها العراق ، فتربى ابنه (جهاد) عند أناس آخرين ، وقد نظم قصيدة في ابنه يحس فيها بوجع الأب على ابنه الضائع الوحيد ، ليس له أم ترعاه وأبوه مريض اضطره المرض إلى البعد عنه ، يقول في بدايتها :

بعمدي بشهر قد أتى ابني جهاد	في شهر ميلاد لابني الأول
في حملة ومجيئه عارى الوساد	جهدت به نفسي وأشغل خاطري
فكأنني في أمسيات للبعاد	وعلى يدين لغيرنا لقي الرضا
لكنه قدر تصرف بل أراد (٢)	هذي جناية أمه وجنونها

فتزوج بثالثة ورزقه الله بأبناء وهي تعيش معه الآن .

(١) وحي وقلب والحنان : ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) أنوار ذهبية : ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

وقد تحدث الشاعر عن غيرة زوجته الأولى وأم أولاده في عدد من المقطوعات من الشعر الحر بطريقة صريحة (١) ، وكتب بحثاً عنوانه « الغيرة المدمرة في حياة الأسر » ، وهكذا تضافرت على الشاعر عدة أمور نفسية واجتماعية وفكرية وجسدية حددت أبعاد شخصيته ومن ثم حددت توجهاته الفنية ، فأصبح شخصية متفردة أساسها الحزن والشكوى والألم ، ذلك الألم الذي نبع من حياته الخاصة ، والذي أعطى لشعره ميزة واضحة بناها من مجموعة خصيلة معاناته في الحياة ، يذكىها قراءات واسعة .

وكثرة أسفار الشاعر إلى بلاد عربية وأجنبية أتاح له المزيد من الاطلاع والتأثر ، وإن كان سفره - في معظمه التماساً للعلاج - إلا أنه لا يضيع فرصة الحصول على المزيد من الثقافة ، وقد كانت أطول رحلة له في مصر ، حيث مكث فيها أربع سنوات يتلقى العلاج وأجريت له جراحة في القاهرة تكلفت بالنجاح ، بعد أن سافر إلى لندن وإلى ألمانيا مرتين وكانوا يعالجونه على أساس أن به حمى ملاريا مما مكّن الروماتيزم في قلبه، وعكوفه في مصر أربع سنوات أتاح له الالتقاء بجمهرة الأدباء يقول الشاعر : كنت أحضر ندوة نجيب محفوظ في مبنى دار الأوبرا صباح كل جمعة ، وكنت عضواً رسمياً في رابطة الأدب الحديث أقدم شعري وأتعرف على الشعراء من جميع أقطار العالم (٢) . وقد التقى بالعتاد مرة واحدة في ندوته التي تعقد في مصر الجديدة يوم الجمعة أيضاً . ولم يستطع الالتقاء به ثانية لأنه كان يحرص على اللقاء بجمهرة الأدباء في ندوة نجيب محفوظ ، وقد نظم في العتاد قصيدة مديح واعجاب ، وكان يعجب بالرافعي وألف كتاباً عنوانه : (الرافعي ومي) كما أنه كان يعجب بتوفيق الحكيم ، وقد أهداه أحد كتبه القصصية (سمراء الحجازية) . وإذا عرفنا هذا ودرسنا موضوع التأثر لألفينا وجه الصلة بينه وبين بعض الأدباء فقط . فلا تجد أثراً لكل هؤلاء في شعره إلا بما يوافق نفسيته وظروف حياته ، فمثلاً من أكثر الشعراء تأثيراً فيه (الشابي) .

ولم يغفل البحث عن أثر البيئة في شعره وشخصيته ، فالمدينة المنورة أكسبت الشاعر صفاء الروح والوداعة والقناعة ، ويتلمس ذلك كله في شعره ، وبيئته الأسرية التي انشأته على الحياء الشديد والخلق الفاضلة - يقول الشاعر : -

« ... والبيئة المحافظة والتربية الصارمة التي لها كل الفضل في تنشأته على

(١) انظرها في الشاعر والاسرة من الرسالة : ص ١٣٥ .

(٢) حوار الباحثة .

الحياء الشديد والخلق الفاضلة ... » (١) وعندي أن لذلك أثراً نفسياً - أيضاً - ،
فاصابته بالشلل في قدمه جعله يشعر بالخجل والحياء ومن ثم العزلة والانطواء .
كما أنه يتميز بحنان القلب ، فمن يقرأ له شعراً اجتماعياً أو وطنياً يلمس حنانه
وعطفه وتمنيه الخير والصلاح للناس أجمعين ، ويبدو أن مرضى القلب يتصفون بصفة
الحنان والعطف على كونه عاش يتيماً وحيداً ليس له أخوة من أب وأم .
واتماماً لصورة حياة الشاعر أو ظلال من حياته ، يمكن الرجوع إلى قصيدة
الشاعر (الأربعون) من ديوانه (الأربعون) إذ تعتبر صورة شعرية لحياته ، تترجمها
وتصف معاناتها ، وهي وقفة من الشاعر مع النفس ، أو حديث الذكريات حين بلغ
الأربعين من عمره ، فراح يسترجع أحداث الماضي : طفولته ، يتمه ، دراسته ،
اتصال عذابه وآلامه ، رغبته في مقاومه آلامه ، استقطاب العلم ، الشاعر والحب ، أثر
الحب في قلبه وحياته ، انتهاء الحب ، الذكرى في شعره ، مرض قلبه وأثره في اشعال
قدراته الشعرية، زواجه ، احساسه حيال الأربعين ، آماله ، نظرته إلى الحياة ، وختام
الحديث مؤداه أنه قضى هذه الفترة سعيداً تارة وشقيماً أخرى فهو (الشاعر الباسم
المحزون) . وقد بدأها بقوله : -

الأربعون معاناة ومعتصم حديثها الأمس بالتذكار ينسجم

والقصيدة تتكون من تسعة وأربعين بيتاً من بحر البسيط بقافية الميم وأكثر أسلوبها
روائي تقريرى لأنه يعتمد أن يصف دقائق أحداث حياته ومعاناته في الحياة ، فجاءت
الآبيات بهذه الصورة من التقريرية والأسلوب المباشر ، ولكنها تشد القارئ لأنها تصف
بدقة شخصية الشاعر .

* * *

أعماله ومؤلفاته :

عبد السلام هاشم حافظ من أكثر الأدباء السعوديين نتاجاً ، وهو من الرواد الذين
أسهموا في نهضة الشعر وتجديد فنه وتنويع استخداماته ، شارك بجهد كبير في الحركة
الأدبية والفكرية في البلاد ابداعاً وتأليفاً في الشعر والقصة والدراسة والتحقيق والتأليف .
ولقد كان من حرص الشاعر على التدوين والاحتفاظ بكل مافاضت به قريحته أن وصل

انتاجه المطبوع إلى خمسة وثلاثين مؤلفاً مابين شعر ونثر . وسوف نعرض لنبذة موجزة عن مؤلفاته المطبوعة :

- ١ - (سيرة نبي الهدى والرحمة) :- مؤلف عن سيرة الرسول ﷺ ، هجرته وغزواته ، زوجاته . . . شارك به في مسابقة أقامتها رابطة العالم الاسلامي ، وقد نال به الجائزة الخامسة - طبع الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢ - (المدينة المنورة في التاريخ) :- دراسة وثائقية عن تاريخ المدينة المنورة من العصر القديم وحتى العصر الحديث ، وعن بعض أعلام المدينة عبر التاريخ ، بأخذ أكثر من علم في كل قرن في جميع المجالات طبع سنة ١٣٨١ هـ .
- ٣ - (الإمام ابن تيمية) :- تحدث عن سيرته وجهاده ، اشترك به في مسابقة أقامتها وزارة المعارف لأحد ثلاثة أعلام : ابن تيمية ، محمد بن عبد الوهاب ، الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد نال عليه الجائزة الثانية طبع سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٤ - (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية) :- تحقيق وتقديم عن الطب النبوي وفوائده ، طبع سنة ١٣٨٤ هـ .
- ٥ - (الصيام عبر التاريخ) :- دراسة تاريخية عما ورد عن الصيام عند الأمم السابقة والصيام في الإسلام طبع سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٦ - (ثورة الجزيرة) :- مؤلف عن تطور المملكة ، مقارنة بين القديم والحديث وصور من الحياة الاجتماعية في الحجاز : مكة والمدينة ، طبع سنة ١٣٧٣ هـ .
- ٧ - (الرافعي ومي) :- دراسة أدبية ، ولحة عن علاقة الرافعي بمي زيادة ، نشر له سنة ١٣٨٤ هـ .
- ٨ - (نحو مجتمع أفضل) :- مجموعة مقالات اجتماعية متنوعة ، كانت تنشر له في الجرائد المحلية ، مثل : المدينة والبلاد والندوة . طبع سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٩ - (رمضان والناس) :- مجموعة مقالات عن رمضان كانت تنشر له في جريدة المدينة المنورة ، وسلسلة حلقات في برنامج اذاعي ، نشر سنة ١٤٠٥ هـ .

١٠ - (كتب وأعلام) الجزء الأول من سلسلة (نحو الغد) : مقالات عن كتب وشخصيات أدبية وعلمية كانت تنشر في المدينة والندوة ، نشر سنة ١٤١٢ هـ .

١١ - (من ثمرات الكتب بين النقد والتحليل) الجزء الأول من سلسلة (في محراب الفكر) : بعض النقد والتحليل لمقالات ودواوين بعض الأدباء والشعراء . طبع سنة ١٤٠٤ هـ .

١٢ - (سمراء الحجازية) : - قصة نثرية اجتماعية طويلة طبعت سنة ١٣٧٨ هـ .

١٣ - (العذراء السجينة) : - شعر وقصة ، قصة عاطفية طويلة طبعت سنة ١٣٧٤ هـ .

١٤ - (فاطمة وقصص أخرى) : - قصص عاطفية محلية من بيئة الحجاز (المدينة) طبعت سنة ١٣٨٣ هـ .

١٥ - (قلوب كريمة) : - كالسابق ، طبعت سنة ١٣٧٤ هـ .

١٦ - (حواء عارية) : - دراسة تحليلية نقدية ، تندد بالعري في المجتمعات المتكشفة ، وأثر التحرر في المجتمع ، كتبه في مصر سنة ١٣٨٣ هـ .

١٧ - (اهرب من المرأة) : - قصص من البيئة المصرية ، تصف العلاقات الاجتماعية غير المشروعة ، وتدعو إلى الفضيلة . كتبها في مصر سنة ١٣٨٥ هـ .

١٨ - (تلميذتي) : - شعر وقصة ، وهي قصة عاطفية طويلة طبعت سنة ١٣٨٨ هـ . هذا إضافة إلى دواوينه التي بلغت ستة عشر ديواناً ، وهناك آخر تحت الطبع عنوانه : « وقودها الناس والحجارة » . وآخر مفقود تماماً حتى عند الشاعر نفسه وهو ديوان (عودة الفيضان) .

وهذه الدواوين هي : -

١ - (مذبج الاشواق) : صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٧١ هـ . ويتضمن أربعة أناشيد طويلة « كما يسميها الشاعر » وهي : (نبوءة الشاعر) تأخذ سمة القصة في تسلسل أحداث قصة الشاعر . وهناك ثلاث مقطوعات من الشعر الحر هن : (فلسفة الحب والألم) ، (بين الأمس .. والغد المجهول) ، (الأمل الغارب) ، وقد صدره بكلمة ، كما ختمه الأديب فهمي عويس بكلمة تقدير .

٢ - (راهب الفكر) : عبارة عن مطولة من شعر المقطعات ، متنوعة الأغراض يتميز بكثرة التصوير واللغة الشاعرة . طبع لأول مرة سنة ١٣٧٤ هـ .

- ٣ - (صواريخ ضد الظلم والاستعمار) طبع سنة ١٣٧٦ هـ ، يشتمل على سبع عشرة منظومة مابين قصيدة ومقطعية . عالج فيه قضايا الأمة ومشكلاتها . وقدم له بمقدمة قصيرة يتحدث فيها عن قوى الاستعمار وأثرها في نفوس المسلمين ، ويدعو فيها للجهاد ضده . كما أهداه إلى أبطال بور سعيد وشهدائها ، وهو نقله من الوجدانية إلى الواقعية .
- ٤ - (أضواء ونغم) : طبع سنة ١٣٨٢ هـ . صدره بأربعة أبيات ، وقدم له الدكتور: محمد مندور ويبدأ بمسرحية شعرية عنوانها : « أضواء على المجهول » . ويضم الديوان واحداً وثلاثين قطعة ، وهو من أكثر الدواوين تنوعاً في الموضوعات ومن أكثره احتواءً للموضوعات التقليدية .
- ٥ - (الفجر الراقص) : طبع سنة ١٣٨٣ هـ . وصدره الشاعر أحمد رامي بتحية شعرية لعبد السلام أشار فيها إلى ما احتواه الديوان من موضوعات وأغراض شعرية ، ويحوي رباعيات « الشاعر والحياة » والقصة الشعرية ، كما أنه يمتاز بكثرة (الغزل) .
- وقد طبعت هذه الدواوين المتقدمة سنة ١٤٠٤ هـ تحت إسم « الأعمال الشعرية الكاملة » الجزء الأول منها ، الطبعة الأولى . وهي من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .
- ٦ - (وحي الهاجرة) : - ديوان يحوي ستاً وثلاثين قطعة وقصيدة نظمت مابين سنة ١٣٦٤ إلى سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٧ - (قلبي المناضل) : - ديوان يحوي اثنتي عشرة قطعة ، ومسرحية « صخور العذاب » نظمتها مابين سنة ١٣٦٨ هـ إلى سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٨ - (ألحان الأمل) : - يحتوي على تسع وعشرين قطعة وقصيدة ، وقصة شعرية ، قيلت مابين سنة ١٣٦٦ إلى سنة ١٣٧٣ هـ .
- وقد جمع الدواوين الثلاثة في ديوان واحد أسماه « وحي وقلب وألحان » طبع سنة ١٣٨٥ هـ . وهو من مطبوعات نادي أبها الأدبي .
- ٩ - (ترانيم الصباح) : - طبع سنة ١٤٠٠ هـ ، يحوي أربعاً وعشرين قطعة وقصيدة وقصة شعرية وهو من الدواوين المتنوعة الأغراض . ومن مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

- ١٠ - (أنوار ذهبية) : - يضم خمساً وعشرين قصيدة ومقطوعة ، قدّم له بتعريف بين فيه سبب تسميته ، ويضم الأوبريت « هروب من الجحيم » وهو من مطبوعات نادي القصيم الأدبي / بريدة . طبع سنة ١٣٨٧ هـ .
- ١١ - (سمراء) : - « مأساة شعرية » - كما سماها الشاعر - طبعت سنة ١٣٩٦ هـ ، تتكون من اثنتين وعشرين قصيدة ومقطوعة ، وهي عبارة عن قصة شبه متكاملة الجوانب ربط بين مقطوعاتها وقصائدها برباط قصصي .
- ١٢ - (عبير الشرق) : - طبع سنة ١٣٩٧ هـ ، ويضم قطعاً وطنية ، وبعض الأغراض التقليدية يحتوي على واحد وعشرين قطعة .
- ١٣ - (أغنيات الدم والسلام) : - طبع سنة ١٣٩٠ هـ ، أيضاً وطنيات صدرّ له بمقدمة تحدث فيها عن دور الشعر في أشعال الهمم ، وعدد قطعة وقصائده واحد وعشرون .
- ١٤ - (الأربعون) : - أحدث ديوان طبع سنة ١٤١٢ هـ . وهو من أكثر الدواوين تنوعاً في الأغراض الشعرية ، وتبلغ عدد منظوماته ستاً وخمسين قصيدة ومقطوعة ، وفيه قصتان شعريتان وتكثر فيه الأغراض التقليدية وشعر الأسرة .
- ١٥ - (كلمات حب إلى المدينة المنورة) : - ٣٠ صفحة يحتوي على ثلاث وعشرين قطعة شعرية تساعية تتحدث عن حبه المدينة المنورة ومكانتها الدينية والاجتماعية . طبع سنة ١٤٠٠ هـ من مطبوعات نادي الطائف الأدبي .
- هذا وقد دخلت هذه الدواوين ضمن الدراسة عدا ديوانه المفقود (عودة الفيضان) . وقد ضمّت إلى الدراسة قصته (تلميذتي) وهي قصة وشعر ، أولاً لأنها تمثل قصة للشاعر حقيقية وثانياً لدراسة هذا النوع من الخلط بين القصة والشعر .
- وقد اكتفى البحث بها بما يعوض عن دراسة مؤلفه الآخر (العذراء السجينة) .

* * *

- مفهوم الشعر عنده : -

ليس القصد من هذا العنوان ما عني الشاعر بالافصح عنه في ثنايا شعره ، فلهذا موضعه من الدراسة حين العرض لتأملاته في الحياة والناس والحب والشعر والشعراء ، وهو ماشاع في أكثر دواوينه . إنما القصد هنا الكشف عن آراء الشاعر من خلال وصف

الحقائق الخاصة بالشعر ومدى ما أفاده أو طبقه في شعره هو . وسوف يعتمد البحث على مقالتين له في كتابه (من ثمرات الكتب بين النقد والتحليل) الجزء الأول من سلسلة (محراب الفكر) الأولى نقد لديوان (وراء السراب) لمحمد هاشم رشيد ، والثانية نقد لديوان (جرح الإباء) للشاعر أحمد فرح عقيلان ، مع قليل من الآراء الأخرى التي عرض لها في الكتاب . وفي اعتقادي أن هاتين المقالتين تكشف عن تصور لمفهوم الشعر ، وتدل على موقفه النقدي ، كما تكشف عن جانب مهم ، ذلك هو التزام الشاعر بتلك الآراء في شعره - في أكثر الأحيان - .

ففي مقدمته لديوان (جرح الإباء) يوافق الشاعر أحمد فرح عقيلان بمبدأه في نظم الشعر والذي يقوم على خلوه من الشعر المنثور والتخلص من المديح ، والتزامه بلغة الضاد ، وسهولة الأداء ، ولكنه يضيف إلى ذلك أموراً أخرى يقول :

« ولعل من واجب الشاعر المسلم هذا الالتزام الواضح ، وإن كان لا يمنع وهو يبدع في تصوير مشاعره وتجاربه من أن يستخدم الرمز أو التعبير الحالم كلون من الانطلاق كما فعلته الحركة الرومانسية في الشعر منذ قرابة نصف قرن ، على أن مثل هذه الحركة لا يخلو منها التراث الشعري لكثير من شعرائنا العرب القدامى » (١) .

كما أنه يرى الالتزام باللغة العربية الفصحى الأصيلة ، يقول راداً على من هاجموا الشاعر أحمد فرح عقيلان :

« ... ومن عجب أن يجد ذلك الكلام الساخط وأساليب المفلسين مجالاً وهم يتناولون على ما لا يمكن أن يأتوا بمثله ، وحسبهم من الواقع الأدبي أنهم بتصديهم لقيم تراثهم ولغتهم إنما يكشفون عن ضحالة زاهم وضيق مفاهيمهم » (٢) .

وفي تعليقه على ديوان (وراء السراب) يتحدث عن فن الشعر ومميزاته فيقول :

« وشعرنا اليوم يمتاز بفن التأمل وروح اليقظة وعمق الفكرة في شيء من حرية الأداء والانطلاق مع الطبيعة المرحية والخيال السامي ... » (٣) .

ويرى الطبيعة مسرحاً لخواطر الشعراء ، تسبح مشاعرهم فيها ، وتعبُ نفوسهم

(١) من ثمرات الكتب : ص ١١٧ .

(٢) السابق نفسه : ص ١١٨ .

(٣) السابق : ص ٨٥ .

من نبع جمالها ، وترتل القلوب أنغام الوجود الحزين (١) .

يقول : « هنا يلتمس الشعراء متنفساً لخواطرهم وضبائهم وأحلامهم .. يأخذون بفن التجديد .. يأملون ويمارسون الرفعة بهذا الفن حتى ليتدرج البعض وهو يحوم بخياله إلى ما وراء الحقيقة إلى أن تتقمص مشاعره روح الشفافية الرفيعة فإذا به يعبر في تحرر مشرف ويرسل بأنغامه السيريايزمية عفو خاطر دون تقيد أو شروط . هذا التحرر أو قل الانطلاق هو الذي أكسب مكتبتنا العربية ألواناً فنية جديدة ... » (٢) .

ويقول : « وهو في قصائد ديوانه هذا يتمشى مع مذاهب التجديد التي تتكون لها اليوم مدارسها الخاصة ، فيبدع في التصوير والانطلاق والتخيل .. سواء عالج الرمزية وتعمق فيها أم نحا بفنه إلى الرومانتيكية وردد ألحانه العذاب في غير تكلف أو افتعال .. » (٣) .

أما عن نوع الشعر الحديث فيقول : « وإنني إذ أوافق الأستاذ الخفاجي وأبو(٤) مدين وغيرهما في رأيهم عن الشعر الحر والمنتثور بأنهما خروج عن المؤلف الشعري بل إنهما إنحراف عن موسيقية الألفاظ ونغم التعبير ... أجل حين أوافقهم .. ككل مفكر واع على أن الشعر الحر والمنتثور بدعة غير مرغوبة وزائلة دون تقدير ، أجدني مخالفهم في الرأي عن الشعر المرسل وبعض المذاهب التجديدية الواعية ... فالشعر المرسل شعر سليم يصقله الوزن ورتابة النغم .. وهو متعدد القوافي .. وللشطرة تقصر تفاعيله وتطول (٥) . بين الواحدة إلى الخمسة .. وهو يتساوى في الفضل والقوة بالشعر الثابت التفاعيل والقافية ولافارق بينهما .. إذ أن الميزة في ثبوت القافية والتفاعيل تقابلها في الشعر المرسل (الانطلاق) » (٦) .

وحديثه عن الشعر المرسل هنا ينطبق على كثير من مقومات الشعر الحر اليوم .

والآن بعد عرض آرائه نقف عند مدى التزامه بها : فقد حث على استخدام الرمز ، والتعبير الحالم ، وحدد سمات الشعر ومميزاته : فن التأمل ، عمق الفكرة ، حرية الأداء

(١) من ثمرات الكتب : ص ٨٥ .

(٢) السابق نفسه : ص ٨٦ .

(٣) السابق : ص ٨٧ .

(٤) الصحيح (أبا) (٥٠٠) .

(٥) لعله يقصد (وللشطرة أن تقصر تفاعيلها أو تطول) .

(٦) السابق : ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

والانطلاق ، الخيال السامي .

ويتطبيق هذا في شعره يتضح أخذه بأكثره ، فقد استخدم الرمز فجعل الطبيعة مجرد رموز لمشاعره وأحاسيسه ، ولم يستخدم الغموض أو التعمية وإنما هو رمز مألوف عند عامة الشعراء ، كما أنه أكثر من التأمل ، وسرح بخياله السامي في أجواء بعيدة من التعبير عن المشاعر ، وقد كان أدائه في أكثره منطلقاً في حرية تامة وفي عفو خاطر دون تقيد أو شروط - كما رأى - .

كما أنه نظم باللغة العربية الفصحى ولم يكن في شعره عامي أو ابتذال في اللفظ .
وقد استخدم التعبير الحالم في خصوصياته ، وجعل من شعره ترجماناً لحياته وصورة لخصوصياته .

كما أنه مزج معاناته ومعاناة الآخرين معاً جاعلاً الشعر خادماً لذاتيته ولأمتة وبهذا فالشعر وسيلة ورسالة لديه . وذلك ما رآه في أحمد فرح عقيلان . وقد عبر عن دور الشعر في انكفاء الشعور واشعال الهمم ، وجعل الكلمة ناراً تحرق وجدان الغاصب (١) .
أما عن الشعر الحديث ورأيه فيه ، فهو يسمي الشعر الحر بالمرسل على ما جاء به في فترة من الفترات .

أما هو فقد أخذ بالشعر الحر الذي يلتزم وحدة الوزن دون القافية ، ولم ينظم في المنثور لأنه - كما يقول - : لم يثبت على أرض صلبة .

* * *

- تأثره ومصادر ثقافته الشعرية : -

يدل تنوع أو تعدد الفنون الأدبية التي طرقها الشاعر من شعر وقصة ودراسة أدبية ودينية على إلمامه بثقافة واسعة في القديم والحديث ، فهو يقرأ كل ما يقع بين يديه من كتب ودواوين قديمها وحديثها العربي منها والمترجم على السواء ، فنتج عنه كم غزير من الشعر والقصة والبحوث والدراسات المختلفة ، وسوف يركز البحث على ثقافته الشعرية ، إذ ترجع مصادر ثقافته الشعرية إلى العصر الجاهلي وما بعده . وإنه جمعاً لقضية التأثر في موضع واحد فإن الباحثة ضمنت هذا المبحث شيئاً مما لحظته من تأثره ببعض الشعراء القدامى والمحدثين . فقد اقتبس الشاعر بعض أبيات متفرقة من شعراء جاهليين وأمويين

(١) انظر مقدمة ديوانه (أغنيات الدم والسلام) : ص ٦ - ٢٠ .

وعباسيين ، كما صدرٌ بعض دواوينه أو بعض مقطوعاته المطولة ببعضها . كما في ديوانه (مذبج الأشواق) . فقد صدر المقطوعة الأولى فيه ببيت للعباس بن الأحنف . وصدرٌ الثانية ببيت للحسن بن أسد الفارقي ، وبيت لأبي تمام ، كما صدرٌ الثالثة ببيت لقيس بن الملوح ، وبيت لعنترة بن شداد ، وهكذا .

هذه الأبيات في معظمها أبيات غزل وعشق وهي تناسب مضمون مقطوعاته تلك . وقد جاء هذا التأثر من مدخور الذاكرة وأثرٌ في شكل بعض شعره وفكره وصوره ، وقد أشار محمد العيد الخطراوي في مقدمته لديوان (ترانيم الصباح) إلى العلاقة العروضية بينه وبين الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص والشاعر العباسي أبي العتاهية ، ولكنه لم يثبت هذه العلاقة بالأمثلة ، ولعله يقصد ميل الشاعر إلى البحور المجزوءة الخفيفة ، أو ميله إلى التصريح وتنويع القافية ، وربما أشار إلى ما في بعض شعره من كسر في الوزن أو خروج عليه . إلا أن هذه المزايا في معظمها مزايا شعراء الرومانتيكية متمثلة في شعراء أبولو وأدب المهجر .

وتأثر الشاعر بالقديم لا يقتصر على أخذ نماذج من أبيات بل اقتباسه منها كقوله :

قد كان صوتك يا جميلة أسري والأذن تعشق قبل عين شاعره (١)

فهو مأخوذ من بيت بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا (٢)

وقوله : هي العيون التي قد قتلت مهجاً فينا وأضفت على الاحساس تبياناً (٣)

مأخوذ من بيت جرير المشهور :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا (٤)

وقوله : إني لأصدق في قولي وتسمعني أذن الوجود وحسنائي لفي صمم (٥)

(١) الأريعون : ص ٧٩ .

(٢) ديوان بشار ، تحقيق : السيد محمد الطاهر بن عاشور : ص ٣١ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٢٨١ .

(٤) ديوان جرير : ص ٤٩٢ .

(٥) وحي وقلب والحنان : ص ٢٨ .

مأخوذ من قصيدة المتنبي (واحر قلباه) من قوله فيها :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمنت كلماتي من به صمم (١)
مامضى كان شرحاً لمجارة الشاعر للقديم على صعيد البيت الواحد ، وهو أمر
مألوف لدى كثير من الشعراء . أما المعارضة على صعيد القصيدة فقليل عنده ، كما
في قصيدته في مدح النبي ﷺ (أهدي السلام إلى الهادي) والتي جرى فيها برده
اليوصيري ونهج البردة لشوقي وزناً وقافية وفكرة والتي بدأها بقوله :

ياجارة الحي رد الطرف عن حرمي حسبي رؤاك غرير القلب والحلم (٢)

وقد يجلب بيتاً من شعر غيره ويتخذه الحجر الأساس أو الركيزة الأولى في بنية
هيكل قصيدته ، وقد تتفق وزناً وقافية فتكون من نوع المعارضة . وقد لا تتفق ، ومن ذلك
قصيدته : (أما لهذا الليل من آخر) والتي جعل ركيزة القصيدة بيت المتنبي :

عيد بأية عيد عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد (٣)

ثم مضى الشاعر في نظم قصيدته التي بدأها بقوله :

قد عيد الناس الامهجة هزئت من مطلع العيد حاجتها الأناشيد (٤)

وتبدو الحالة النفسية واحدة في القصيدتين ، إذ بيدوان حزينين الأول من كافور
الأخشيدي وقد هجاه بهذه الأبيات ، والآخر مما حل بأرض القدس والمسلمين ، فلم يعد
أحدهما يشعر بطعم العيد أو الفرحة .

ومثل ذلك قصيدته (كيف يصنع) التي أسسها من بيت للأصمعي يقول :

أيا معشر الأحباب بالله خبروا إذا ضاق عشق بالفتى كيف يصنع ؟

فنظم الشاعر القصيدة مجيباً على تساؤل هذا البيت الا أنها تختلف وزناً وقافية ،

بادئاً بقوله :
ياصاح تسألني بأسرار المحال ماذا سيصنع عاشق ذاق الوبال (٥)

(١) البرقوقي ، شرح ديوان المتنبي : ج ٤ ، ص ٨٠ .

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٢٥٠ (والصحيح في كلمة « رد » إثبات الياء) .

(٣) شرح ديوان المتنبي : ص ج ١٣٩ ، ٢ .

(٤) أغنيات الدم والسلام : ص ١١٢ .

(٥) وحي وقلب والحنان : ص ٢١٨ .

وبعد هذا الحديث عن ثقافة الشاعر وتأثره بالأدب القديم ، يجدر القول أن الشاعر كان أكثر تأثراً في أساليبه وتراكيبه ولغته وصوره بالتيار الحديث ، فإن شعره - في معظمه - يتابع فيه شعر المهجريين وجماعة أبولو ، يظهر فيه أسلوب الرفض والسخط وعدم الرضا بالواقع ، ويتميز بنبرة الحزن والألم ، وذلك ما يُعهد في شعر المهجر أو شعر الرومانتيكيين عامة . وقد أشار إلى ذلك محمد العيد الخطراوي في مقدمته لديوان (ترانيم الصباح) حيث قال : « . . . نستطيع أن ندرك الصلة الوثيقة بينه وبين شعراء المهجر ، من حيث الاستعمالات اللغوية والتمرد على القوالب التقليدية . . . »^(١) ويقول فيها : « تأثير جبران وأضح في شعر عبد السلام تلمسه في ظاهرة الرفض والشك والألم التي تسم بعض أشعاره ، وهذا ما جعله يلتقي معه أحياناً في بعض الصور والألفاظ كما في (راهب الفكر) وغيره من الدواوين . . »^(٢) . ويقول د . عبد الله الحامد : « وممن تأثر بصوفية جبران وتهويماته الرعيل الأول ، وكثير من الشعراء كعبد السلام هاشم حافظ . . . وقد وجد أدباء هذا الرعيل في المدرسة المهجرية ما يريدون من تبرم بالواقع ، ورثوا إلى المستقبل »^(٣) كما نسبه إلى مدرسة أبولو ، وأظهر أثر أبي شادي رائد مدرسة أبولو فيه يقول : « وممن تأثر بأبي شادي في شعره محمد حسن عواد . . . لكن أثر الجانب النقدي لأبي شادي أكبر من الشعر سواء عند العواد . . . أو عند عبد السلام هاشم حافظ الذي حاول أن يطور الموسيقى العربية بإحياء بعض الأعراس المهجورة والنظم على أنماط يزواج فيها بين التفاعيل بصورة غير معهودة »^(٤) . وأبو شادي شعره خليط من نماذج لاحصر لها ، وهو رئيس مدرسة أبولو لاتنظمهم قاعدة واحدة ومثله جبران ونسيب عريضة^(٥) .

ويؤكد الشاعر نفسه تأثره بشعراء المهجر خاصة ، يقول : « أنا أقرأ لشعراء المهجر كثيراً ، وقد تأثرت بنسيب عريضة وإيليا إبي ماضي ، ولقد درست جبران وتأثرت به كثيراً خاصة في قصتي الشعرية (تلميذتي) و (العذراء السجينة) فله كتاب اسمه : « الأجنحة المتكسرة » خلط فيه بين القصة والشعر »^(٦) .

(١) مقدمة ترانيم الصباح : ص ٩ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) فصول حول الأدب : ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ص ٦٦ .

(٥) انظر في ذلك كتاب شوقي ضيف ، الشعر المعاصر في مصر : ص ٧٠ - ٧٤ .

(٦) حوار الباحثة .

ولعل تأثره هذا عضده أنه كان عضواً في رابطة الأدب الحديث .

ويبدو الشاعر متأثراً بشعراء الزخرفة اللفظية كعمر أبي ريشة وعلي محمود طه ، بالاهتمام بالشكل وزخرفته مما يضيع المعنى - أحياناً - فيأتي بعض شعره عبارة عن معان وموضوعات محدودة مصاغة بأشكال شتى من التشكيل الموسيقي . وقد تحدث د . عبدالله الحامد عن أثر علي محمود طه في شعر عبد السلام من حيث الديباجة والتشكيل الشعري (١) . ورأى د . محمد مندور أن مسرحية عبد السلام (أضواء على المجهول) جاءت على غرار ما أنتجه علي محمود طه في كتابه (أرواح وأشباح) (٢) . ويظهر تأثره في اقتباسه - أحياناً - أسماء قصائد الغير كقصيدة (غضبة الثأر) وهي عند محمود حسن اسماعيل وكتاهما في الشعر الوطني ، وقصيدة (قلب الشاعر) وفيها شبه من قصيدة الشبابي وكتاهما في حديث القلب المتوجع ، ويأتي التأثير في بعض المعاني والأفكار فقوله :

لم يسلني عنها بمصر مناظر أبداً تمر فلا أرى إلا الحنين (٣)
وقوله : وماجدٌ في مصر شيء يسلي ولا صفو فيها يخفف سهدي (٤)

مأخوذ من معنى بيت شوقي المعروف :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسي
وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني في الخلد نفسي (٥)

وكلاهما أبيات في الغربة عن الوطن ، فكلاهما يحن الى وطنه .

وسوف يتضح هذا التأثير أو ذلك في أثناء الدراسة لشعره بما يبين عن خصائص

شعره وميله إلى المذهب الرومانتيكي خاصة

* * *

(١) فصول حول الأدب : ص ٦٨ .

(٢) مقدمة أضواء ونغم ، الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٢٩٧ .

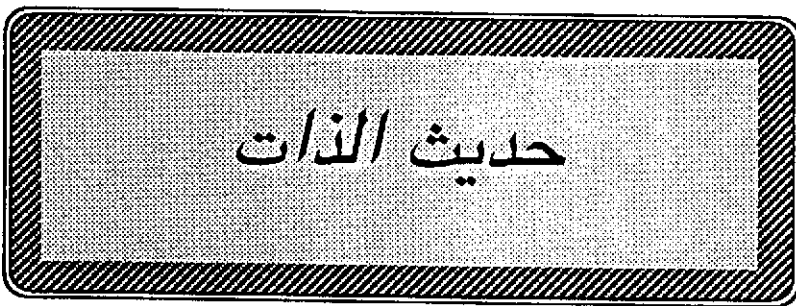
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٥٩٦ .

(٤) وحي وقلب والحنان : ص ٢٢٧ .

(٥) الشوقيات ، ج ٢ ، ص ٤٥



الفصل الأول



حديث الذات

حديث الذات

قد ينصرف مدلول هذه التسمية الى أن حديث الذات إنما هو حديث فخر واعتزاز وثناء والحقيقة أن حديث الذات هنا حديث عن ذات معذبة محرومة متألمة . ومعروف أن حديث النفس وآلامها موضوع أثير لدى الرومانتيكين ، فلم (يعد الشعر هجاءً أو مديحاً أو رثاءً بالمعنى التقليدي ، ولكنه أصبح حديث النفس ، ونجوى الذات . .) (١)

وشعر عبد السلام الوجداني منه وغير الوجداني شعر ذاتي ، فهو انطباعي تتشكل عنده الحياة بمنظار رؤيته لها وتصطبغ بلون تجربته .

وقد تضافرت عليه عدة عوامل جسدية ونفسية واجتماعية صدمته منذ شبابه وحالت دون تطلعه للحياة والمستقبل ، وحتى في علاقاته بالآخرين ، وسببت له العزلة والوحدة ، ومن ثم القلق والضيق والتبرم من الحياة . كما كانت من ناحية أخرى دافعاً لقلمه أن يترجم مشاعره ويعبر عن آلامه وشكواه ، فنتج قدر غزير من الشعر الذاتي .

وقد اهتم البحث بهذا الجانب ودراسته دراسة مستقلة لأهميته من جانبين :

- كثرة ما قيل فيه من شعر ، حتى لكأن الشاعر كان جل همّه أن يعبر عن معاناته في الحياة ، ويترجم ذلك صراحة .

- يعتبر هذا الجانب المحكم الأساسي فيما نتج عنه من شعر ، إذ من خلاله تتضح خصائص باقي شعره ، فالحديث عن النفس ألصق بالوجدان وأصدق تعبيراً .

والحزن والألم نغمة تتردد كثيراً في شعره الذاتي معبرة عن حياة معذبة حزينة متألمة وأول ما يلحظ ذلك في ديوانه (مذبج الأشواق) وهو أول ديوان نشر للشاعر ، والمتتبع لدواوينه الأخرى يجد أسباب هذا الحزن وهذا الألم ، ويمكن القول أن أساس شعوره هذا يتمثل في أمرين : -

الأول : اصابته بداء القلب .

والثاني : فشله في تجربة حبه المبكر .

(١) د. ماهر حسن فهمي ، تطور الشعر العربي الحديث : ص ٦٨ .

وهذان السببان حددا شخصية الشاعر وتوجهاته الفنية ، وقد تحدث عنهما كثيراً في شعره بأسلوب مؤلم حزين فيه الشكوى والألم كقوله :

ياضلة الأيام والحظ الظلوم
نفسى تضيق بكربها وبحبها (١)

وقوله :

الداء يوغر هيكلي .. بين النصال
والحب والحرمان جاء بالمآسى والحطام (٢)

فهذا تعبير يقطر دماً ، يعبر عن حياة الضيق والألم التي يعيشها من جراء المرض والحرمان وقد سببا له ألماً بقي أسيراً لهما : -

لا الطب أهداني شفاءً كريم فحييت والآلام تعتنق الجسد
لا الحب نولني رحيق كؤوسه والإلف ضل عن الطريق ولم يعد
فبقيت ظمناً تعذبني القيود (٢)

والحديث عن هذين السبيين يطول وسوف يفرد لهما مكان مستقل .

ورغم أن هذين هما سببا حزنه وشكواه ، إلا أن هناك أسباباً أخرى تضافرت عليه وكانت من أسباب حزنه ، وقد تبدو خفية - بعض الشيء - أو غير جديرة بالاهتمام إلا أنها خلفت وراءها احساساً عميقاً بالحزن وأورثته ألماً ومرارة ، وهي أحداث اجتماعية ونفسية قاهرة أصابته فكانت مصدر الألم وإن كانت وقتية أي من زمن مضى منذ بداية حياته وهي : -

(١) اليتيم : فولادته يتيماً بعد أن فقد أباه ، ثم رعاه عمه ولد لديه احساساً بالفقد ، ومن الغريب أن الشاعر لم يتحدث عن يتمه إلا في أبيات من (الأربعون) يحكي فيها قصته وتسلسل أحداث حياته منذ ولادته ، يقول فيها : -

(١) الأعمال الشعرية الكاملة : ص ٩٣ .

(٢) السابق نفسه : ص ٩٤ .

(٣) السابق : ص ٣٧٢ . (وكلمة كريم ، صوابها : كريماً)

- طفل يتيم الأب الماضي إلى جدث
- لم يعرف الأب - إلا عمه ومضت
عفى عليه .. وزال الطيف والسأم
به السنون .. وفي أحنائها الحمم (١)

ففي البيتين نغمة حزن مريرة ، وقد عبر بكلمة (الحمم) عن مرارة الألم والحرمان
(٢) عدم اكمال الدراسة : إذ حال دون ذلك مرض قلبه ، وهذا من شأنه أن
يسبب له شعوراً بالمرارة ، وخاصة أنه كان من المتفوقين .

(٣) الفقر : - عاش الشاعر في بداية حياته حياة معيشية صعبة ، فقد ضاق
بالحالة المادية التي كان عليها ، وكان يحس أنه عاجز عن تحقيق مطالبه
ومطالب أبنائه . ويلمح في بعض شعره لجوؤه الى الله لتفريج الكربة
كقوله في قصيدة (الى الله) : -

- أشكو لك الدهر أم حظي وأوهامي
رباه هذي شكاة الكل يا أملي
والولد حولي تنادينني مطالبهم
أعباء أحملها والنفس والهة
عودتنا يا إلهي منك مكرمة
أدعوك يارب تفريجاً لكربتنا
أم لوعة الروح أم سقمي وألامي
البؤس والزمن الداجي وأسقامي
يضيق بي عالمي الشاكي وأنسامي
ترجوك ربي لترعى ظلنا السامي
تزهو بفضلك في بذل وإعظام
فجودك الخالد المحمود إلهامي (٢)

وقد ازداد شعوره بالمرارة والألم حين علم أن أهل محبوبته رفضوه بسبب المرض
والفقر ، وإنه يتخيل صوتاً مجهولاً في الفضاء يخبره بهذه الحقيقة المرة قائلاً :

ياشاعر الحب السجين
قف يامليناً بالكآبة والجراح
إن الفتاة وأهلها يرجونك الخل الأمين
يتقربون بشخصك الفذ الغيور
لكن داءك بعض أدواء العباد :
أمر بنفسك في شعورك يضطرم
لاستطيع له دفاعاً أو علاج
إلا اذا سمح القضاء بفضله
وتطبيت أذناك من همس الذهب
وتزودت دنياك من خير وقير (٢)

(١) الاربعون : ص ١٢ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٣) السابق : ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) التعاسة الزوجية : كان يأمل في زوجة تفهمه وتتقف معه وتشجعه على مشواره الأدبي وتفهم ذلك الفن الذي وجد نفسه فيه ورأى فيه تعويضاً عن الدراسة وتحقيقاً لطموحه ورغباته ، فقد استاء من عدم تقدير الناس له ولفنه ، فلا أقل من أن يحظى بتقدير الزوجة ولكنها - كما يقول - كانت شديدة الغيرة فوقفت حاجزاً أمام تطلعاته وميوله الأدبية ، وقد اعتبرها سجانة ووصف غيرتها بقوله :

- سجانة الزوج .. تلك التي / تريد به كل قيد

تريد له أي سجن / ليبق سجيناً لها .. / وسخف سجين لها

- وكان يؤمل في زوجة الجائرة / تكون له بعض شيء هنيء

وتفهم فيه كمال الرجولة / وانسانها العبقري الفريد (١)

(٥) العالم المليء بالشر والمتناقضات - كما يتراعى للشاعر - وقد عبر عن عدم رضائه بكل ماحوله ، لذلك أثر الوحدة في عالم خاص .

هذه الأسباب تخفي حرقه وألماً ومن ثم كانت مصدراً من مصادر شعره الحزين الشاكي ، وصبغت معظم شعره . وقد ذكر الشاعر شخصياً : (أن الألم بالنسبة اليه مصدر من مصادر العبقرية) (٢) وأن الحزن أساس في حياته . فشعره نابع من شعوره فاضت به أحاسيسه ، وأن كان الحزن قد « صار محوراً أساسياً في معظم مايكتب الشعراء المعاصرون من قصائد » (٣)

ومن هنا فإن تلك الظروف النفسية والاجتماعية والجسدية التي تضافرت عليه وتسببت في احساسه بالحزن والألم ، أنشأت شعر الشكوى والأنين عنده ، وهي التي أثرت على مفهومه وتصوره عن الحياة . وقد سبق الكلام أن أهم سببين هما : المرض والحب . وسوف يقف البحث هنا على صراع الشاعر مع مرضه .

أما مايتعلق بخصوص قصة حبه فتلك سترد في الحديث عن (المرأة وشعر الغزل في حياة الشاعر) .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤٣٩ - ٤٤٢ .

(٢) حوار الباحثة .

(٣) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر : ص ٢٥٢ .

المعاناة الجسدية :

القصد من هذا العنوان صراع الشاعر مع المرض ، فالمرض عدو لدود للانسان يحرمه من متع الحياة ويصبح الانسان به عاجزاً عن تحقيق رغباته ، ويؤثر على أدائه ونفسيته ، وإن أهم ما في المرض أنه « يغير نفسية المريض ، وهو أمر هام جداً إذا كان المريض كاتباً أو شاعراً أو أديباً . . . » (١)

ولهذا فالمرض شكّل شخصية الشاعر وجعل منه متبرماً شاكياً متأثراً ، لأن « مشاعر المرض ثقيلة وقاسية ، فهي تفجر في النفس طاقات هائلة من الألم والأسى والحزن والشجن . . » (٢) وحتى في تناول ألوان الطعام عليه أن يراعي مرضه ، الأمر الذي تستحيل معه حياته ضنى ومعاناة متواصلة : -

غمر الشقاء مواهبي ودهى الأسى روحي وساق الداء قلبي للعناء (٣)

وقد كانت لحالته الصحية تأثيرها في شعره الذي استأثر قدر منه بالحديث عنه .

وحديث الشاعر عن قلبه ليس إبداعياً فحسب بل تعبير نفساني عن مشاعر الألم

والتوجع ، ويأخذ أشكالاً ثلاثة : -

- القلب المريض المعذب بمرضه .

- القلب المحب المعذب بحرمانه .

- القلب الشعاري الفياض بالأحاسيس والآمال والمطامح .

والمحك هنا الحديث عن قلبه المريض المتألم والذي أكثر منه ، إلا أن هذا التقسيم

لايجدر به أن يفكك كشيء جامد ، لأن الشاعر غالباً ما يخطط في تعبيراته مصوراً عذابات

قلبه في صورة واحدة ، إلا أن التركيز هنا على حديثه عن أوجاعه وضرباته الموجهة

وضيقه من تلك الآلام . وقد أفرد الشاعر ديواناً كاملاً خصه للحديث عن مرض قلبه وهو

(قلبي المناضل) ومجموع قصائد الديوان تعبر بصدق عن نضال قلبه في مواجهة الآلام

(١) ابو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره : ص ٥٢ .

(٢) طلعت ابو العزم ، الرؤية الرومانسية للمصير الانساني لدى الشاعر العربي الحديث : ص ١٥١ .

(٣) قلبي المناضل : ص ١٣٩ .

ومقاومتها بصبر شديد ، فتأتي أبياته معبرة عن كل لحظة ألم بأسلوب باكٍ حزين ، ويبدو أنه كلما أحس بوخز أو اشتد به الألم أو أصيب بأزمة خرج منها بمجموعة أبيات .

ومهد لديوانه هذا بكلمة تحدث فيها عن سبب ألمه وحزنه ، فكان المرض والقلق والحرمان مما أدى الى عزلته ، يقول : « ولقد حجزني الألم عن الناس بشخصي ، وعن كل متعة بنفسي ، ولكنه ألتصق بي في هيكل الفكر ودار بي في ميادين المعرفة المختلفة . . فاذا بي راهب فكر أتحدى الألم وأقاوم شتى الأعاصير التي تهب في طريقي بين الفينة والفينة . . وحسبي هذا . . » (١)

وتعبير الشاعر عن آلامه يمتلىء كآبة وسوداوية ، وتحمل قصائده خصائص تجربته وذاته . وقد يأتي حديث الشاعر مع قلبه حوارياً ، يناجيه بوصفه مكنن الحب أو موضع الألم أو مبعث العبقرية ، يقول معبراً عن هذه الصفة : -

واليوم مانحن الا واحد في ألفة دائمة
إن طبت حيناً فإني أسعد في نفسي الصالة
أو ضقت عذبتني في خاطري بالفكر في علتك (٢)

هذه نغمة حوار ومناجاة ، يتخذ الشاعر من قلبه شخصاً فيخاطبه مخاطبة الصديق الودود ، فيسأله عن حاله وسبب خفقه وتوعكه وضرباته التي تلج في صدره :
بريك ياقلب ماذا بك ؟ كائنك تخشى رعود المات
ألا كم تلج بصدري العليل وتحطم دقاتك المرعبات
ضلوعي بأنفاسي اللاهيات فتهدم في صفاء الحياة (٣)
ويصور قلبه بالطائر الحبيس ذبيحاً في قفصه ، يرفرف من قيود الألم ، فيضرم الصدر ناراً تلفظه دماً ، كما تظهر تعبيرات السجن والقيود والعزلة في كثير من شعره هذا .

ويجئ الى أسلوب التساؤل عن مستقبله ، فبه ظمأ الى معرفة ماينتظره من حال ومآل ، يقول في قصيدة (ظمأ) :

(١) وحي وقلب والحان : ص ١٠٦ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٢٨٩ .

(٣) قلبي المناضل : ص ١٢٨ .

ياصفحة الغيب المجمل بالغموض ياطابع الوهم المحكم في القضاء
ماذا بحظي؟ وما الذي في صفحتي من نعمة أو من آسى أو من عزاء (١)

ونتيجة لهذه التساؤلات في مصيره ، فقد أبان عن نظرتة للعالم من حوله وكأنها
جبروت يريد أن ينتزعه ، فهو يبحث عن مصيره ويسرح بخياله فلا يرى الا الظلام
الموحش والرؤى المزعجة والأشباح المخيفة ، وهكذا تتشكل الطبيعة كيفما كانت نفسيته

يقول : أنى نظرت رأيت أشباح الشجا ومعاني الليل الكئيب على الهواء
أنى قصدت طفى وثار بي الحجا ماهذه الدنيا الضنينة بالضياء
أنى مضيت وجدت أسباب الضنى ورؤى الدماء تجلج الدرب العراء (٢)

وأحياناً يخاطب الشاعر قلبه بطريقة متذمرة ناقمة ساخطة ، إذ يحثه على
الاستمرار في العذاب والنحيب لأنه فقد أمانيه :

فيا قلب ذب لوعة وضنى ودع عنك هجس المنى والطيوب (٣)

ويتملك الشاعر احساس بفقد قلبه وانتهائه ، كما انتهت فاطمة من حياته :

فقلت بهمس : رويداً فؤادي

وحسبك مني الجهاد الأخير

فلا أنت تبقى ولازهرة (الفاطمة)

ولا منية نرتجيبها ..

تعال احترق تحت انظارها

وفرقت ترائك يا صاحبي بين ظلاتها

ومزق ضلوعي بما شئت كي لانعود :

لأصفاد وهمي وبؤر الهوى (٤)

ويبدو أن الضغوط النفسية نالت من عزيمته ، فصار يدعو على نفسه في (ساعة
يأس) :

(١) قلبي المناضل : ص ١٢٩ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٣٠ .

(٣) السابق : ص ١٢٩ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ١٢٥ .

- أقبل ٠٠ أجل ياهول أقبل بالأسى وسدّ جناني في المجهل في الردى
- ماذا أريد وابتغي من مطلب ماذا أرجى في حياة كالعدم
في كل يوم لي جديد تعاسة تدمى القلوب لها ويعصرها الألم
- أين الممات وأين مني ضجعة في العالم الأبدى تذهب بالسقم (١)

وهذا إنما ينتج عن نفس متقلبة أساس تقلبها حدة الألم وثورته .

وتتكرر لديه كلمة : قلبي ، مهجتي ، فؤادي ، القلب ٠٠٠ أو مايدل عليها من الأسماء والأوصاف ، دلالة على معاناة الشاعر وملزمة آلامه .

ومن عادة الشاعر ، أن يبدأ الحديث بعرض حالته الصحية ، مصوراً هول المرض على جسمه وصحته مرة بأسلوب مباشر وأخرى بأسلوب مجازي جميل ، وأكثر مايفلح في ذلك عندما يأتي أداؤه متحرراً من نظام البيت القصدي ، فهو ينطلق فيه بحرية تامة معبراً ومصوراً حالته بطريق التجسيم ، كقوله من مقطوعة (لحن جنائزي) :

السوط يعول فوق جسمي الناحل

سوط الزمان وعلة القلب الكئيب

العلة الدهياء تفتك في دمي

وتلوب في روعي الحزين

حالي ٠٠ وهل أبقى الزمان لحالتي من سائل ؟

حالي هو الشيخ المخيف !

عمري انقضى بين السقام وشقوتي

كأساً يجرعها من الداء المطيف

وشباب المحزون يروي من أساطير الخريف (٢)

وهو بهذا يمهد الحديث بسؤال الناس عن حاله ، ويزيد في تهيئة التعبير عن حالته واسترساله في ذلك .

ولكن هذه الحال لاتلازمه إذ سرعان مايتخلص من مشاعر اليأس ويترفع عما مني

(١) قلبي المناضل : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) السابق : ص ١٢٥ .

به من مرض أقعده وحجزه عن تحقيق رغباته ، يترفع عن ذلك وعن غيره من الآلام الى شيء أسمى وهو حب الجهاد والدفاع عن الحقوق ، وإن كان ذلك من قبيل التمني فقط ، لأنه - بالطبع - عاجز عن أن يجاهد بنفسه ، وهذا الشعور المترفع يظهر في أواخر بعض مقطوعاته مثل : (العيد الخالد) (قلب الشاعر) (الجبار الصغير) . . .

وكأن الشاعر يحاول التعويض لما يحسه ، ومع أن دفاعه بالكلمة - والكلمة أثر قوي - فقد توجه اليه لكي يلفت الأنظار الى اتجاهه الفني وأنه لم يحصر نفسه في الحديث الذاتي ، بل اهتم بقضايا أمته ، ويود لو أنه يستطيع أن يفعل شيئاً في سبيل التحرير للشعوب المضطهدة ، وهذا يدل على وعيه ، ويكشف عن رقة قلبه وحنانه .

* * *

وهكذا تتردد الشكوى في شعره بشتى الصور والأشكال معبرة عن ضيقه بالحياة وتأرجحه بين اليأس والرجاء . وقد جهد الشاعر أن يبحث عن خلاص من تلك الآلام ، وإن كان أحياناً أخرى يشتد عزمه ويقوى إيمانه فيقف صامداً صابراً متحدياً لها . ومجموع القصائد والأبيات تبين كيف كان يتأرجح بين الشكوى واليأس وبين الصبر والأمل ، ويمكن حصر هذه الأمور فيما يلي :

(١) الهروب . (٢) تمني الموت . (٣) التحدي والصمود

(١) الهروب :

يحاول الشاعر الهروب من آلامه وأوجاعه وهمومه الى عدة أشياء لعله يجد فيها الراحة أو السلوى أو المتعة الروحية والخيالية ومن تلك الأشياء :

أ - العزلة والاعتكاف :- فإن أحب شيء لدى الشاعر أن يظل بعيداً وحيداً بهوموه وآلامه عن المجتمع والناس في عزلة جسدية وروحية يشعر فيها براحة على نحو ما فهي في الوقت نفسه مصدر ألم وغربة . تنتقله من واقع مرير الى ذكرى أليمة ومن معاناة فردية الى معاناة جماعية يشعرها بأحاسيسه ووجدانه :-

أنا لست وحدي في الحياة أعذب كل الوجود تألم وتعذب (١)

فهذه نغمة أنين وألم تعبر عن معاناة فردية ومعاناة جماعية من خلال الربط بين همومه وهموم الآخرين ، والشاعر حين يتحدث عن وحدته وعزله فانه - عادة - يكشف عن أسبابها ، من فشل في الحب ، وحاضر مؤلم ، وآمال ضائعة ، وآلام تعريد بداخله ، تحرمه المتعة والسعادة ، وعالم مليء بالشر . لذلك يجد في الوحدة ملاذاً من ذلك كله ، فيظل عكوفاً في وحدته على أمتع شيء لديه ؛ فنه ينهل منه ما أمكن ويجد فيه المتعة والسعادة :-

إيه حجابي ويامحجة خاطري ثاب الفؤاد وعدت أنشد عزلتي
في برجى المسحور . . في صمت الدجى بين التأمل والسكون ووحدتي
لاشيء يصيبني سوى كتبتي وتألّفي الرصين^(١)

هذه الأبيات ختام أي توديع لشيء مضى وهو (الحب) حيث يعلن فيها عن عودته الى ما انقطع عنه فترة وهو القراءة والكتابة ، اللذان يجد ذاته فيهما .

ولكن هذا الشعور بمحاولة الهرب الى الوحدة يخبو حين يحس مرارتها يقول معبراً

عن تلك المرارة : وحدي أجل وحدي كمسلوب الحجا أحيا غريباً شارداً بين الفلا
لا الناس من أهلي ولا صحب الورى صحبي ، ولا لي من خليل يُصطفي
متفرداً في عيشي القاسي السقيم^(٢)

أما الغربة الروحية فتلك مما شكاه ، فهو يحس أنه غريب بحالته ومعاناته يشكو الألم والأنين ، ويتساءل الناس عن مصابه وأسباب حزنه وصمته ولكنه يظل وحيداً صامتاً شاكياً حياته المؤلمة :

والكل يعجب من شكاتي في الحياة الحاضرة
من ضلة القلب العليل

وتصرفاتي في شئوني بالخمول^(٣)

ففي الغربة الروحية احساس حاد بالعزلة والشذوذ والانفصام عن المجتمع والناس ،

(١) وحي وقلب والحان : ص ١٩٦ .

(٢) السابق : ص ٨٥ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٩٢ .

لذلك يحاول أن يفر منها الى عالم مثالي ، الى دنيا جميلة عن طريق الأحلام كما في قوله:

وحدي أهيم بخاطري بين الضباب بخيالي المجنون في الأفق البعيد
علّ المحاسن تحتويني بالرؤى وأحس في أصدائها أمني الجديد
أحلام تنقلني الى دنيا الصبا عن وحدتي .. وتهدد القلب العميد
لكنني أبداً بالامي أعوود
أشقى واذكر أنني مثل فريد
للوحة العجفاء .. للأمل البديد (١)

إنه يتمنى الفرار من غربته القائلة التي دفعته اليها ظروفه ، ولكنه لا يستطيع ، لأنه يعلم أنه شقي بالامه ، حبيس عزلته ووحدته ، وتكمن مأساته في أنه يعيش وحيداً بعواطفه وأفكاره ، لا يجد من يشاركه اياها ، ومن ثم يحس بغربة روحية فيتألم ويفقد الاحساس بالأمن والاستقرار . وقد ينعكس ذلك في وجدانه فيشعر بالاستعلاء على الآخرين ، ويحس بالتميز والفردية يقول : -

وكأنني غيري ولست من البشر
أقول اني ملك
أم أنني أحيا فريداً في فلك
ماذا أكون ومن أنا ؟ (٢)

لذلك فضل العيش مترهباً منقطعاً :-

أنا في الحياة كراهب متطوع
عاف الدنيا ورعى الإله
فعبدته وهجرت كل رغائبي
وحطمت لذاتي وقت مطالبني
وزهدت في عيشي وفي طيب المقام
وبعدت عن دنيا المنام (٣)

وبالرغم من ذلك تجد في أبياته مايدل على رقة قلبه وحنانه وهو يتأمل حياة البائسين

(١) الأعمال الشعرية : ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٢) السابق نفسه : ص ٧٠ .

(٣) السابق : ص ٨٣ .

المشردين عن ديارهم ، فيتألم لألمهم ويشكو أحوالهم ويحس لهم كما يحس لنفسه .
ولقد شكى غربته الجسدية - في فترة مامن حياته - بعيداً عن أهله ووطنه .

وفي قصيدة (مغترب) يعبر عن غربته هذه مصوراً آلامه في البعد من أجل
العلاج ، فلم يسأله شيء في مصر يعوض غربته هذه ، وقد حاول أن يتحمل ، ولكنه
كان يخشى أن يموت غريباً في مصر . وعبر عن هذه الشكوى في أبيات تقطر ألماً ، ومنها
قوله : -

قد كنت أحمل علتي وغيومها	ورجوت أن أجد العلاج يزيلها
وأتيت بالأمل الكبير لعلهُ	يهدني الي ندى الحياة ونورها
ولقيت أشواكاً تحزبم هجتي	وهموم تصحبني .. تشعل لوعتي
وخشيت أن أقضي غريباً هاهنا	وأنا المضاع بحيرتي وبوحدتي (١)

وهذا النوع من الهروب ، أي الهروب الى حياة العزلة والوحدة انساق فيه مع الاتجاه
(الرومانتيكي) الى حد كبير ، فتقلبه بين الرغبة في الحياة والشكوى منها بسبب ظروف
حياته القاسية وملابساتها ذلك كله مما أثر عن شعراء هذا الاتجاه .

ب - الهروب الى الطبيعة : - يحاول الشاعر أن يجعل من الطبيعة أداة فعالة
تشاركه آلامه وهمومه . لذلك تتشكل الطبيعة في خيال الشاعر كيفما كانت نفسيته ، وهي
تبدو غالباً مظلمة سوداء ضبابية يكسوها الحزن ، فالأشجار حزاني ، والقمر أصبح
كهلاً ، والبحر صار مكاناً صاخباً ليس فيه هدوء او استقرار . وتتحول مظاهر الكون الى
أحياء مضطربة ، تصطبخ فيها الوحوش ، فالليل مزمر ، والبدر يخسف ، والروض
أجذب ، والطبيعة تدمع ، والطير تنوح ، والسماء ملبدة بالغيوم ، والشمس تنذر
بالأفول ، والسبل أشواك ، والأفق أغبر... تلك مجموعة تعبيرات وصيغ صيغت
بأسلوب استعاري مجسم ، تعبر عن نفسية قلقة محطمة حزينة ، وقد أوحى خيال الشاعر

بتلك الصور المغرقة في الخيال ، وأن تلك الصيغ والتعبيرات وهذه النظرة الى الطبيعة تصيغ أكثر شعره ، كما أن معجم الحزن ملازم لأكثر قصائده ومقطوعاته ، وهو في هذا يهرب الى أحضان الطبيعة والكون فيلبسها من نفسيته فتظهر معادلة لها في أكثر الأحيان (١)

ج - الهروب الى الماضي والمجهول : - حياة الماضي حلوة ومرة في آن واحد ، حلوة بطفولتها ومرحها ، ومرة بذكرياتها الحزينة . والشاعر يجد في ماضيه ملجأ ، فيعود بذاكرته لأيام الطفولة العذبة يتذكر خلوها من الأعباء والهموم برغم الآلام التي أصابته وهو في الصبى ويتخيل صوراً من الطفولة البريئة التي قضاهها في لهو ومرح وانطلاق كالطيور ، يتذكر طفولته مع أترابه الصغار يشاطرونه اللهو والانطلاق :

- كانت له في ذكريات الأمس دنيا حاملة

بالرغم من لوعاته وضرامه ..

قد كان في مرح الطفولة لاهيا خلو الهموم

كبلابل الروض الخضير

- يحنو على أترابه ويقاسم الطوى أخاه

ويجمع الخلائن عند ربوعه

فبيكرون إليه في الصبح الطيرير

- ويؤمرون عليهم الطفل الجميل

ويزوجون ويحكمون ..

لا يعرفون البغض لا يتناكرون (٢)

وهي من مقطوعة تزخر بألوان من الصور في حياة الشاعر الماضية ، فهو يتذكر ذلك الفتى الذكي النابغة المحب لدروسه المتوثب المتطلع الى مستقبل زاهر جميل ، يجهد نفسه بالقراءة والاطلاع وكأنه عالم بحأته ، تعود به الذكريات الى أيام الصفاء وراحة البال

(١) انظر تأملات في الكون والطبيعة : ص ١١٠

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١١٢ ، ١١٣ .

والسعادة . وهكذا يهرب الشاعر من همومه الى صفحات من الماضي . أما المجهول
فذلك يستهوي الشاعر فيسبح في عالم خيالي وفي مجهول لايعرف كنهه ، ويسعى يفتش
عن السعادة وعن المحال وعن العالم المثالي يقول :

- ظمأ الى المجهول والنبع البعيد ظمأ تعثر في خطاه مع القيود (١)

وقوله : - يرجوالغد المجهول يأذن بالوصال (٢)

وفي مقطوعة (الباحث عن المجهول) ، يظهر باحثاً عن شيء مجهول ، قد
لايكون شيئاً واحداً وإنما هي مجموعة أشياء ، البحث عن الصحة والسعادة ، عن
الزوجة ، عن متعة الخيال ، عن الجمال ... الخ ، وهو في ذلك كله يرى سرّاً من
أسرار الحياة يبحث عنه : نعيش لنبحث عن سري هذي الحياة (٣)

ويكرر هذا التعبير لديه كقوله :

أفتش عن سر هذي الحياة ويعتصر الهم روعي الكئيب (٤)

وقد يكون المجهول الحب الذي ينشده :

شوقي الى المجهول عانقه الأمل ورننا فؤادي في ذهول يبتهل

سرّ هو المجهول أم فجر الرؤى رقصت مشاعره على نغم الغزل

فتغنت الدنيا به في صباحها الباهي الجبين (٥)

والمجهول هذا سواء أكان شيئاً أم لم يكن فهو ملجأ يهرب اليه الشاعر من آلامه
ومتاعبه ومقطوعة (فلسفة الحب والألم) تعبر عن هروب الشاعر الى مجهول لايدركه :-

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٣٦ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٤١ .

(٣) السابق : ص ٤٤٩ .

(٤) وحي وقلب والحنان : ص ١٢٥ .

(٥) السابق : ص ١٩٥ .

- وخرجت للمجهول أسعى خلفه

ويداي ترعش مثل ذابلة هوت بين الرياح

- أسعى الى المجهول في حبي العجيب (١)

د - الهروب الى الفن والأدب : - تلك صور من صور الاعتزاز بالنفس ، وصورة من الاعتكاف والرهبنه في حياة الفن، ومن المعروف أن الشاعر (الرومانتيكي) يجد في فنه قيمة لايعادلها قيمة يرى فيه المتعة والبقاء . وشاعرنا يرى في فنه قيمة عظيمة بحيث وهبه نفسه وأخلص له فكره ، يقضي الساعات بين كتبه وأوراقه لايملاً ، وفي ذلك متعة روحية له وهروب من التفكير في الآلام والهموم :

أحلى ليالي أن أخلو مع الفكر	مع الكتاب يغذيني مدى عمري
أحيا لفني شعوراً لايمزقه	هول الحياة ولا يشقيه في سفري
دنيا الملا لايعنيني تطلبها	حسبي التأمل والإغراق في فكري
- ولا أمل مدى الساعات أقتلها	بحثاً . . وأبعثها فيضاً من العبر
نشأت نفسي على حب الكتاب وهل	أبقى وأجمل من رفاتة الزهر (٢)

وهذا العكوف على الفن والأدب يصاحبه احساس بالحبس والقيود ، يظهر جلياً تارة وخفياً تارة أخرى ، فهو هنا يعتبر عكوفه سجناً حبس نفسه فيه ولكنه سجن محبب اليه:

قد تركت الاهواء تزري بغيري	بل حمدت الخطا الى درب سجني
بين أوراقى . . في يراعي وشعري	بين كستيبي وذكرياتى وفني (٣)

ه - الهروب الى الغزل : - الغزل عند الشاعر من الأمور التي تستهويه ويجد فيه متعة وسلوى مما يعاني ، وهو كثير في شعره ، يتخذ ملجأ من همومه ، يستجديه أينما كان :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) الأربعون : ص ٢٦ .

(٣) السابق : ص ٣٥ .

- تعالي اسقني خمرة الروح .. ياكأس حلمي البعيد
لتصبح دنياي حلماً جميلاً بعيد الحدود
ويبسم لي كل أفق .. يردد صفو النشيد (١)

ويقول منتشياً بخمرة روحية أساسها الاحساس بالجمال :-

غردي ياطيور وأصدي بالنشيد
وأبسمي يازهور للربيع الجديد
هذي ساعة الحلم والحب عيد الشباب (٢)

واقبال الشاعر على التمتع بطيبات الحياة ، هروب - أيضاً - فسماعه للأغاني
وشدو الصوت متعة لديه يقول في مدح صوت (أم كلثوم) :-

عريدي يانفس باللحن الرغيب وارثوي ياروح بالهمس الحبيب
إنها الآيات والأنغام سكرى من شفاه الناي والحسن الرتيب (٣)

فهو هنا يأخذ بنصيبه من متع الحياة ، كالمرأة والجمال والغناء ، واقباله على جمال
الطبيعة والحياة كل ذلك هروباً من أحزانه .

هذا مجمل ظاهرة الهروب في شعره ، وكما يتبين أنه انساق اليه متأثراً فنياً
بالمذهب الرومانتيكي ، رغم أن مبرراته واضحة في ظروف حياته .

وتشتد بالشاعر الحال ليصبح الهروب الأبدي أو الاقبال على الموت أمنية لديه ،
وليس مجرد هروب مؤقت يختلس فيه سويعات من السلوى والعزاء أو المتعة العابرة .

* * *

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٦ .

(٢) وحي وقلب والحن : ص ٢٢٠ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) تمنى الموت :

الاحساس بالموت شعور انتاب كثيراً من الشعراء الوجدانيين أمثال خليل مطران ، المازني ، عبد الرحمن شكري ، على محمود طه ، الشابي وغيرهم (١) . ممن عانوا كثيراً من مصاعب الحياة وآلامها .

وقد ظهر هذا الاحساس عند عبد السلام في وقت مبكر من عمره حين أدرك خطورة مرضه ، فكان يحس بنعي الناس له ، وكأنه قد سمع من يقول بموته :

قالوا : هو الطفل مسكين بحالته كم روعت أمه الأوهام والسقم

قالوا : سيمضي مع الاعصار في دعة خبير له ولتلك الأم ينهزم (٢)

فقد استقر في وجدانه هذا الشعور الداهم ، على الرغم من تكهن المنجم له بأنه سيعيش الى الثمانين أو مابعداها ، ولكن علمه بخطورة علته جعله لاينخدع لكذب المنجم - وإن صدق - :

قول المنجم عمري قد يطول الى فوق الثمانين .. هجس من رؤى ثاني

لا .. لن يطول الى الخمسين أبلغها وعلتي داء قلب هائم عان (٣)

هذا الشعور بالموت وتمنيه تردد في دواوينه الأولى أي في مرحلة الشباب ، وقد تميزت تلك المرحلة بميزتين :

- مرحلة الخوف والفرع من الموت مع الرغبة فيه خلاصاً من الحياة .

- مرحلة تالية تتسم بالاتزان والهدوء مع التأمل في أسراره .

ويمكن حصر المرحلة الأولى فيما قبل الثلاثين ، والتالية بعد سن الثلاثين ، وأكثر ماجاء في الأولى أبيات في قصائد ومقطوعات مطولة فيها شعور بالحزن واحساس بالآلم تصل ذروته الى الاحساس بالموت أو تمنيه رغبة في الخلاص . وإن كان في المرحلة التالية قد نظم شيئاً من المقطوعات الكاملة التي تميزت بشيء من التأمل .

(١) طلعت ابو العزم ، الرؤية الرومانسية للمصير الانساني : ص ٤٩ - ٧٠ .

(٢) الأربعةون : ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥١٧ .

وليس القصد بهذا التقسيم وضع حدود له ، فربما تتداخل المرحلتان ، فليست القضية حسابية لها مقاييس ، وإنما التقسيم جاء على أكثر الشعر تبايناً في المرحلتين .

المرحلة الأولى :- أكثر الشاعر من ذكر الموت الذي تميز بالخوف والرغبة معاً ، ففي (وحي الهاجرة) الذي يصور قصة هواه ، يتردد ذكر الموت فيه متمنياً إياه خلاصاً من معاناته العاطفية ، ويتخذ فكرة سيطرة الموت عليه وعلى الأحياء ذريعة يلين بها قلب محبوبته :-

متى تتوين إسعادي فإنا وهذا الكون نفني والجمال^(١)

ويظهر الخوف والتمني معاً في كثير من قصائده ، فهو يتمناه خلاصاً من حياة العذاب والجفاء :

دعيني أصطفي أهلاً بأهل وأرجوع عيش سكان اللحد^(٢)

ولكنه يخافه ويرهبه وقد أحس أنه تسربل بسربال الموت أي أنه عدُّ في الأموات :

لقد ألقيت بين الهم حتى تخيلت الردى بعض البرود^(٣)

ويظهر خوفه منه حين يراه هادم اللذائد والسرور :-

أواه .. صمت القبر ران على حياتي واستضام الهول كل نعائمي^(٤)

ويشعر أن كل ما حوله يهدده بالفناء والموت ، فالكون يصرخ به : هاك الكفن .

والزمان يحثه على الردى ، بل إن القبر يدعو ، ويرى نفسه طريحة مكفنة . وهذا من شأنه أن يشعره بالأسى .

ويتخيل أنه يفارق الدنيا . فيتمنى أمنيات أخيرة من الحبيبة - التي لم ينل قربها -

أن تقف على قبره وتلقي السلام عليه وترميه بالأزهار وتبكيه :

(١) وحي الهاجرة : ص ٥١ .

(٢) السابق نفسه : ص ٥٩ .

(٣) السابق : ص ٦١ .

(٤) السابق : ص ٦٥ .

هبيني تخذت القبر ملجأ يائس فهلا توقفت بهذي البلاقع ؟
لتلق السلام الرطب من فيك ناعماً وترمين بالأزهار فوق محصارعى
وتبكين أهاتي وأيام صببوتي وأشعار آلامي لكبدي المنازع
وترثين مجنوناً بحبك في الصبا تولى به وجد وليس براجع (١)
ولكنه يحس بالحزن لأنها لن تفعل حتى هذا فلقد تعود منها الهجران :

لقد أصبح الهجران فيك سجية فياليئتي أمسي قتيل المراجع

وفي ديوانه (قلبي المناضل) الذي يشكو فيه قلبه المريض المتألم . يتمنى الموت خلاصاً من آلامه التي أذابت حشاشته ، فعلة قلبه كفيلة بذكر الموت . فهو يتخيل أن آلامه المداومة له تهدده بالردى وتسلب منه الأمنيات السعيدة ، ويتمنى الشاعر أحد أمرين إما صحة الجسم والشفاء وإما الموت والراحة من العذاب المرير .

ومن هنا ينشأ صراع في داخله بين استسلامه للألم والرغبة في الحياة وبين الموت ، « وحينئذٍ قد يأمل الشاعر في حياة تخلو من الألم والمعاناة أو في موت يخلصه من هذا الألم » (٢)

أتلوه الحياة بغير الشباب وصحة جسم تضيع نجاتي ؟
لئن طال هذا العذاب المرير فأين النهاية ؟ أين مماتي ؟
والأفــــــــــــــئــــــــــــن الهنا والرجــــــــــــاء (٣)

وهو هنا على شاكلة بعض شعراء الرومانتيكية خاصة في تصوير راحة الموت .

وفي ديوانه (مذبح الأشواق) ، مقطوعات تنبض بالأسى والألم والضيق الذي يودي الى الموت . وفي هذا الديوان يجمع الشاعر معاناته الجسدية والعاطفية معاً في حديثه متمنياً الخلاص منهما بالموت المعجل : -

فلقد فقدت منى حياتي الياسمة

ويئست حتى من نجاتي القاتمة

(١) وحي الهاجرة : ص ٦٧ . (وهذه القصيدة من أجمل شعره العاطفي)

(٢) الرؤية الرومانسية : ص ٨٤ .

(٣) قلبي المناضل : ص ١٢٧ .

ودعوت ربي في ممات عاجل

فمتى يجيء ويستبق (١)

ويطرد الاحساس بالخوف من الموت ، فهو يروعه رؤية بياض شعره في سن مبكرة ،
ويتخذه نذيراً بالشيخوخة ومن ثم بالموت :

رُوِّعت ٠٠ حتى شعرة في شاربي

قد نالها صبغ المشيب

أصباغ رعي في جنان المستحيل

في سنى العشرين في فجر الشباب (٢)

ويشكو للحبيبة هذا الشعور بقوله :

أحسست يا أختاه أجراس النذير

تهتز وسط محيطي الخالي الوفاض (٣)

وفي هذا الديوان حديث عن الموت والفناء والانتها ، وفيه يصور الشاعر حالته وما
آل اليه هيكله من جراء تكالب الداء والحب وشتى الأمور التي تضافرت عليه فجعلته سقيماً
كالشيخ ، مما جعله يتمنى الموت ، فهو إن عاش فسوف يعيش بحالته تلك التي يكون فيها
بقاؤه ووجوده كالعدم ، وصور هذه الحالة شاكياً للحبيبة : -

فبقاؤه ووجوده مثل العدم

سترينه شبحاً غريقاً في السقم

أو هيكلاً دامي الحواشي يلبس الجلد الرقيق

أو ما يشاء لك الفؤاد من الظنون (٤)

أما رؤيته للموت ففيها (رومانسية) حادة ، يرى فيه النعيم والضياء والنور والجمال
والأبدية والخلود السرمدى :

فمتى أنوب براحة القبر الرحيم

أقضي والتمس النعيم السرمدى بفسحة القبر الرديم (٥)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٩٢ ، ٩٤ .

(٢) السابق نفسه : ص ٨٤ .

(٣) السابق : ص ٩١ .

(٤) السابق : ص ٨٩ .

(٥) وحي الهاجرة : ص ١٣٧ .

إنه يصفه بالفجر الرحيم ، فجر حياة جديدة رحيمة أفضل من حياته الحاضرة ،
كما يصفه بالضياء وأنه حقيقة وخلود وصمت أبدي .
فتعال ياوضح الحقيقة والضياء
أقبل الي وعانق الشبح السجين
خذني الى الأبد السحيق
والى عوالمك الوضيئة في اللحد
فهناك أحياء ناعماً بالصمت والروح الطليق
وبضجة لذت لأرباب الخلود
لاضيم لا آلام لاحالي حزين
فمتى أنوب براحة الفجر الرحيم (١)

وتتردد هذه المعاني عنده ، فالموت راحة ونوم هنيء وقبر مضيء وفيه الأبدية :
- أين الممات وأين مني ضجعة في العالم الأبدي تذهب بالسقم
- أين الفناء وأين مني راحة في حفرة الأبد الصغير من الثرى (٢)
- كفانا بقاء يجدد فينا التعاسة
كفانا هموماً تهدد فينا الحياة
فهيا الى اللج والرقدة الناعمة
الى الأبد السساكن (٣)

أما المرحلة الثانية : فتميزت بالهدوء والاتزان وأخذت طابعاً من ثبات الشخصية
وهدوء الأعصاب وفيها الاستسلام للموت والنظرة التأملية (٤) لما بعده .
وأهم ما يميز هذه الفترة أن الشاعر يرى الدنيا فناً لا يبقى فيها خالد الا الفكر والفن
والأعمال الجليلة ، لذا فان عزاءه بعد موته أن يُخلد بأعماله :
حتى إذا غالني التيار في دعة أمضي مع النور رفات الى الخلد
وفي الدنا حسبنا الذكرى معطرة تبقى لنا نكريات الطيب والسعد (٥)

(١) وحي الهاجرة : ص ١٢٧ .

(٢) السابق : ص ١٢٩ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ١٢٥ .

(٤) انظر موضوع الرثاء

(٥) أنوار نهبية : ص ٢٤ .

لقد جمع كلمة (الاغتيال) و (الدعة) معاً في بيت واحد ، وهذا معناه السكينة والاستسلام والتروض على تقبل ذلك القدر .

وحين يرثى نفسه فإنه لايعبأ بذلك مادام أنه ترك أثراً محتسباً خلودها .

وعندما يتحدث عن الشعراء ومايقدمونه من أعمال ومآثر يذكر ندب الناس لهم بعد موتهم وحديثهم عنهم بما يشبه المديح :

ترك المآثر تزدهي بين السطور . . من الفنون . . على الشفاه النادية

هي ثروة المجد العريق وثورة الاحساس في أسمى حياة آتية (١)

وتنتاب الشاعر رغبة في الموت حقيقة لانه يرى أن بعده خلوداً وراحة :

وهم يريد

يريد الرحيل الى اللأنهاية

ينوب مع الضوء أو في السراب

مع الثلج أو في الضباب

وأنى له الراحة الخالدة

وعبء الحياة ثقيل مديد (٢)

ويحلم بالصمت والراحة التي عزت عليه في دنياه :

وأقابل الصمت الجليل وراحة عزت علي هنا وأحلم بالمنى (٣)

ومن أتم قصائده التي تمثل هذه المرحلة باتزانها وهدوئها قصيدة (جلجلة الموت) التي يرثى فيها نفسه وفيها يتمنى الشاعر الموت ليس طلباً واضحاً ، إنما بألفاظ معبرة عن حبه ورغبته لهذا الأمر الذي يعتبره خلاصاً من آلامه ، متأملاً سنة الله ، مصوراً نفسه وقد مات ودفن . . . (٤) وتتميز بالهدوء والتأمل في منأى عن الخوف والجزع .

إن هذا الحديث عن نكر الموت وتمنيه ليس بالأمر الذي يستحوذ على ذهن الشاعر وفكره فلا ينفك عنه في كل شعره ، بل إنه قد يخرج عن هذا الشعور - الذي قاده اليه والألم والمعاناة وذروتها - يخرج الى شعور بالاشراق - أحياناً - فيرغب في الحياة

(١) أنوار ذهبية : ص ١٨ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٣) أنوار ذهبية : ص ٣٩ .

(٤) انظر تحليلها في الرثاء .

ويتمناها ، يحاول التأقلم مع أحوال نفسه ويتمنى النجاة مما يعانیه وتحقیق أحلامه :-

أبیأتی یوم بعمری تحقق فیہ أمانی الحیاة ؟
ویبسم لی قدری بالرضی عن شفاه ولا كالشفاه ؟
ویغمرفجر الجمال مداي ویأتی علی متنهاه ؟
ویحظى سسجین الضلوع ببعض الرؤی والسنامن مناه ؟ (١)

ویعبر عن ظماً نفسه للشفاء مما يحسه من آلام :

ظماً بنفسی للسلامة من مرارة دائیا

فمتی یحین شفائیا (٢)

كما أنه يتمنى القرب من الحبيبة التي تمثل عنده دنيا سعيدة ، فهو إن وجد مناه هذه لعاش حياة المتقين وأهل الخلود :

فأطوي الحیاة كائنی من الخالدين

وأعبد ربي كما يعبد الأتقياء

وأبسم للناس مثل الملاك وأهل الخلود (٣)

ویعبر الشاعر عن تمنیه الحیاة وسعادتها ، ولكنه یعود فیشعر بمعاناة فی الحیاة فیغتم ویحزن . وهكذا لا یطرد الشعور بالكآبة والشعور بالاشراق ، إذ طالما یتعاقبان وإن إقبال الشاعر علی طیبات الحیاة من سماع الأغاني والتغزل والهیام فی جمال الطبیعة المشرقة - أحياناً - كل ذلك من باب الرغبة فی الحیاة ، وشعره الأسری أكثر اشراقاً وحباً فی الحیاة لأنه یمثل عالمه الخاص السعید بطفولة أبنائه ومناسبات عائلته :

ویرى بمحضهم فؤادی ظلّه وأفاق أفراحي وموكب جنتي

وأحس أني والریبع وظلّه عدنا نغرد للحیاة وبهجتي (٤)

ونظرته لما بعد الموت لیست كلها نظرة (رومانسیة) أساسها الاحساس بالآلم وتمنی الخلاص فی راحة الموت وإنما تأتي - أحياناً - نظرة مدركة لحقیقة الموت بعیداً عن الانفعال والثورة ، فهناك الجنة وهناك شفاة الرسل ﷺ ، وهناك النعیم والخلود ، وإن

(١) قلبی المناضل : ص ١٠٩ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٨٤ .

(٣) السابق : ص ١١٨ .

(٤) أنوار ذهبية : ص ١٢٧ .

الدنيا فناء وسراب بدون أعمال جلييلة وإيمان وتقوى وفضيلة : -

هذه الدنيا سراب .. بل فناء .. دون أعمال جلييلة (١)

وقوله : (والروح تفرح في الجنان مع الحنين) (٢)

فالرسول ﷺ قال :

« لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فان كان لابد متمنياً للموت فليقل : اللهم
أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » (٣)

فالشاعر يعود الى نفسه - أحياناً - ويخرج عن حدته ليتأمل هذه الحياة والممات
بتصور سليم الى حد ما بما يتطلبه منه دينه الاسلامي .

* * *

(٣) الصمود والتحدي :

جبل الإنسان على تحدي الآلام ومقاومتها رغبة في البقاء ، وهي غريزة فطرية
أودعها الله في النفس ووهبهم عليها العزم والقوة لمقاومة مصاعب الحياة ، ووعد الصابرين
جزاءً عظيماً .

فمن خلال شعر الحزن والألم لدى الشاعر تكشففت أبيات عن قوة عزمته واصراره
على مقاومة الآلام ، وقد أعلن عن عزمه على تخطي العقبات واحتوائها واصراره على
الحياة برغم كل ما فيها يقول :

ساعيش رغم الليل والألم العميق بالرغم من دائي ومايفنى مداه

ساعيش بالحرمان اعتصر الرحيق من كرمة الأوهام والأمل الخفوق (٤)

يظهر التحدي والعزم على مقاومة الآلام ، وفي كلمة (ساعيش) وتكرارها تعبير
عن اصراره ، والليل في البيت الأول إشارة الى كآبة حياته ، ومن يقرأ شعر الرجل يجده

(١) الأربعون : ص ١١٩ .

(٢) قلبي المناضل : ص ١٤٠ .

(٣) حديث متفق عليه .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ١٣٣ .

يمتلئ بالشعر الحزين الذي تتخلله أبيات فيها عبارات التحدي والمقاومة ومحاولة التسامي والتصبر على الآلام ، وهذه المعاني تشف عن لحظات اشراق وسعادة مرت بحياته جعلته يقبل على الحياة . وإن كان هذا الاشراق أنى وقتي مايلبث أن يزول لأنه وليد وقته ، ربما من حادثة سارة مرت بحياته ، كزواجه أو ولادة أحد أبنائه ، أو حين أجريت له جراحة القلب فأحس ببارقة أمل تهبو وتشرق فتشرق أبياته ولكنها تزول بزوال السبب .

وحتى الأبيات التي تكسوها السعادة ينم داخلها عن شعورٍ بالحزن ، لأن الحزن أساس في حياته والآلام مستقرة داخله ، فلا تتم له الفرحة ، وتنتابه مشاعر متباينة ، حين يتردد بين درجات اليأس والرجاء ، وعندما تخف حدة الآلام التي تعتلج في أعماقه يلمح بارقة أمل فيهبو إليها وإذا بعزمه يقوى ويشتد فيهدر بأبيات تبت العزم والقوة . فبداية العام الهجري الجديد فرحة ينتهزها الشاعر فيلون هذه المناسبة بوجدانه ويخلع عليها من ذاته ويكشف عن صدى هذا في نفسه من حب يشع على الآخرين وفرح وسرور يصيب حظه منه ، وحين ينقلب الى حاله يفتش فيه عن أسباب المنغصات التي تحرمه من الفرح والسعادة ، يحاول إبعادها عن طريقه ليطمئنه ذلك ، فهو مثلاً ينتهز المناسبة ليبت للحبيبة شكواه من بعدها ويدعوها الى الكف عن الهجر : -

- أرايت يا أملي المحبب وحدتي تقسو علي وأنت سارة الفؤاد
أشد ووجدني يستبد بمهجتي يا أنت .. يا حلبي الجميل .. كفى البعاد
- لأرى بقربك عيد أفراحي الوليد وأشم أنفاس المحببة والوصال^(١)

وبما أن فترة السعادة قصيرة ، فالأبيات المعبرة عنها قليلة ، إلا أنها تكشف عن صبره في مواجهة الآلام ، ويلمح في شعره الحزين كثرة الشكوى الى الله لجوءاً الى خير ملجأ :

قد أظلمت حولي الأفاق وأصطرعت أمالي الزهر بين اليأس والسقم
والجسم أضنته علات به عظمت حتى عرى القلب هول الهم والهم
وحيرتي بلغت أعلى مدارجها ومأملني في عطايا الله بالرحم^(٢)

وتتراعى للشاعر آمال عريضة في شعره الطموح الصامد ، وهو يصرُّ على تحقيقها ومنها الاصرار على النضال بالكلمة المعبرة ، ومتابعة المسيرة الأدبية التي حصر نفسه لها :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

(٢) السابق : ص ٢٥٤ .

سأعيش عملاقاً يشعل قلبيا حب الحياة وشوقها ورسالتي
أنا لي أمان شامخات طائلة أحيا لها بارادة الروح الطموح (١)

ولا يخلو كل ذلك الصبر والتحمل من مرارة وعناء :-

أبقى وحيداً ذاهلاً أشكو الجوى

وأحاول السلوان والصبر المرير (٢)

بعد ذلك يخرج البحث بنتائج واضحة في شعر الذات تتلخص في نزوعه الى المذهب الرومانتيكي توافقاً وانسجاماً لا عن تمذهب .

* * *

التيار الرومانتيكي في شعره :

لقد اتضح مما سبق من الحديث وجود خصائص لشعر عبد السلام الوجداني ترتبط بالمذهب الرومانتيكي الى حد كبير . وأوجه التلاقي بينه وبين المذهب كثيرة متمثلة في :

- حياة القلق والشكوى والأين والتمرد ، وذلك مايردده الشاعر الرومانتيكي لسبب أو لآخر ، وهي عند شاعرنا نتيجة لأزمات نفسية واجتماعية وجسدية تضافرت عليه - كما سبق شرحه - .

- الاغتراب والوحدة والعزلة ، وذلك يدن الشاعر الرومانتيكي الذي يحاول الهروب من حاضره وماضيه وربما من مستقبله ليعيش مفرداً وحيداً وإن شكا الغربة والوحدة الا أنه يجد فيها هروياً من واقع الى ذكرى ، ومن معاناة فردية الى معاناة المجموع .

- اللجوء الى الطبيعة وتشخيصها والوحدة بين أحضانها ، فالخيالي الرومانتيكي يجعل الطبيعة تتوافق ونفسية الشاعر ، ونفسيته كئيبة حزينة موحشة لذلك « يألف الرومانتيكي مناظر الطبيعة الوحشية وينشد فيها وحدها العزاء . » (٣)

(١) الأعمال الشعرية ص ٥١٠ (وافظه « يشعل » تكرر عنده كثيراً وهي ليست فصيحة) .

(٢) السابق : ص ٩١ .

(٣) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية : ص ١٧٠ ، ١٧١ .

- التآرجح بين حال الرضى والسخط والأمل واليأس ، ومحاولة التحدي والصمود والتحرر من الضغوط النفسية ، وذلك دليل على عدم الاستقرار وعدم ثبات الحال الانفعالية وتموج النفس حدة ورقة وتوتراً وتراخياً ، وهذا يعبر عن المزاج الرومانتيكي المتقلب .

- الذاتية المفرطة ، والاتكاء على العاطفة والتسامي بها ، والتركيز على الخصوصيات والمشاعر الفردية ، كل ذلك من سمات الشاعر الرومانتيكي الذي يعلي قيمة الوجدان والذات والخيال على الفكر والواقع ، والإعتداد بالفردية والانغماس في قضايا الوجد والحيرة والاعتزاز بالفن والشعر بدرجة عالية ، فالشاعر الرومانتيكي يجد في أدبه وشعره قيمة عظيمة لاتعادلها قيمة ، لذلك يسعى اليه بكل جوارحه وروحه .

- تبدى في كثير من عناصر مضامينه وشكله الاستمداد من التيار الرومانتيكي حتى في ذلك اللون من أدبه الواقعي .

وبهذا فعبد السلام يستهدي أسلوب الرومانتيكيين ويحنو حنوهم ، ويمكن أخذ ظاهرة وجدانية عرفوا بها في شعرهم ، وتتبع في شعر عبد السلام وهي :

« احساسهم بوطأة الحياة والناس وتمنيهم أمنيات خيالية تنأى بهم الى عالم جميل من السلام أو الحرية أو الجمال » (١) .

فمن يتتبع شعر عبد السلام يجده ساخطاً على الحياة والناس لأنه لم يجد مايسره في هذه الحياة ، ولأنه وجد التناقض يملأ الكون فأحس بوطأة الحياة عليه وأحس بنفور من الناس وأخلاقياتهم (٢) وعبر عن ذلك بقوله : -

عفت لقي العوالم والنجوة الخاسرة

ظنت الناس أنى لكرامها

راغب .. او سارجو دعاياتها

لا أرى غير من هاجه العطف يسعى ليا

إذ يداجى باخلاصه

أو يمارى خليلاً بترحيبه

(١) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني : ص ٢٤٠ .

(٢) انظر ذلك في التأملات .

جلهم في يقين الزمان التعس

بين باغ وعاد وواش كذوب

هائم الحس جم العيوب

ناكر الفضل والعهد .. غاوي السبيل (١)

ومن هذا الاحساس بوطأة الحياة والناس يتمنى أن يفر الى عالم رومانسي حالم .
فيتمنى أمنيات خيالية ؛ أن يصبح شيئاً غريباً كأن يكون راهباً ... أثر النسك والعزلة ،
أو طيفاً أو نسيماً أو فراشاً أو الا يكون شيئاً لينجو من حاضره ولياليه :

ليتني راهب في مخابي الجبال

أثر النسك والبعد عن غزته الدنى

ليتني صائم الدهر في وحدة

تبعد الروح والفكر والجسم عن أفقهم

ليتني شبه طيف جميل

أو نسيماً تعلق به العالمين

أو فراشاً على النور والزهر كب الجبين

ليتني لم أكن .. ليتني !

كنت ناج من الحاضر المستميت

والليالي التي في صلاحها فنيت (٢)

إنها أمنيات خيالية مجنحة وهي ماعبر عنه د . عبد الله الحامد ، بصوفية جبران
وتهويماته يستعلي بها الشاعر عن دنيا الآلام الى دنيا حاملة هروباً من الواقع .

الا أن الشاعر قد ينفرد بشعور آخر لانه يجد التفاهة في هذه الدنيا ، لأنها دنيا لن
تحقق له النجاة ، بل إنه بهذه الأحلام الرومانسية يشعر أنه يعيش على هامش الحياة
كالشفق الذي لا يظهر الا وقت الغروب على هامش السماء أو كالسحب التي ماتلث أن
تتساقط ماءً ، أو كالرمل الذي يداس مهيناً ، أو الزيد الذي سرعان مايزول ، هذا كله
يوحي بأنه لايعيش حياة طبيعية ، بل هو على هامشها ، ومن هنا يكره الحياة بواقعها
وبحلمها ويتمنى الرحيل :-

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) السابق : ص ١٠٨ (وراهب لاينبغي التعبير بها ، وقوله كنت ناج ، صوابها : ناجياً) .

- عمر حبي لئن عشت مثل الشفق
قد تلونت كالسحب أو كالرمال
أو أرى كالحباب طغى فوق مر الكؤوس
- ما الذي أرتجي في البقاء ؟ (١)

وفي هذا التحول ما يدل على التناقض أو الصراع الشديد في النفس ، فالمقطوعة مجمع لحالات نفسية مصدرها الألم . وهو هنا يحذو حذو الرومانتيكية بكل سماتها حتى شكل المقطوعة المتحرر من وحدة القافية أيضاً يناسب ظاهرة التجديد عندهم .

بين عبد السلام والشابي : - ومن أكبر الشعراء الرومانتيكيين الشابي ، وإن ما بين عبد السلام والشابي من خصائص المزاج والميول ، ما يسمع بقيام الواشجة بينهما ، فهما يلتقيان في أمور عدة ؛ سقم الجسم والداء ، الذاتية المفرطة ، الخواء العاطفي ، أحزان وآلام ، طيبة القلب ، المقاومة والتحدي ، الشكوى والأين . . . الخ

وهذه الواشجة جعلت لشعرهما صوراً متشابهة في المضمون والألفاظ والعبارات ، وأنماط الأسلوب - أحياناً - وحتى في أسماء بعض القصائد . فقد جمعت على الشابي « ضروب العذاب ، وألوان الشقاء ، ففجرت فؤاده بالأغاني ، وألهبت قلبه بالحب ، وقادته إلى حياة صوفية سامية ، تميزت بتبرمه العنيف ، وثورته الجارفة . . . » (٢) .

وهذا ما عهد عند عبد السلام . وإن حياة الشاعرين تميزت بكثير من التشابه ، فقد أبتلى الشابي بما أبتلى به شاعرنا بمرض القلب (٣) ، وبالفشل في الحب والخواء العاطفي (٤) الذي كان نتيجة موت المحبوبة عند الشابي ، والفراق عند عبد السلام . فكان شعرهما ترجماناً لحياتهما ، فكثرت الحديث عن القلب المتوجع المتألم ، وتكرر لفظة القلب ويا قلبي . . . ولهما معاً قصيدة (قلب الشاعر) تتحدثان عن الألم ومخاطبة القلب ، وتتشابه كثير من أسماء القصائد ومضامينها وأفكارها وأحياناً بعض ألفاظها وأدائها ، فمقطوعة الشابي (نشيد الجبار) تأتي بعض ألفاظها وأفكارها في مقطوعات لعبد السلام مثل مقطوعة (انطلاقة إلى الحياة) التي بدأها بقوله :

(١) الأعمال الشعرية : ص ١١١ .

(٢) أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره : ص ٢٥ .

(٣) السابق نفسه : ص ٤٧ - ٥٩ .

(٤) السابق : ص ١٢٣ - ١٢٦ .

بالرغم من قيدي ومما التقى
سأضيء في كوني على الليل الشقي
(١) ومن الشكوك تهدد باقي مأمني
وأغير في وجه المذل لموطني
كما أن بعض عباراتها وألفاظها ترد عند عبد السلام كقوله :

سأعيش رغم الليل والألم العميق
سأعيش بالحرمان أعتصر الرحيق
(٢) بالرغم من دائي ومايفنى مداه
من كرامة الأوهام والأمل الخفوق

ففي البيتين شبه بيت الشابي في قصيدته السالفة الذكر :

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة السماء

ولعبد السلام مقطوعة (الجبار الصغير) فيها شيء من قصيدة الشابي المملوءة
صموداً وتحدياً . كما أن حديث الليل عند كليهما حديث عن ليل كئيب جاحد مظلم ،
ففي (أيها الليل) عند الشابي و (الليل الطاغي) عند عبد السلام .
وهناك (بين الأمس .. والغد المجهول) لعبد السلام فيها من قصيدة الشابي
(جدول الحب بين الأمس واليوم) .

والشابي من الشعراء الرومانتيكيين الذين تحدثوا عن نواتهم ، وكان لشعراء المهجر
أثر كبير في شعره وفكره ، وأدب المهجر : « أدب يمتاز بتبرمه الناعم وثورته الجامحة ،
وصوفيته الحاملة ، وضروب شتى من ألوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول
والآمال ... » (٣)

وهذا وجه من أوجه التشابه بينهما . حيث ظهر عبد السلام متأثراً بشعر المهجر
- أيضاً - وبصوفيته وتهويماته وتبرمه ، إضافة الى ماسبق الإشارة اليه من تأثره
بشعراء الرومانتيكية وتأثره بالأدب العربي القديم .

فهذه أمور يلتقي فيها مع الشابي . وإن ظروف حياتهما معاً هي التي أورثت
هذا التشابه . الا أن عبد السلام يبدو متشائماً الى حد كبير عن الشابي ، بينما يبدو
الشابي أكثر تفاؤلاً بالرغم من التشابه الكبير بينهما ، فكلاهما يحاول الهروب من واقعه ،

(١) الأريعون : ص ٩ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ١٢٣ .

(٣) أبو القاسم كرو ، الشابي حياته وشعره : ص ٩٧ ، وانظر: الشعر العربي في المهجر / محمد عبدالغني حسن : ص ٨٥-٨٠

وعبد السلام يهرب الى عزلة ووحدة قاتلة بعيداً عن الحياة والناس . كما تعبر عنه بعض الأبيات لديه - بينما الشاببي يهرب الى أحضان الطبيعة البكر يغني ويعزف أشجى الألحان بجوار شياحه ، فتغني معه الطيور الشادية والجداول والهضاب ، وكل مافي الطبيعة . . فهو يهرب من واقع مرير الى واقع جميل . بينما شاعرنا يهرب من واقع مرير الى وحدة أشد مرارة .

وهذا الفارق بينهما إنما منشؤه الأرض والبيئة التي نشأ عليها كلاهما ، فأرض تونس خضراء جميلة يستطيع الشاعر أن يسبح في أرجائها متغنياً هارباً بهومومه وألامه ، أما أرض الحجاز فقاحلة لاتستهوي الشعراء ، ولذلك يقل شعر الوصف والتغني بالطبيعة .

وهذا القول ليس معناه أن عبد السلام نسخة مكررة من الشاببي ، أو مقلد متبع للرومانتيكيين ، بل إن الظروف المحيطة به هي التي ساعدت على بروز هذا التشابه وبهذه الدرجة ، ولعله وجد في أشعارهم وفي شعر الشاببي خاصة ما يعبر عن مكونات نفسه وخوارج روحه .

وفي حياة خليل مطران - أيضاً - وما تعرض له من مآسي شبه من الظروف التي أملت بعبد السلام ، مما يجعل لشعرهما أشباه .

وختاماً فإن ما ذكرته من أحواله وظروفه النفسية في هذا الفصل يدخل في نسيج شاعريته ولكنه لا يشكل هذه الشاعرية ، إذ أن الشاعرية موهبة وقدرة على الابداع تحكمها الخاطرة التي تعين على ولادتها عدة وسائل فردية تعتبر الجوهر في العمل الأدبي .

* * *

الفصل الثاني

المرأة وشعر الغزل
في حياة الشاعر

المرأة وشعر الغزل في حياة الشاعر

يحتوي هذا الفصل ما قيل في المرأة ومكانتها في شعر عبد السلام ، فقد حظيت بمكانة الصدارة ، واكتظت دواوينه وكتبه النثرية بالحديث عنها في جميع جوانبها المختلفة وحالاتها المتعددة ، أما أو زوجاً أو بنتاً أو أختاً أو حبيبة أو كانت مجرد جمال ملهم أو حواء بعامة في قضاياها المختلفة ، ومن تحدثوا عنه لاحظوا شدة اهتمامه بالمرأة ، يقول الدكتور عبد الله الحامد : « وهذا الشاعر من أكثر شعراء المملكة حديثاً عن المرأة : زوجة وأختاً ومعالجة لقضاياها ، من حجاب وسفور ، وعوائد زواج ، وكثيراً ماوقف يدعو المرأة الى حظيرة الدين حيث الراحة بين أطفالها وزوجها في عش هادىء . . . » (١)

وحديثه عنها حديث العالم بأسرارها المستكنة للغزها الى حد بعيد ، والمهم هنا ماكتبه شعراً ، فقد نظم الكثير فيها ونظم أكثر في المحبوبة التي كان لها أبعد الأثر في حياته . وسوف يخصص الحديث هنا عن المرأة الحبيبة والمرأة بعامة ، أما ما يخص المرأة : زوجة وأماً وبتناً وأختاً فذلك مكانه الشعر الأسري .

ويكشف البحث عن آراء ومواقف خاصة في نظراته للمرأة ، كما يكشف عن نوع الغزل عنده وكيفيته وأثر الحبيبة في حياته وفي تطلعاته الفنية . هذا وقد استقل الحديث بدراسة خاصة لقصة حبه عن موضوع الغزل ، لوجود فرق واضح بينهما فكل له ملامحه الخاصة . أما ما يخص قضايا المرأة فذلك لوحده ، وقد جاء من وجهتين : وجهة رومانتيكية تتعلق بمشاركات الشاعر لها في مشاعرها وأحزانها ورغباتها . وجهة واقعية متمثلة في نظراته ومواقفه فيها فيما يتعلق بأمر حجابها وخلقها وتعليمها وزواجها ، ومن هنا فإن الفصل يشمل :

١ - التجربة العاطفية .

٢ - الغزل .

٣ - مواقف ونظرات .

* * *

١ - التجربة العاطفية :

سبق الحديث عن موضوع تجربة الشاعر العاطفية أثناء الحديث عن سيرة الشاعر وشعر الشكوى والألم وأسبابه ونتائجه ، وكان مما ذكر هناك أن هذه التجربة العاطفية من أهم أسباب شعره الحزين الباكي ، وأنها كانت سبباً في انطلاقه بالكثير من شعره الشكوى والأنين . وهنا يقف البحث على دراسة قصة حبه لبيان أثرها في وجدانه وشعره وتطلعاته الفنية . ولم يقف البحث عند هذه النقطة عبثاً ، بل لقد لوحظ أهمية هذا الموضوع في حياته وموهبته الشعرية ، كما أنه حاز على جزء كبير من نظمه مما يوجب الوقوف عنده لتلمس خصائص هذا الشعر وملامحه وأسلوب أدائه فيه . ولقد لوحظ اختلافه عن شعر الغزل والنسيب عامة في بعض ملامحه وتوجهاته ، كما أنني رأيت في تعبيراته عن الحب معنى روحياً يختلف عن كلمة الغزل وماتحملة الكلمة من معنى الحسية - في الغالب - غير أنه لا يمنع أن تتمثل (فاطمة) في كله أو بعضه .

والحديث عن الحب عند شاعرنا يمثل انطلاقه بالمشاعر الرقيقة الشفافة العذبة التي تستقى موهبتها من الإلهام الجمالي ، فإن أهم ما أثر في موهبته الشعرية والأدبية ذلك الحدث العظيم في حياته ؛ حبه البكر لفتاته (فاطمة) . ومن خلال حديث للشاعر قال : « إن هذا الإلهام الطفولي هو ما فجر في داخلي ينبوع الموهبة الأدبية ، حين رأيت الفتاة ، أو بالأصح طفلة لم يتجاوز عمرها تسع سنوات . وكانت جارة لنا . فعندما رأيتها توقفت أتأملها ، فإذا بها تفجر بداخلي موهبة الشعر فكانت هي مصدر الإلهام » (١)

وقد تحدث الشاعر عنها كثيراً ذاكراً اسمها صراحة ، يقول الشاعر : « إن ترداد اسم فاطمة في قصائدي سبب لي مشاكل عائلية جمة ، ولكني تحديتها وتغلبت عليها ، وقد أسميت ابنتي الكبرى (الزهراء) تورية لفاطمة ، وأنا فخور باسمها » (٢)

وجاء أسلوبه في عرض قصته بأساليب مختلفة : فالأول أنه قد يخصص ديواناً بأكمله للحمة حبه كما في ديواني (وحي الهاجرة) و (مذبح الأشواق) وهما من بواكير نظمه حيث يحوي (وحي الهاجرة) قصائد يرجع تاريخها إلى سن السابعة عشرة من عمره ، وهما بأسلوب السرد القصصي ، على أنه يختلف فيهما ، فالأول يحوي مجموعة

(١) حوار مع الشاعر .

(٢) السابق .

قصائد تصف مراحل القصة وتطورها تبعاً للأحداث ، ويربط الشاعر بين أجزائها بما يعين على تصور مضمون النص داخله ، حيث قسم المجموعة أربعة أقسام : ربيع الحب ، في الهاجرة ، بعد القطيعة ، المعبد المرجوم ، ومن خلال هذه الأقسام يتضح مضمون المحتوى فيه . أما (مذبج الأشواق) فيحوي أربع مقطوعات ملحمية ، أولها (نبوءة الشاعر) تحكي قصة حبه بطريقة قصصية متسلسلة لا انقطاع فيها ولا تبويب ، أما الثلاث الأخريات فمن الشعر الحر يصف فيها نهاية مأساته في حبه وحياته كلها .

والأمر الثاني : لايشمله حكم عام إذ هو مجموعة قصائد مستقلة متناثرة في ثنايا الدواوين الأخرى مثل : (ترانيم الصباح) (ألحان الأمل) (الفجر الراقص) (أضواء ونغم) (أنوار ذهبية) (الأربعون) . وهذه القصائد لاتصف القصة كاملة ، إنما تحكي أطرافاً منها ، وتتحدث غالباً عن غير فاطمة .

ويحرص الشاعر على التقديم لدواوينه بكلمة نثرية ، مبيناً أثر قصته على وجدانه وأهميتها في تهيئة الاحساس ويقظته ، كما يصدره بكلمة عن تسلسل أحداثها في حلقات متتالية ، فقد جعل (وحي الهاجرة) الحلقة الأولى ، و (مذبج الأشواق) الحلقة الثانية، أما الحلقة الثالثة والأخيرة فهي كما يقول : « مذكراتنا عن هذا الطم القديم باسم (الحب القدسي) . . . وسيحين الوقت لنشره عندما تنسى أهم الأحداث والناس فيه ، بين المجتمع الذي شهد القصة وعاشها » (١)

والحقيقة أن الدواوين ليست على وتيرة متسلسلة ، بل كل ديوان يستقل بطريقته في عرض القصة من جميع أطرافها وكثيراً ماتكرر فيها الأفكار نفسها وبالتسلسل ذاته - أحياناً - والذي يهم هو التطور في أسلوب الأداء والتجديد ، فديوان (وحي الهاجرة) يحوي قصائد بدائية شكلاً ومضموناً تتبع المنهج التقليدي في التعبير عن الوجد واللوعة والألم والبكاء على الطلل شبيهة بالشعر العذري في العصر الأموي وبعض العصور الأخرى ، فإن الأرض تورث الأجيال روحها قبيلاً فقبيلاً كما يورث الآباء أبناءهم . أما مذبج الأشواق فهو ذو طابع خاص ، أخذ فيه بالجديد في الشكل القائم على التحرر من نظام القصيد واستخدام اللغة والرمز المعبرين عن عظم المأساة عنده .

(١) مقدمة وحي الهاجرة : ص ١٥ .

وقد قضى الشاعر فترة صباه محباً عاشقاً متيماً بفتاة (فاطمة) ، وعاش فترة حب عنيفة ، ولكنها تبدو عنيفة من جانب واحد ، ولم تدم قصة هواه طويلاً ، اذ بادت بالفشل الذريع وانتهت بالفراق الذي أحكمه أهل الفتاة حين رفضوا تزويجه بها مما سبب له حزناً عميقاً ترجمه شعره . فأصبح الحزن والألم صفة غالبية على شعره العاطفي عامة . يتحدث عن اللوعة ، ومرارة الذكرى والدمع المنسكب والبكاء على الماضي . يقول الدكتور بكري شيخ أمين عن غلبة الألم في الغزل السعودي : « وهي ظاهرة تكاد تميزه من غزل سائر البلدان الأخرى ؛ لاتمر على قصيدة فيه الا وتطالعك صورة الألم بشتى ألوانه كالبكاء ، والأنين ، والشكوى ، والسهر ، والقلق ، والتمزق ، والحرمان ، والشك ، وما أشبه هذه الامور . ولئن شذ فصور جمال اللقاء ، وفرحة الوصال ، وحلاوة الأيام ، إن ذلك أمر نادر فيه أو قليل » (١) .

وهذا مما ينطبق على عبد السلام ، وفي رأيي أن ذلك ميزة جوهرية نفتخر بها ، لأن منشأها التمسك بالدين القويم أولاً ، ثم التأثر بالبيئة المحافظة التي تمنع الاختلاط ومن ثم اجتماع المحبين ، وما الشعر الا تصوير صادق للمشاعر والأحاسيس ، ومعنى ذلك أن الشعر السعودي في معظمه صادق لايعبر الا عن الحدث المؤثر في الوجدان ، لذلك يكثر فيه شعر الألم والشكوى ، وإن تغني الشاعر بالفرحة في الحب فذلك من منظور نفسي أوحاه خيال الشاعر المبدع . وشعر عبد السلام الذي يكسوه الفرح والسعادة قليل جداً . وحتى هذا الشعر الذي يشف عن سعادة واشراق لايطرد فيه الشعور بالسعادة فسرعان ما يعقبه الحديث الحزين ، ومعظم أسماء القصائد تبدو حزينه باكية (٢) . كما أن الألم مصدر للعبقرية لأنه يفجر بداخل الفنان طاقات هائلة من الشعر الرائع .

- أما صورة تلك الفتاة الملهمة لعاطفته وموهبته فهي صورة مطموسة ، لم يستطع الشاعر استتارة ذهن القارئ وخياله في رسم صورة مثالية لتلك المخلوقة التي فجرت في داخله ينبوع الشعر ، أو أن يتخيل لها موقفاً انسانياً مع الشاعر . ويأتي وصفه لها

(١) الحركة الادبية : ص ٢٣٧ .

(٢) انظر قصائد (وحي الهاجرة) .

تجريبياً لا يحدد سمات الجمال ولا يستحوذ على المشاركة الانفعالية . لذلك هو قليل الوصف لها ، وإذا وصف لجأ الى التجريد بما لا يعكس تجربة انفعالية محددة كقوله :

ياقظم أنت جمعت الحسن بالفتن من مبسم الغيب أم من نوره العطر؟

أم من بهاء السنن يزهو على الزمن أم من كمال الورى أعطيت للبشر؟

آيات سحر ترد القلب للزهر

أراك كالغصن رياناً دنا عندي في قامة لست أدري ما أوصفها

ياروعة جل فيها الوصف . . ياسهدي أنت الملاحه لا أقوى أوصفها

يا ليتني أستطيع اليوم أقطفها (١)

هذه صور تجريدية ، وقد حاول أن يبرهن على درجة جمالها بعدم قدرته على الوصف مما أضعف أسلوبه ، فضلاً عن تكرار القافية .

وينشأ الوصف لديه من انطباعات ذاتية بما يخلفه هذا الجمال في نفسه ووجدانه . وقد قاس جمال عينيها بكثرة الضحايا وإثارة الحب وبأنها سهام تأسر ، وأنها سر حبه ومشعل خياله :

- فعيناك أواه كم من ضحايا لها في وجود الهوى والجمال

وعيناك كانا هما سرحبي وأهدابها الوطف تذكي الخيال (٢)

وقوله : - فيالي من عيونك كم غزاني بها سهم رمى بي في القيود (٣)

وأحياناً يعبر عنهما تعبيراً وجدانياً رائعاً ، الا أنه لا يخرج عن كونه وصفاً لأثرها

في نفسه :

- عيناك صمت جميل . . بل صدى نغم يسري مع النور في أجواء أهاتي

- عيناك بوح لآمال أكاتمها ويحلم الحسن في ظلاتها . . يرنو (٤)

ويأتي بحشد متتابع من الألفاظ ويسندها الى الحبيبة بصور متلاحقة لانمو فيها .

وهذا الحشد المتتابع من الصور المعنوية بطريق العطف والإضافات ميزة غالبية على

أكثر شعره ، ولكنها أوضح في العاطفي ، كقوله :

(١) وحي المهاجرة : ص ٢٢ .

(٢) السابق نفسه : ص ٢٠ .

(٣) السابق : ص ٥٩ .

(٤) ترانيم الصباح : ص ٦٤ ، ٦٥ .

ربيع الحياة وسحر الشباب وروح الصبا
صفاء المعاني وسر الجلال وخمر الهوى
نقاء الصفات وفن الجمال ونور المنى

أرى كلها في فتاتي الاربعة (١)

ويقرب الشاعر هنا من طبيعة وأسلوب الشابي الذي أغرم باستخدام حشد متتابع من الألفاظ « يستعيز بها عن عناصر الصورة الشعرية الأخرى من مجاز وتشبيه ومقابلة وتركيب عبارة ٠٠ » (٢) .

وأوجه التشابه بينهما كثيرة (٣) ، وذلك نتيجة لحالة التقلب وعدم الاستقرار والثبات على الحالة الانفعالية بسبب المرض والقلق والمعاناة الحياتية التي لاتسمح للشاعر أن يطيل ويتفنن في رسم صور أكثر دقة وجمالاً .

- يستأثر الشاعر بالحديث عن نفسه وعاطفته كثيراً ، فلا يظهر دور الحبيبة الا فيما ندر فقد حُجبت عنه ولم يعد يراها ، وقد أثار ذلك حزنه فتكرر عنده لفظ (حجبوها) (حجبوك) وغيرها :

وحُجبت عني ، والفؤاد بحبه كسجين اغلال ، مريض بالأسى (٤)

وقد نظم مايشبه الموشحة أطلق فيها صرخاته الباكية الثائرة على التقاليد التي حجبها عنه يقول فيها :

وفي لمحة البرق ماست كطيف شرود

وأغضت بنجل تحير فيه القصيد

وراحت تضم الستار وفي الجسم عطر البهار

وتصفع وجه النهار

وتسلم في ثورة نفسها للاسار :

ضلال التقاليد نحيا لها كالعبيد (٥)

(١) الأعمال الشعرية : ص ١١٧ .

(٢) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني : ص ٣٦١ .

(٣) انظر بين عبد السلام والشابي .

(٤) وحي الهاجرة : ص ٣٩ .

(٥) السابق : ص ٧٣ ، ٧٤ ، الا أنه لايجب له أن يعترض على الحجاب الشرعي .

وهي من أجمل مقطوعاته فيها تصوير بديع لأله وحزنه ، كما أنها على مستوى راق من الصياغة واللغة . أما الفتاة فلم يعبر عن حزنها الا في قصيدة تصف وقع فعل أهلها بها يقول مترجماً رسالة منها اليه :

- وأبكي بكاء الشكالي لأنني فقدت الخليل وأسباب فني
علي جنوا في ربيع الشبيب فمن لي بمن يدفع الضر عني
أكاد أذوب حنيئاً اليسه ويحطم رأسي جنون الفكر^(١)

وفي البيت الثالث تظهر الأنا وحب الذات بما ترجمه من رسالتها ، وكذلك تبرز الأنا في كثير من شعره وتتضخم الى حد ما ، حين يسترسل الشاعر في عرض عواطفه الملحة ، ويسيطر عليه الموقف الغرامي ، وقد كثر عنده استعمال الأفعال الأمرية والتي تبرز ذاتية فردية واضحة أمثال : [اذكريني ، عليني ، امنحيني ، اسعديني ، هاتي ، اسكبي ، ارفقي ، اسمعي ، انيري ، تعالي ... الخ] .

يقول الدكتور عبد الله الحامد معلقاً على أسلوب الأمر في الغزل انه : « أوامر عسكرية ، وصور هزلية »^(٢) .

أما التعبير عن المشاركة الوجدانية ، فقليل لديه ، وتأتي في دواوين متأخرة كقوله في ديوان (أضواء ونغم) :

تعالني نجدد أيامنا ونذكرى الصبابة والعاشقين
ونعتنق الروض والجدولا ونحتضن الكون والعالمين
ونشدو الحياة مع العابرين
تعالني نذوب بحضن الربيع ونعصر كرم الهوى للضلع^(٣)

فالتعبير بالجماعة وداد مشترك وأحلام متفاعلة تستجلي الروض والجدول والربيع . وتصل الأنا عنده أحياناً الى ما يسمى بالنرجسية التي يصبح الشاعر فيها « مطلوباً ، فظهر الشعر يصور المرأة تتلف وتلتفت ، تلاحق الرجل وتفتش عنه في حنين وظماً عارم ... »^(٤) .

(١) وحي الهاجرة : ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) اتجاهات الشعر : ص ١٢٥ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٤٠٦ .

(٤) اتجاهات الشعر : ص ١٢٠ .

و (راهب الفكر) أكثر الدواوين تعبيراً عن هذه النرجسية والاغراق في الذات ، فهو يتخيل أن الفتاة تشاغله حتى تلفت نظره اليها (١) وتظل تراقبه ولا يدري بها وتهواه وتمنحه الجمال (٢) وتدعوه للقاء البريء (٣) .

ويضل به التخيل أنها مسحورة بشعره تطارده وترقبه :

لا يا الهي .. فالفتاة بنغمتي مسحورة .. عشقت حياتي الشاعرة
تهفو اليّ عبير يفغم نجوتي وصباة تحنوبنفسى الحائرة
أبدأ تطاردني وترقب همستي هي عندليب هائم في روضستي (٤)

ويسرح بخياله بعيداً فيتخيل أن أسراباً من الفاتنات يتنازعن عليه ويرغبن في

صحبتة :

وحولي سرب من الفاتنات تضوعن في قلبي الشاعري
ينازعنني .. من ترى أصطفيها ؟ وتسعد بالفن والشاعر (٥)

وهذه الأنا وحب الذات تكثر في دواوينه المتقدمة وشعره المتأخر لا يخلو منها تماماً

كقوله :

تحبينني يا أمالي ؟ ويهتف ثغرك .. أنت المسرة
أفاتنتي .. ترتجين الوصال ؟ وكيف ؟ وهذي السدود
تحد خطانا .. تكبلنا للجفاء المرير الحقود
فرحماً بقلبك وانسي صباياته بي .. فأنت غريرة
فعيشي بحبك مثلي على هيئمت الخيال الجميلة (٦)

يخاطب فتاته وكأنها طفلة في (طفلة الحب) فهي بريئة تحبه وترجو وصاله ، ولكن

الآبيات تخفتت بكلمات مثل : (مثلي) ونون الجماعة في (خطانا ، تكبلنا) وفيها

أسلوب جميل رقيق .

(١) الأعمال الشعرية : ١٤٦ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٤٩ .

(٣) السابق : ص ١٥٠ .

(٤) السابق : ١٥٤ .

(٥) وحي وقلب والحان : ص ١٧٩ .

(٦) أنوار ذهبية : ص ٨٧ ، ٨٨ .

وهذا الاغراق في الخصوصية والذاتية والانغلاق على النفس منشؤه الشعور بتبعات مرضه وحاله .

وقد حاول الشاعر أن يخطب الفتاة ولكن أهلها رفضوه بسبب حالته المادية آنذاك ، إضافة الى مرضه وقد أخبرته الفتاة أن أهلها يودون تزويجها بغيره مما كان له أثره في حزنه وغضبه وانفعاله . وفي (راهب الفكر) يصف مرارة قهره من رفضهم له :

خطب الاليفة وارتجاها وانتظر حتى أتى الايجاب يلحق نفسه (١)

وقد تسببت هذه الحادثة في ثورته على الآباء ممن يجبرون الفتيات على الزواج قهراً ، يقول الشاعر ساخطاً :

يا أبوها الغبي .. قد رميت بها في خضم اليباب

وحرمت الذي قدس الحسن - أغلى أماني الشباب

مارعيت لنا حرمة الحب والأمنيات العذاب (٢)

أما ذلك العذول فقد وصفه أوصافاً شتى (٣) وجعله مستهدفاً للبرهنة على استحقاتها حبه :

سعد الدعي بحبه ويوصلها

وتغلبت حكم القرابة بينهم

هذا وذاك وغيره ..

من نسل عائلة لجد واحد

تعساً له .. يابئس ماقد يفهمون (٤)

هذا وقد أصبحت نظرتة هذه الى الأب والعاذل نظرة عامة ليست خصوصية ،

ولكنها مستمدة من تجربته هذه . فأصبحت له مواقف خاصة تمثلت في قصصه العاطفية

والاجتماعية وفي صوغ تجارب الآخرين شعراً .

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٥٣ .

(٢) وحي الهاجرة : ص ٩١ .

(٣) انظر ذلك في مواقف ونظرات .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٦٦ .

وأخيراً لا يجد إلا الاستسلام للقدر ملاذاً من همومه ، فالحب قدر يستسلم له الشاعر أحياناً وأحياناً أخرى يتمرد عليه » والنظر الى الحب باعتباره قدراً احساساً أثير لدى الشعراء العذريين العرب ، ولدى الشعراء الرومانتيكيين الأوربيين . وهو يحمل إحياءات كثيرة متناقضة ، منها الرضا والتسليم ، ومنها التبرم والتمرد ، ومنها اعطاء الشعور بالتمكن وعدم امكان الفكاك . « (١)

ثم إن تموج الشاعر بين الرضا والاستسلام والغضب والتمرد سمة رومانتيكية - أيضاً - ، وقد ظهر ذلك بخاصة في نظرته للحبيبة على أنها خائنة غادرة :

قلت : يافطم ردي الحجاب الذي غمّ عينيك بالذهب المستعر (٢)
لذلك يحاول نسيانها :

سأنساك رغماً وأسلو المواضي وأذكر أنني رأيت الصلال (٣)

ولكنه يعود يتراخى لأن حبهما مازال عالقاً بقلبه :

تزيدنني بالقللا والتأبي أزيدك حباً عظيم التفاني
تعلقك القلب يافطم غمراً ولم تكبري عن سنين ثمان (٤)

ويتأرجح بين الرومانتيكية والكلاسيكية في التعبير عن حبه ، فمرة يبكي وينوح ويستضعف نفسه أمامها :

سأبكي ماصحت نجم الليالي وما أغفت على سر سعيد (٥)

ويصل به البكاء الى التذلل :-

إنه يطرق الباب لكنه ما أجيب ولا قلت من زائري ؟
فارتمتي يمسح الأرض من دمعته ويناجيك في لهجة الحائر (٦)

(١) محمود الربيعي ، قراءة الشعر : ص ٥٥ .

(٢) وحي الهاجرة : ص ٥٣ ، وانظر الأعمال الشعرية : ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٣٣ .

(٤) السابق ص ٤٣ .

(٥) وحي الهاجرة : ص ٦٠ .

(٦) السابق : ص ٧٧ .

ولكنه مرات أخرى يستعلي بنفسه ويحس بأنفة واعتزاز وكبرياء ، وهو الأكثر عنده فتبدو ألفاظه ومعانيه رقيقة شفاقة فيها التعبير بالاستعطف والرجاء والعتاب . . الخ والطبيعة دورها في شعره العاطفي يتخذها الشاعر أنيساً يأنس اليه ويشاركه همومه وفجيئته بالمأساة ، وقد مرّ فيما مضى في حديث الذات كيف أن الطبيعة محطة يلجأ اليها الشاعر هروباً من آلامه وأحزانه ، وهو ماسوف يركز عليه في موضوع (التأملات) فهو هنا يعبر عن مشاركتها له في الفجيعة فكل جميل متحطم بين يديه جزئاً : -

والمزهر الشادي تحطم في يدي أس على حالي وفقد مغانمي
حتى رياضي أقفرت من زهرها وانشق فيها جذب جيل أثم
فارتاع اخواني لهول مصيبتني والأم تشهد بعض سري الجاثم^(١)

وقد سلك أسلوب الحوار بينه وبين أهله وأصدقائه ليثير في النفس كوامن الشعور والانفعال^(٢) بما يصفه من دهشة هؤلاء من حاله وسؤالهم السبب فيرد عليهم أن يكفوا حديث السؤال : -

أين سجع الأماني على مزهرك بين غيد تناجين في غرفتك
كنت تسمعنا من حديث الصبا فرحة الحب تزهو على مبسمك
كنت شرباً تصد البلى عنك حتى فتنت بنصب الشرك
مالك اليوم خارت قواك التي أسفرت عن جنون دهى مسلكك
قلت : يا قوم كفوا حديث الملل أصبح القلب عندي كثير الوجل^(٣)
وارفقوا بي ولا تكثروا حيرتي أي نعم جن عقلي ، فهل من أمل ؟

ومن هنا يشعر بالوحدة وبالحرمان لأنه لم يعد يتغنى ويشدو ويناجي ، فيلجأ الى الليل يحاكيه ولكنه يشكو وحشته وظلمته ، فيلجأ الى القمر ويحادثه ، ويحادث الطيور، وفي كل الأحوال يتجه الى الحبيبة يستعطفها ويشرح حالته وأثر هجرها ويعدها في نفسه:

(١) وحي الهاجرة : ص ٢٩ . (وقوله أس ، صوابها : أسيا)

(٢) انظر تفصيلاً لذلك في الغزل .

(٣) وحي الهاجرة : ص ٦٣ .

ألا كم أناجي البدر في كل صحوة فيمحق من همي وتكبو دسائعي
الا كم أنادي الليل : ياليل زدتنني شجوناً وأهات تضييم مطامعي
فاسأل طوراً عنك يانشوة المنى وأشكوك من هجري وقفر المواضع
وطوراً أجاري الخط في أي ثوبه وألبس أفناناً من الروع جازع^(١)

هذا التكرار والالاحاح في الأسلوب في نظام متتابع ، يدل دلالة واضحة على شدة المعاناة وعظمتها في نفسه ، وإن في الأفعال المضارعة نفسها دلالة استمرار المعاناة ومداومتها .

- وحين تحولت القطيعة الى فراق وفقد أبدي تحولت حياة الشاعر الى دنيا أدمع ورتاء ، وتميزت هذه الفترة من الشعور بالفقد ، بالحسرة على الحب الضائع أو الندب على الحب الميت ، ومن ثم جاء أسلوبه رثاء حار مؤلم ، وليس هناك موت أو فناء ، وإنما هو انتهاء فترة زمنية مرت من عمر الشاعر وأصبح عاجزاً عن اعاتها ثانية ، ومن هنا ازداد الحزن بفقده ، وإنه ليتخيل أن هناك قبراً مما يوحى بالموت والفناء يبدو ذلك من أسماء القصائد : (الغرام الطعين) (رماد على القبر) (رحماً على الحب) وغيرها ، كما أن ألفاظه تشي بذلك : (مات ، نعى ، هوى ، ولى ، ضاع ، انقضى ، غاب ، قُبر ، كُفّن ، تغرّب ، تردى ، استشهد .. الخ) .
ومقطوعة (رماد على قبر) من أشد شعره تصويراً لهول الفاجعة على قلب الشاعر ووجدانه ، فقد جعل من الحب حلاً ، وجعله شيئاً مادياً له حدود وأبعاد ، فوصفه بالمعقل الحصين وبالقصر المنير ليجسم حوله أشباح الدمار والهوان يقول فيها : -

(١) وحي الهاجرة : ص ٦٦ ، ٦٧ .

حلم الشباب أضاعه العمر الغرير هبت عليه عواصف الزمن الشرير
دارت يد المقدور حول قصوره وتشبثت في أفقه عدوى الشرور
حتى أتت بنيانه من قاعه وتزلزت أركانه بين الجسور
فهوى رميماً بالياً وسط الصخور

ويلاه هذا المعقل الفرد الحصين لعبت به ريح البلى ويد المنون
صفعت مناظره وأدمت سمعه ومحت مآثره وضجت في جنون
ياشاعر الأشجان قد مات الغد واندك صرح الحب في القبر المهين
حاذر فهذي من تهاويل السنين^(١)

لقد استطاع الشاعر أن يعطي صورة لشعوره الحزين بفقد حبه بل وبموته وذلك
بصور استعارية مجسمة ، والمقطوعة كلها قائمة على التصوير الاستعاري في تحويل
المجردات والمعنويات إلى أجسام حية ماثلة للعين ، فالحب والحزن والألم الدفين في أغوار
النفس ، أصبحت كلها خراب ودمار وهياكل ، فالجراح أصبحت تُرى بالعين ، والمشاعر
أصبحت رماداً ، والدماء تتن وتنوح ، والحب تجسم في شكل قصر ومعقل أصابه
الخراب والدمار من كل جهة . كل شيء أصبح فناء .

وتتابع الأفعال (صفعت مناظره وأدمت سمعه ومحت مآثره وضجت في جنون)
تصف فداحة الأمر ، بحيث لم يعد يفرق بين الريح والرياح فأصبحت كلها دمار وعذاب .
هذه المعاني تتكرر عنده محاولاً فيها أن يعطي صورة حية لمأساته ، وقد وصف الحب
بالحلم أكثر من مرة ، لما في الكلمة من معنى الشعور بضياح الأمل والفناء . وهو حلم
أوسد قبره :

- واهاً لماضيها الصريع

(١) وهي الهاجرة : ص ٩٦ - ٩٩ .

كيف انقضى حتماً تردى في القبور (١)

واستشهدت أحلامنا بين التغرب والجحود (٢)

ولم يعد له بعد هذا الفقد الشامل الا الرحيل هروباً بنفسه من تلك الذكرى المؤلمة :

سلام على عهد نجواي قبل الرحيل
سلام على الحب والبؤس يوم الرحيل
وداعاً لذكرى الحبيبة عند الرحيل
(٣) وداعاً أخيراً من اليأس بعد الرحيل

وفي هذا التكرار مايدل على ترده في عزمه ، وكأنه يتمنى أن يمنعه أحد من الرحيل ولكنه قطع الأمل الذي كان يراوده الى آخر لحظة حين قال : (وداعاً أخيراً من اليأس . . .)

بعد ذلك أصبحت قصة هواه مجرد ذكرى يتغنى بها ، وقد تميز شعر هذه الفترة بالوقوف على الأطلال كما في القصيدة التقليدية ، يتردد على دارها أملاً في نظرة منها تأسو جراحه (٤) . وإذا وقف على دارها بكى في شجن على الماضي الذي ماتت به أيام سعده وصفوه . ومقطوعة (مغاني الحبيب) طالية تعبر عن شوقه الى تلك الديار ، يسترق اللحظات ليزوره خلصة فيحوم حوله كالفراشة للزهر :

يادارها إني أجيئك خلصة في كل يوم كالفراشة للزهر
لأدور حولك طائفاً في خشية من رهبة الماضي وأحلام الصغر
أشتم عرف الذكريات وأنتشي بعبيرها وأقبل الأثر الخصب
وجدارك الصماء أئتم سطحها وأمرغ الأضلاع في الطلل الحبيب (٥)

صورة شعرية كلاسيكية فيها تقليد واتباع . ولكن في ديوانه (مذبح الأشواق) الصورة تتطور فلم تعد الأطلال عند الشاعر كما لم تعد أمثاله أيضاً « بقايا حقيقية

(١) الأعمال الشعرية : ص ٦٤ .

(٢) السابق نفسه : ص ٩٠ .

(٣) السابق : ص ١٢٦ .

(٤) وحي المهاجرة : ص ٢٧ .

(٥) السابق : ص ٤٩ - (وقوله : وجدارك الصماء ، فصيحها : جدارك الأسم) .

لدار مهجورة أو خربة بل أصبحت أطلالاً نفسية ترمز الى احساس الشاعر بفقد أشمل وأعمق وأطول من فقد تجربة عاطفية محدودة أو مكان أو زمان بعينه « (١)

فقد تحدث عن مرابع الصبا ، وقد طاف بها يمتع عينيه ويطلق خياله ، ولكنه وجد فيها وحشة وأسىً ويأساً يصخب ، يقول فيها : -

أطفت بحي الصبا والجمال أمتع فيه الرؤى والخيال
وأطلق سرح النهي في الظلال يعرید من سحر ذاك الجلال
ويغفو على العشب بين الكروم
وماكدت أخطو خطاي المعثر وأجتاز بعض الطريق المعفر
إذا بي على وحشة تتضور أسىً .. وقلبي الهوى قد تنكر
وتلك المغاني نداء الهشيم (٢)

ثم يسأل الطبيعة ، فيم النواح ، وفيم يدمدم زهر الأقاح ، ولم الربا دامية جريحة، فتارت به الرياح ، ومدّ الضباب أيديه بالشرر ، فخاف الشاعر وتاه كأعمى في زحمة التخيل والرموز التي أسكبها في هذه اللوحة المعبرة عن احساس عميق بالألم والشعور بالفقد الشامل . وقد صاغ هذه الأبيات بصور استعارية تكشف عن شعور موحش ، اعتمد فيها على قوة الألفاظ وشدتها لوصف مناظر دامية حزينة ، ولكنها تبدو متناقضة مما يوحي بعدم الصدق الفني ، فكلمة (المعفر) في البيت الرابع كذبت الرؤى السابقة في الأبيات قبلها وأصبحت الصورة الخيالية متناقضة في المقطوعة.

وتأتي ذكرى الشاعر أليمة حزينة فيها الاحساس بالاستحالة في اللقاء ثانية ، وخيبة الأمل في الرجوع ، بل اليأس منه ، بل السخرية والتهكم من مجرد التفكير في اللقاء ، كقوله يخاطب فتاته :

أنت لي وحدي .. لقلبي . للخيال ! انه حلم .. وأنت الحب وحدك
أنت لي وحدي ؟ محالٌ .. هراء أنت حبي ؟ يالها من معضلات (٣)

(١) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني : ص ٧٣ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) السابق : ص ٥٥٠ - ٥٥٢ .

وهذا الشعور بالمستحيل ، واليأس تمثل في دواوينه القديمة ، وهو مازال قريباً من عهد الحب ، ومازالت رواسب المعاناة كامنة في قلبه ، ومازال ذلك الصراع والتوتر والقلق قائماً في داخله ، كشفه أسلوبه ، حيث تبدو ألفاظه بين الحدة والرقّة . فمن ندب وصراخ الى هدوء عميق وتأمل رقيق في الماضي ، ففي مقطوعة (الذكرى الأولى) يتذكر ماضيه ويجد في ذكراه هموماً تسحق رأسه ، وقد نظمها من الخفيف على المربع يقول

فيها : -
خطرة كادت تسحق الصفوكه وتفري في رأسي المضمحة
فكرة الماضي والمعاني المله ربضت في زي الردى المستديم
- كان لي عهد لم أكن فيه باسم وجفوني ما بين باك وساهم
كلما طافت ذكريات النعائم خفق القلب حالماً للنعيم (١)

والمقطوعة عبارة عن تأمل في الماضي ، وكأن الشاعر يحادث نفسه وهو يصف ماضيه فتقطع انفاسه مع كل كلمة وجملة (خطرة .. كادت تسحق .. وتفري .. في رأسي ... فكرة الماضي ، والمعاني المله ، ربضت .. في زي الردى ... الخ) هذا التقطيع أهات تخرج من قلبه تحمل معنى الحزن العميق ؛ حزن صامت رقيق ، مع الموسيقى العذبة الرقيقة وهي من أجمل ذكراه ، ومثال آخر يوضح الفرق جلياً بين أسلوبه وتقليباته ، قصيدة بدأها ببيت الأصمعي الذي يقول فيه :

(أيا معشر الأحباب بالله خبروا إذا ضاق عشق بالفتى كيف يصنع ؟)

واسم القصيدة (كيف يصنع) ويجب هذا الشاعر بقوله : -

ياصاح تسألني بأسرار المحال ماذا سيصنع عاشق ذاق الوبال ؟
ضاقت به الدنيا لفقد حبيبة ساقته كأس الحب يوماً بالخبال
أقصته عنها لاتجيب نداه يشكو اليها وهو يلحف في السؤال
لاتذهبي لاتغربي يامنيتي ياشقوتي يافتنتي كف النضال (٢)

فهذا نموذج تظهر فيه استخدامات لغوية تقليدية تتبع القصيدة التقليدية، وفي البيت

الرابع خشونة في مخاطبة الحبيبة وأوامر منفرة غير لائقة بقصيدة عاطفية .

(١) ألحان الأمل : ص ٢٠٦ .

(٢) السابق : ص ٢١٨ (والقصد من كلمة ساقته في البيت الثاني : أي سقته هي لابلالتواب) .

واختلاف الأسلوب يتبع الحدّة العاطفية أو خفوتها والاستكانة الى النفس في تأمل وحزن عميق كما كان في مقطوعته الأولى . هذا وإن قصائد الذكرى أصبح لها شأن آخر في دواوينه التالية ، فهي أكثر اتزاناً وهدوءاً ، وقد زالت - قليلاً - رواسب الحزن العميق إذ أصبحت مجرد ذكرى لم يعد يفكر في اللقاء ثانية ، ولم يعد يذكرها الا حين يمر به هاجس من اسمها أو صورة تشبهها ، وذلك يبدو في ديوانه (ترانيم الصباح) و (الأربعون) .

فاسم فاطمة حين يتردد على مسمعيه يجد فيه حلاوة وجاذبية ، ويحاول أن يبعده حتى لا يتذكر ماضيه الأليم الا أنه يحيط به :

يطوف بكوني صباح مساء يجلجل في مسمعي بالنداء
عجبت له مستتبداً حنوناً يهوم قربي بأحلى ضياء^(١)

وهناك عدة قصائد تتحدث عن اعجابه بقربيات لها رأى صورتها فيهن ، كما أنه يتخيل رجوع الحبيبة اليه ولكن في عالم آخر غير عالمه المرير ؛ عالم خيالي فوق القمر حيث السلام والنقاء والفضيلة .

الا أن حديثه في دواوينه المتأخرة وخاصة ديوانيه هذين يعتريهما ضعف الأسلوب ويرود العاطفة . وهذا من شأنه أن يدل على أن الانفعال بالتجربة يرقى بالأسلوب ويؤجج العاطفة .

- ومما يهم هنا في هذه الدراسة لقصة هواه ، أن الشاعر بعد فشله الذريع حاول أن يجد بديلاً أو بلسماً شافياً له ، فمر بتجربة أخرى ، وجد فيها حياة جديدة مليئة بالآمال المشرقة . وقد نظم قصته المعروفة ب (تلميذتي) جامعاً فيها بين القصة والشعر، متأثراً في ذلك بجبران خليل جبران في كتابه (الأجنحة المتكسرة)^(٢) والقصة لمحة من سيرة الشاعر الذاتية أو المذكرات الشخصية تحدث فيها عن حبه الأول والثاني ، مصوراً مأساته الأولى ، وديناه الجديدة التي جعلت منه انساناً غيره في الماضي : « إن من يرى الشاعر

(١) ترانيم الصباح : ص ٩٠ .

(٢) قول الشاعر شخصياً .

اليوم كأنما يرى انساناً غيره في الماضي القريب ذلك البائس الحزين الذي أوشك أن يصرع بعد أن يئس في حبه وتاه في صحراء الحياة . . . » (١) ويقول : « لقد أصاب الشاعر في تلميذته نبغاً من السعادة في هذا الحب - وان كان الى أجل - فقد انتصر على آلامه وعلى الزمن ، بل ويتخيل كأنه قد وجد من جديد . . . » (٢)

إذاً فهناك أكثر من فتاة في حياة الشاعر ، وكل منهما كان لها نصيب من الشعر ، فأيهما أكثر نصيباً ؟ وفي أيهما كان أصدق عاطفة من الأخرى ؟ وكيف كان أسلوبه في كليهما ؟ هذه الاسئلة تحتاج الى أجوبة ، وقد مر كيف كان أسلوبه في الأولى ، والآن يشير البحث الى أسلوبه في هذه :

- إن مقدار الأبيات والقصائد التي قيلت في فاطمة تفوق عدداً عما نظمه في تلميذته ، فقد استحوذت على معظم دواوينه ، حتى المتأخرة منها :

دنوت من الأربعين وحببي لها في الخيال يشب بجنبي (٣)

أما التلميذة فقد خصها بقصته هذه .

- إن ماتتضمنه قصته لا يختص بالثانية فقط ، إنما يجمع الحكايتين معاً ، عاقداً صلة بينهما من ظلمة حياته بعد الأولى واشراقة الحياة بالثانية . وإن أطول مقطوعة فيه (بعث) لتحمل صوراً من المعاناتين معاً معبراً عنهما بالشعر الحر .

- كان حبه للأولى في سن مبكرة ، فقد كان عمره آنذاك قرابة سبع عشرة سنة ، وهي في التاسعة من عمرها ، وقد يقال إن مثل هذا الحب لا يكون كما صوره الشاعر في شعره ،

وقد يصدق هذا ، الا أن الشاعر عاش فترة غير قصيرة هيأت له أن يراها وهي تقترب من سن النضج ، فذلك أحرى أن تظل كوامن الحب مترسبة في أغوار نفسه ،

(١) تلميذتي : ص ٤٨ .

(٢) السابق ص ٤٩ .

(٣) ترانيم الصباح : ص ٩٥ .

فضلاً عن أنها أول تجربة يمر بها حركة كوامن وجدانه وتفتحت شاعريته على حبها .
وطريقة الشاعر في المناجاة والتعبير عن الحب في قصته لا تختلف عن الطريقة
السابقة ، الا أنه يوفق - أحياناً - في الصياغة واللغة والتصوير ، ويمكن ضرب مثال
واحد لذلك من مقطوعة (نذير) جاءت من الكامل رباعية الأبيات أوحى فيها بألفاظ معبرة
عن الخوف والرجاء والقلق والوحشة والغربة لفقد تلميذته بعد سفرها الى بلدها الشام ،
يقول فيها : -

من لي إذا أصبحت أشهد وجهها	وأرى محياها ينير حياتنا ؟
من لي إذا غضب الزمان وخائني	واشتط يثأر من غرام شبابتنا ؟
وبقيت وحدي أئدب الماضي الذي	ولى بمركبه هباء زماننا ؟
من لي إذا هجم الظلام وراعني	في وحدتي لقا خيال مرعب ؟
ونظرت حولي لا أرى غير الدجى	يلقى على وشاحه وتمر بي :
ذكراك أجهش في بكاء صامت	والجسم يرعش في مهيب تغربي !
أواه ياليلي .. أيقضى بيننا	بالبين .. والدنيا تعيد تعذبي ؟ ^(١)

هذه التساؤلات تعبر عن صدق العاطفة وتأججها وقد كرر جملة (من لي) في
المقطوعة تسع مرات وتكرارها في حد ذاته يوحي بالفقد ، وما يعقبها من جمل استفهامية
تحكي حواراً ذاتياً مع النفس ، وان شعوره بهول هذه الأمور هو ما جعله يتساءل : من
لي .. وقد أشرك الطبيعة معه في حزنه ، وقوله : (من لي إذا هجم الظلام وراعني ..)
وقوله : (لا أرى غير الدجى) ، تلك الصور المتتابعة من ظلام ودجى تزيد
الاحساس بالوحشة وهما وحدهما لا يسببان الوحشة ، لأن الظلام شيء مألوف للإنسان
العادي ، أما ما يجلب الوحشة فقوله (يلقي عليّ وشاحه) . فالوشاح الذي القاه الدجى
في وجه الشاعر في ظلام دامس هو ما سبب له الوحشة .

والمقطوعة تزخر بجملة صور وصياغات بليغة تصف معاناته المريرة بصدق وانفعال

قويين .

وبهذا فإن أسلوب الشاعر المتنوع في قوته وضعفه وعلوه وانخفاضه لا يدل على مدى العاطفة وتأججها بقدر ما يدل على القدرة على الأداء ، فلا يمكن الحكم على عاطفة الشاعر من خلال شعره فقط ، لأن شعره في الأولى نظمه في سن مبكرة في أول نبوغه ، وقد تطور مع مر السنين حتى ظهر بشكل راق رفيع - وإن كانت هذه ليست على الإطلاق - ، وقد حاول الشاعر بثتى الوسائل تصوير قصته الأولى ، وكان أسلوبه يتأرجح بين القوة والضعف ، وذلك بسبب التدفق العاطفي وشدة المعاناة العاطفية والنظم المبكر . أما الثانية فلم يكن بحاجة الى كدح ذهنه للابتكار - وقد ملك زمام مادته - فظهر نظمه ثابتاً جيداً في أكثره إضافة الى أنه في الأخيرة كان يحكي حاله معاً .

وقد تميزت قصته (تلميذتي) باللغة الشعرية العذبة حتى الأسلوب النثري غلبت عليه الروح الشعرية من قوة في العاطفة وبعد في الخيال . وبهذه القدرة الفنية ، لا يمكن الحكم على درجة العاطفة من خلال الأسلوب فقط .

* * *

٢ - الغزل :

الغزل عند عبد السلام حافظ من الأمور التي أخذت حيزاً كبيراً من نظمه الشعري، وتكاد دواوينه تعجُّ بالعشرات من القصائد الغزلية ، فقد أكثر من التشبيب بالنساء وهو من الشعراء الذين يعشقون الجمال ويرونه إلهاماً ومرتعة روحية . وهناك دواوين غلب عليها الطابع الغزلي أكثر من غيرها كديواني : (الفجر الراقص) و (الأربعون) .

والجمال لديه يمثل قيمة سامية ، يحسها بقلبه ووجدانه . كما هو إلهام وباعث على النظم . يقول الدكتور عبد الله الحامد : « إن الشاعر من الذين يستعينون بالغزل والحب لتوفير المناخ اللازم لإنشاد الشعر » (١) .

ويمكن تفسير قوله هذا أن عبدالسلام كان يضرم مشاعره باطلاق العنان لنفسه والحنين إلى الماضي واسترجاع المواقف ليثير الانفعال .

ويبدو أن حب الشاعر لفتاته فاطمة كان كافياً ليفجر بداخله شعر الغزل وانطلاقه على لسانه كالسيل ، فكلما لاح له طيف فتاة أو مر به جمال تذكرها ، فحبه والجمال مصدر الهامه ، يستمد غزله منه :

إذا ماتغزلت في غيرها فإني بها أستمد وحسبي(٢)

وحب الجمال لديه للتغني بروعته وقد عقد لقاءً أبدياً بين الحسن والشعر في قوله :

الشعر والحسن رقائق على الخلد هذا لهذا أفاويق من الشهد (٣)

ومن هذه الصلة الأبدية يرى أن الحسن ليس له إلا الشعر : (وهل للحسن إلا الشعر والغزل) (٤)

وإضافة الى مامر من غزلياته في قصة تعلقه بفاطمة فإن هذا الجزء سيعني بالكشف عن جانب آخر من ملامح شعر الغزل عنده بما يدل عليه من معاني التودد ومحادثة النساء وإن كان الشاعر لم يوفق في التحرر من ماضيه الأليم . إذ تتميز غزلياته بنبرة الحزن الذي يطغى على تعبيره ، وهو ينبع من وفائه للذكرى القديمة ومن حالته المرضية . لهذا يلح الشاعر على الجميلة أن تعوضه عن الحرمان الذي لقيه يقول :

(١) اتجاهات الشعر : ص ١٢٤ .

(٢) ترانيم الصباح : ص ٩٦ .

(٣) أنوار ذهبية : ص ٣١ .

(٤) الأربعون : ص ٧٢ .

رأها وفي مقلتيه جلال الهوى والحزين
وفي ناظريه شرود وهمس وذكرى أنين
أفاتنة الروح مهلاً ففي الدرب قلب حزين
رأى فيك أحلامه تستفيق بكل الفنون
فغناك أنشودة من لهيب الصبا والفتون^(١)

هذه تعبيرات توحى بنفسية إنسان محطم القلب مليء بالحزن ، ويرغب فيمن يروح
عنه هذه الهموم وينسيه حزنه .

وتكثر ألفاظ الحزن والقلب الحزين في غزلياته التي تأتي ترويحاً وهروباً من ماضيه

الحزين : يارقصة حيرى بليل الفتون خلّي رؤاك تهدد الأفق الحزين
ودعي فؤادي اليوم ينسى الأنين بالقرب منك ويسأل الحسن الضنين
الشهد والوصل الطويل مع السنين^(٢)

ويتمنى بذلك ألا تقسو عليه وألا تضن عليه بجمالها الشافي :

- بربك إن عرفت الحسن يشفينا فلا تدعي حنان القلب يقصينا^(٣)
- لاتضني .. فالشباب في زوال والزهور النضر تذوي لامحال^(٤)

وهو يثور ويغضب إن ضنت عليه الجميلة ، فسوف يذوي جمالها وينتهي إن لم
يخلده شعره : جمالك لولا غرامي وشعري وتشبيب قلبي به .. بالورود
سيغدو خيالاً يتوه ويسري بدرب الجفاف وليل الشرود

ولا عطر يبقى لتلك الورود^(٥)

ويتكرر هذا الأسلوب بما يشبه التهديد ، ويحتد أسلوبه فيجعل من الجمال تمثالاً
يموت في كفن النهاية ، فيجف الثغر الباسم ، ويغيب الصدر الشامخ ، إن لم تنصت
الجميلة لنداء شعره ليذود عنه ويحميه من الزلل .

وهنا تبرز الأنا والذات ، والاعتداد بالفن والشعر في ذاتية واضحة فيها استعلاء

وكبرياء :

(١) ديوان الفجر الراقص ، من أعماله الشعرية : ص ٥٥٤ .

(٢) السابق : ص ٥٦٨ .

(٣) الأربعون : ص ٧١ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٤١٧ .

(٥) الأربعون : ص ٧٧ .

والحسن هل كانت مباحجه .. بفتنتك العباد

الا بمنظاري وشعري والتأمل في اعتداد (١)

فالغزل لديه تنفيس عما يكابده وسلوى لأحزانه ، كما أنه متعة لاحساسه وروحه ،
يقول الشاعر مفسراً قضية الغزل لديه إنه : « نفثات مصدر ويوح أحاسيس في مختلف
معاناتها .. وهو كذلك أحلام شاعر يتصور بالأمه ... » (٢)

فهو يجد في الغزل دنيا سعيدة مشرقة كاشراقة الجمال في نفسه مليئة بالحسن :

وأبصر دنيا من الحسن يهفو لها الص والقلب يشكو الوجيف (٣)

ولا ينشد الشاعر جمال امرأة بعينها ، بل ينشد جمالاً مطلقاً ، فهو إن لم يجد
جمالاً أنتويًا بحث عن جمال آخر ، كجمال القمر - مثلاً - يجد فيه حبيباً مثالياً ، يلجأ
اليه بعد ضياع الأمانى يقول في مقطوعته (إروني يا قمر) :-

ولم يبق إلاك ياسحر حبي تضوء للعاشقين .. لدربي
وأسبح في فتنة تحتويني وبأسلاكك البيض والطيب قربي
بفضية الضوء يروي شعوري وألتمس العطر رغم التناهي
ففي أفقك الرحب سر العبير ونجواي والشعر ياوحي قلبي
ألست مسائي الرغيب وصوتي الودود؟ (٤)

أسلوب جميل سلس عذب تشترك فيه الحواس ؛ بتصوير بصري ، سمعي ،
شمي ، حركي ، ذوقي . ومن هنا فهو يتمثل الحبيب شيئاً خيالياً ويراه مثلاً لكل جمال :

حبيبي المثالي يا حلم قلبي تناديك روحي فهلا تليبي ؟
حبيبي المثالي ياسر حبي يناجيك حسي لترقص قربي (٥)

وفي مقطوعة (يا أنت) ينشد الجمال المطلق حين يخاطب فتاة مجهولة بقوله (يا
أنت) يدعوها أن تظل قربه في حياة ساحرة :

(١) الأربعةون : ص ٩٨ .

(٢) مقدمة الأربعةون : ص ٥ .

(٣) انوار ذهبية : ص ٨٩ .

(٤) السابق : ص ٤٥ ، ٤٦ . (وفي البيت الأول تضوء ، صوابها : تضويء)

(٥) ديوان الفجر الراقص ، من أعماله الشعرية : ص ٥٧٠ .

يا أنتِ .. حسبك أن تظلي اليوم قربي في حياة ساحرة
أنت الجمال وفنه .. وأنا ملحته لندينا زاهرة
نحيا بها للفن والنجوى وتسعدنا الأمانى الشاعرة
أتري ملبية نداء الشعر والالهام .. يا .. يا أسرة(١)

وتعلو نظرتة للجمال إلى الجلال الذي يوصل إلى حب أسمى ، فيبحث عن منبع
الجمال في ملكوت الله تعالى يقول الشاعر في ذلك : « وهو يتجه بكل شعوره وحريق
إحساساته الى مصدر الجمال والحب .. ويتطلع في لهفة الظامىء الى النبع الأصيل لهما
في ملكوت الله الأعلى ... » (٢)

وهو - أحياناً - يبدأ قصيدة ما بجملة تعبر عن الغرض كقوله في قصيدة (سر
الأسرار) : - (في نجوى الذات العلية) ، يقول فيها :
ياله من عالم فتان سحري المرائي والمفاني
فيه جلت صنعة الإبداع آيات وبوح بالمعاني (٣)

ويأتي ذلك في أكثر من موضع .

* * *

وسوف يقف البحث على دراسة شعر الغزل دراسة تكشف سماته ومميزاته .
فقد ذكر قبل أن الشاعر لم يُعْن - كثيراً - بتصوير المشاعر العاطفية المشتركة ،
وإنما يهتم بالوصف للمرأة - غالباً - فيصف جمالها وروعته بأسلوب انطباعي يثير ذهن
القارئ .

والغزل عند الشاعر بعضه معنوي عف يرتقي فيه الى وصف المشاعر والأحاسيس
ويتغزل فيه بجمال الطبع ، ورقة المشاعر ، وطيب المحادثة ، وخفة الروح ، وعذوبة
الصوت :

(.. وفي الطبيعة حسن عابق الجسد) (هلا أردت جمال الطبع ياسلوى)

(١) ديوان الفجر الراقص من أعماله الشعرية : ٥٦٥ .

(٢) مقدمة الأربعون : ص ٥ .

(٣) أنوار ذهبية : ص ٢٨ .

وفيه الحديث عن الآلام والشكوى والأشواق والتباريح وأثر ذلك الجمال في نفسه :

(١) حسنك الفتان يصبي بل ويسبي فتنة ضاعت بأجوائى ودربي

ويتغنى الشاعر بسمو الحب وعفته :

(٢) يا أخت إنى إن عشقت فعفتي أبدأ مع الحب الأكيد هي الأزل

أما البعض الآخر من غزله فحسي مبتذل يعرض فيه لأوصاف المرأة وذكر مفاتها ،
ومعظم تلك الأوصاف تقليدية قديمة ، فالجمال الجسدي يتمثل في :

(قوام ممشوق ، صدر ناهد ، ثغر ندي ، أسنان متلائة ، خصر مائد ، ساق
منحوت ، نحر مصقول ، جسم كالمرمر ، وكالحرير نعومة ، ذراعان مليئتان ، شفاه
حمر كالخمر ، وشعر أسود كالليل . . . الخ)

ويستعير هذه الأوصاف من الطبيعة برياضها وربيعها ، بما يوحي بجمال ينعش
الحس ومن ذلك :

(الخدان تفاحتان ، الخدود ورود ، الثغر كالورود ، الهمس نسيم . . .) يقول
في مقطوعة (رياك) :

- رياك .. فاكهة .. واحلام ونبع العطر ياحلوة

رياك كنز الحسن يقفز فيهما نظري مع النشوة

- رياك .. ماالتفاح يرقص ناعماً فوق الخميلات

متدلياً يحكي لنا سباحاته في غصنه الشاتي

(٣) عجبي لهذا الغصن بأسرنا الى هذي الرغيبات

وفي البيت الثالث تشبيه مقلوب أعطى للمعنى قوة من خلال المخالفة في التشبيه . وعلى
الرغم من مفهومه عن المرأة وعن الحب ونقائه وطهارته وردت عنده أشعار مغرقة في
الحسية تصل الى وصف المرأة شبه عارية ، وذلك مافسره الدكتور عبد الله الحامد
بالإغراق في الحسية ، في قوله : «صورة المرأة العارية كثيرة في الشعر ، وهي تدل على
إغراق في الحسية وتصريح بما لا يحسن التصريح به ، وممن وصفها عبد السلام
حافظ . . . » (٤)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤١٥ .

(٢) السابق : ص ٤٦٠ ، وانظر ترانيم الصباح : ص ١٤٠ .

(٣) ترانيم الصباح : ص ١٣٨ .

(٤) اتجاهات الشعر : ص ١١٩ .

فالشاعر - أحياناً - يجسم جسد المرأة بطريقة مكشوفة ، مما يتعارض مع الدين والتقاليد ، كما في مقطوعة (فاتنة) والتي يستهلها بقوله :

صدرك الناهد عرييد بحانات الخيال (١)

فقد جمع فيها صفات حسية لجسد المرأة ومفاتها . ويقول الدكتور الحامد إن مرد ذلك « . . . مانجده في الوصف الحسي للمرأة عارية التي تطل من خلاله روح علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل » (٢) .

وحقيقة إن هذا الوصف المغرق في الحسية قليل جداً عند الشاعر ، بل لعله ينحصر في ديوان واحد وهو (الفجر الراقص) وحصره في ديوان واحد يعبر عن نزوة شباب أو تأثر في وقت من الأوقات ببعض الشعراء خارج بلده . يقول الدكتور الحامد : « . . . يخرج فيجد البون واسعاً بين مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام بالقداسة والجو الروحي ، والتدين والحجاب ، وبين مدن الإنطلاق والمسارح والملاهي حيث تمشي الفتاة الناهد بتحدٍ وصلف ، وقد كشفت عن ساقها لتعبر نهر الحياة وحمرت وجنتيها ، فيكون اشمنزاز من تلك المناظر العارية ، وقد يوسوس الشيطان للإنسان ، فتعقب الاشمنزاز لهفة وحنين وشوق إليها ، وفي النهاية أزمة نفسية حادة ، أو وقوع في تلك الشباك ومن ثم شعور مرير بالإثم » (٣)

وللشاعر عدد قليل من المقطوعات تصف ذلك الصراع الذي قال به الدكتور ، وهن :

(شيطان حواء) (هروب من الجحيم) (أنت لست أنت) (كبرياء الفنان) .

وفي قطعة (كبرياء الفنان) يحكي تجربة مرت به مع فتاة لعوب أرادت اغراءه فتبرم منها ساخطاً في كبرياء وأنفة ، يقول فيها بعد أن أرشدها الى طريق العفة فلم تستجب :

وفي ناظريه -	ولكنها عاتبتني
وبالصدر قد قاومتني	وفي لحظة عانقتني
تثور بفكري الطموح	- وعدت أرى الكبرياء
وانعمت حولي النظر	- وثبت لوعي العميق
تعفوت هوى الحجاب (٤)	أريد الجميلة وحدي

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٨ .

(٢) فصول حول الادب : ص ٦٨ .

(٣) اتجاهات الشعر : ص ١٢٧ .

(٤) وحي وقلب والحان : ص ١٨٣ - ١٨٥ .

وهكذا يظهر الشاعر في شعره هذا متقلّباً بين العفة والحسية ، ويعبر عن صراع شديد بين الخير والشر ، ويتغلب جانب الخير فيخرج الشاعر بتصوّر ونظرة عامة عن المرأة .

* * *

أما بالنسبة لطريقته في الوصف . فهو يعمد الى المحسوسات والمعنويات يستمدّها صوراً للجمال ، ويغلب عليه استخدام المعنويات ، وتختلط لديه الحسيات بالمعنويات كثيراً لذلك يرد عنده تشبيه الحسي بالمعنوي والمعنوي بالحسي والحسي بالحسي وهكذا .

ومن عادة الشاعر أن يسند الى الفتاة أوصافاً لانماء فيها ، يستغل إشعاعاتها وصفاً لجمال الفتاة ، من مثل : « النور ، الفجر ، النسيم ، الضياء ، البدر ، الطهر ، الرقة ، النغم ، الصفو ، العبير ، الحنان ، الشعاع ، الألق ... » ومن تعبيراته :

(ناعمة الرؤى ، رقة الآهات ، كيانه عرييد ، جمالها عبقري ، بسمتها حنون ، قوامها خمري ، قوامها خجول ، خمرة اللون ، محياها شعاع ، خطوها كالحرير ...)
يقول الشاعر مشبهاً قوامها بتشبيهات معنوية :

قوامك لحن يراقص زهره وخصرك فن يشعل فكره (١)

وقوله جامعاً بين المعنويات والحسيات :

أنت كأس .. أنت لحن .. أنت فكره (٢)

ومثله أن يجعل من لهيب الذكريات صورة لحمرة وجنتيها والندى رحيقاً يروي شفقتها ، وهذا تشبيه بالإحياء بليغ يؤثر في النفس .
وتأتي بعض أوصافه فيها غرابة وتجديد كقوله :

- وزرقة عينيك عمق لنهر الحياة السريع

- وأمواج من ذهب شعرك التُّرْزاهي الرؤى (٣)

ويصف جمال الصوت وإيحاءاته الشجية العذبة ، فيصفه بنغمات العزف وبأه

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٦٩ .

(٢) الأربعةون : ص ١١٨ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

أنفاس الربيع ، ويصف أثر الصوت في حسه :

إذ سمعت الصوت يندى رقعة شادي الزهر

صوتك المنغوم أشجى الفكر والحس الكريم (١)

ويستعير أجمل ما في الكون والطبيعة صوراً للجميلة ، فأكثر ما يستهويه في غزله
الصباح والربيع ، والعطر والحريير .

فالأولان معنويان ، والأخران حسيان . وفي هذه التشبيهات عذوية ورقة تثير
الشاعر فيقيم عليها صورته . فالصباح ونسماته صورة لجمال الحبيبة :

جمالك أنسام صبح بهي ترف بحقل حياتي الوريث

تعيد الربيع لقلبي الشجي يحس به بعد ليل الخريف (٢)

ويبحث عن كل جميل في بهجة الربيع ، وضياء الصباح ليجتنيه للجميلة :

فمن الربيع لك الخمر قد اجتتيت ومن الشعور نظمت حسنك في الكمان

ومن الضياء أقمت نصبك وانتحيت يتلاوة الأشواق أروي للزمان (٣)

وله تعبيرات عديدة توحى بميله الى هذه الصور :

(رقصة الضوء ، بسمة الفجر ، ربيبة النور ، رقعة الأنسام ، نداء الفجر ، ندى

الصباح . . .)

أما العطر والحريير ، فالأول يدرك بحاسة الشم والثاني يدرك بحاسة اللمس ، ولكنه

يجعله وصفاً لمعنويات ويعبر بتلك المعاني بقوله :

وشدوت بالدنيا الطروبة ساهماً في ظلك العطري . . في عبق الوسن (٤)

وكما في قوله : أنت عطر الروض والانسام ياوجه السحر (٥)

وهذا وصف حسي بحسي ، ويصف أديمها وكيانها ورقتها بالعطر العبق .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٧٤ .

(٢) الأريعون : ص ٧٥ .

(٣) أنوار نهية : ص ١٠٢ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٤٦٢ .

(٥) السابق : ص ٥٧٥ .

والحرير يمثل ليونة وتماوجاً ونعومة ، فيتخذ منه صوراً لأشياء معنوية كالهمس والهدوء
أو لأشياء حسية كالخطو وتماوج الصدر . . . يقول واصفاً مشيتها برقة الحرير :

(١) وتخطوباً وهي خطاها المثير حرير برفق يدوس الحرير

ومعظم تصويراته هذه مما جرت عليه عادة الرومانتيكيين - وهو ماتين ميله الى
مذهبيهم - ولكنه يستحدث صوراً قد تبدو غريبة ولعلها تكون خاصة به ، فيها معنى
البراءة والحنان كقوله : -

(٢) جمالك اشراقة الأبرياء وحلم الطفولة والأمسيات

وفي صورة شبه خطو الفتاة بسير الجند بما فيه من ثقل وإتزان وانتظام :

(٣) يداها الى جانبيها نظام كما الجند في السير خلف إمام

وفي هذه الصورة غرابة ولا تدل على رقة او جمال .

وبهذا فقد اهتم الشاعر في الغزل بوصف الجمال ، ولم يعن بتصوير مشاعره مثلما
عنى بها في تجربته العاطفية ، وهذا التخالف أحد اسباب فصل دراسة قصته عن الغزل
فقد كان يعبر عن هواه أكثر :

(٤) أهواك روحاً باسمماً بالأمل أهواك سرراً طاهراً كالغزل

وكان في عرض مشاعره يصفها ويصف انطباعاته النفسية عن معانيها الروحية :

يا فطم أنت ابتسامات الحياة على شعري وفي ليل عمري حين تبسمني
السحر في حسنك الزاهي يجاذبني والبشر في وجهك الباهي عفا سقمي (٥)

وهذه الإنطباعات النفسية قليلة في غزلياته عامة ، إذ تأتي صورته مجرد وصف
للجميلة . أما المتعلقة بفتاته فهي أقرب الى وجدانه يرسم انطباعاته وأثرها في نفسه
وروحه عن طريق المقابلات كما في (نشيد الشعور) : -

(١) الأربعةون : ص ٥٠

(٢) السابق نفسه : ص ٧٦

(٣) السابق : ص ٥٠

(٤) وحي الهاجرة : ص ٧١

(٥) السابق : ص ٢٨

عيونك ضوء ووجهك بدر
خسودك ورد وثغرك خمير
كلامك دل وصوتك لحن
شفاهك زهر وريقك شهد
جبينك صبح وفوعك ستر
ضياء لكوني وبدر لأنسي
ورود لفني وخمير لكأسي
دلال علي و لحن لفجري
زهور لحبي وشهد بثغري
صباح ليومي وستر ليلي (١)

ويتدفق شعوره العاطفي فيجمع كل معنى جميل في أبيات قليلة يربطها بمشاعره
كقوله :

لقد كنت يا بسمة الفجر نوراً
وكنت الندى في الصباح الغرير
وقد كنت أنت صفائي وصفوي
ونشوتني عند كأس الأخييرة (٢)

هكذا يتدفق الاحساس بالمعاني الروحية في بداية حياته الشعرية . أما وصفه
الحسي فقد جاء مرحلة لاحقة له حين أصبح يهمل البحث عن الجمال الملهم للمشاعر
والأحاسيس ، فكان لا بد أن يقف على صفات حسيه يتلمس منها الجمال . يقول الشاعر
في مقدمة الأربعون :

« لم يكن التشبيب بالجمال الحسي والتغني به الأ رمزاً لما هو أبعد وأعمق . . بل
الأصح ان الإلهام كان مصدره الجمال المعنوي أو الروحي . . . » (٣)

وهكذا تركز الوصف عنده في فترة زمنية محدودة ، يمكن القول إنها مرحلة وسط من
مراحل نظمه للغزل ، لان الدواوين الاخييرة تكاد تخلو من الوصف الحسي وخاصة ديوانه
الأخير (الأربعون) ، ولأنه يتركز في ديوانه (الفجر الراقص) - كما قيل سابقاً -
ويحدث نادراً في غيره كديوان (ترانيم الصباح) . وبهذا تأتي غزلياته - في
أكثرها تعني بالتعبير عن المشاعر لا عن الإعجاب والافتتان ، ولا تمتنع المزوجة بينهما
- أحياناً - .

(١) وحى الهاجرة : ص ٥٥ .

(٢) السابق : ص ٨١ .

(٣) الأربعون : ص ٦ .

سمات شعره الغزلي : -

من سمات شعره الغزلي الحوار فهو من الظواهر الفنية عند عبد السلام ، يصف به بعض المواقف الغرامية . وخير ما يمثل حوار الشعري تلك المسرحيات : (أضواء على المجهول) و (صخور العذاب) وفيهما تعبير غير مباشر لمعاناة الشاعر وتجاربه العاطفية والمرضية ، وقد ذكر في حديث مرضه ، كيف أثار عطف الآخرين بطريق الحوار والتساؤل عن حالته التي أصبحت مكشوفة للرأي ، ولكنه في الغزل أوضح وأقوى ، ويأتي به سهلاً بسيطاً ليس فيه تعقيد بل فيه إثارة وامتعة . أضفى على شعره شيئاً من أسلوب القص وقدرًا من الوحدة الموضوعية . وقد يأتي حوار من طرف واحد فقط كقوله : -

وتقول : يكفينا تلاقينا في السر عن بعد . . وانت بخاطري (١)

والقصيدة تخلو بعد ذلك من فعل القول وهذا كثير عنده . ونادراً أن تأتي قصيدة فيها فعل القول كقصيدة (قالوا وقلت) الذي يتبع فيه أسلوب السؤال والجواب ، كقوله فيها : -

قالوا : فتنت بمجهول وتهت به هذا رويت لنا من سره بعضاً
فقلت : ماذا تفيد الناس من شجني ان بحت عنه بشيء والاسى أفضى (٢)

وبهذا الأسلوب تسير بقية الأبيات ، وقد يأتي الجمع بين قال وقلت في بيت واحد :

قالت : مناي وأحلامي وعاطفتي فقلت : يا ليل أنت السر في فني (٣)

ويلحظ بروز الأنا والاعتداد بالفردية في حوار ، مباهاياً مفتخراً بمنزلته الشعرية وبرؤية الفتيات له كفنان وشاعر يمدحن شعره ويطربينه يقول :

حتى اذا قرأت بشعري الهوى قالت : هو الفن العظيم العتيد (٤)

وينتهد فرصة الحوار ليبرهن للفتاة على مكانته الأدبية ونظرتة الى الحب والهوى في

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤٢٥ .

(٢) وحي الهاجرة : ص ٦٨ .

(٣) ترانيم الصباح : ص ٦٤ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٤١٠ .

دنيا الغزل وقد صعد صداه الى السها (١) . وهذه الأنا ظاهرة جلية ، وسبق أن أشير الى وجودها في شعره العاطفي وتجربته الخاصة ، ولها أسباب ومبررات منها احساسه بالحرمان في دنياه .

ومن أجمل حواراته قطعة (قالت : من أنت) من الكامل تعتمد وحدة البيت دون الشطرة من خمس تفعيلات دون عروض ، كل خمسة أبيات تبدأ بقوله : (من أنت ؟) ولا تقوم على فعل القول . وإنما على التساؤل والجواب ، وتتميز بالرقّة والعذوبة ، يقول فيها:-

من أنت : بالإيماء قلت هنا .. بنظرتك الحنون لمبسمي
أنا صانع الكلمات .. في عينيك أزرعها وأسقيها دمي
- أنا مبدع الألحان .. في نظراتك السكرى تجول وتحتمي
- أنا حالم .. في كونك العطري أسبح بالخيال وبالنشيد (٢)

- ترداد أسماء بعض الفتيات ، اللاتي قد يكون التقى بهن حقيقة أو خيالاً في بلدان عربية وغير عربية ومن تلك الأسماء (هدى - عواطف - مي - نجوى - سهام) ، وعادة يقترن الاسم بالمكان الذي زاره ، كقوله يتحدث عن لبنان وجمالها وعن فتاة تعرف عليها اسمها مي عاقداً صلته بها بصلة عروبة وتاريخ ذكرته قيس ولبنى :

تذكرت لبني وقيس الحزين	ونجواهما في الصحارى الخصبية
وأيامنا والوجد والأمين	وأعلامنا في المواصي الحبيبة
يؤلف بيمني ويينك حب	عميق الجنور عميق النسب
حجازي ولبنان قلب وشعب	يلوحان في فجرنا المرتقب (٣)

وتكرار الأسماء والبلدان في شعره ، يدل على صراحته التامة إزاء أي موضوع ، فهو شاعر يعشق الجمال وتأسره النظرة ، وتفتنه الابتسامة ، ويطربه الصوت ، يقول الاستاذ محمد هاشم رشيد في مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة لعبد السلام : إن قلب

(١) أنوار ذهبية : ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢) الأربعون : ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) أنوار ذهبية : ص ٥٢ .

الشاعر قد اتسع للعديد من الحسان وقصص الحب وقال : « وإن أردنا الدقة : الإعجاب والافتتان بعشرات منهن في وقت واحد ٠٠٠ » (١)

وهو في إعجابه يفاضل ويختار أقربهن الى نفسه ، فقد وصف في مقطوعته (أختان) حيرته في اختياره أو ميله لاحدهما ، فبينما هو يميل الى واحدة يجد الأخرى تميل اليه فيتمنى ان تنحى جانبا ليقترب من أختها ، يقول :

وتبعدها الخاطرة	الاليت (نجوى) تصد
(سهام) هي الساحرة	ولي تهتدي اخطها
وفي ناظريها هيام	وأبصرت نجوى تعود
ويصوبو لحب سهام	وقلبي يمججها
ويسخر منا الغرام	وفيم التناقض هذا
ودحي بهام مستهام (٢)	أيحنو علي سواها

في هذه الأبيات شبه بقصائد أمير الغزل عمر بن أبي ربيعة ، كما يلمح فيها بروز الأناثانية .

- وشعر الغزل عنده يتسم بشيوب العاطفة ورهافة الحس ورقة الشاعر . وبلغة رقيقة عذبة تختلط فيها الظلال والألوان ، وتشتبك الحواس في صنع صور جميلة تجسد صفات الجمال . كما يتسم وصفه للجمال الحسي بصور تقليدية ليس فيها ابتكار - الا فيما ندر - أما غزله الروحي - وهو الأكثر شيوعاً - ففيه نوع من الميل الى شفافية الألفاظ يستقيها من معين (رومانتيكي) .

وأغلب شعره الغزلي عف يقترن بالفضيلة ، ويصارع هوى النفس ، ولكنه - أحياناً - يغوص في حسيه مكشوفة مردها عامل نفسي بالدرجة الأولى .

- أما أسلوبه الغزلي فتظهر فيه سمة الاشرار - على الرغم من الحزن العميق - فلا يعبر عن الهجر والحرمان أو الفراق ، بل يبحث عن الجمال ويتلمسه في كل شيء ويتغنى به طرباً ، وهذا يرتبط بالمفهوم الرومانتيكي فهم يعنون « الحب السماوي ولا يقصدون الحب الأرضي المألوف ، ولذلك فهم يخاطبون مثلاً أعلى لا مجرد امرأة حقيقية في أكثر الأحيان » (٣) .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٩ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ما مر حسن فهمي : تطور الشعر الحديث بمنطقة الخليج : ص ٧٧ .

وقد مر كيف تدرج الشاعر في حبه من الجمال الانثوي الى الجمال المطلق ثم الى مصدر كل جمال في ملكوت الله .

ولغته - في أحيان - تبدو حزينة يستمد حزنه من ذكراه الماضية ، لأنه يستمد بواعث الغزل من فتاته الأولى :

(اذا ماتغزلت في غيرها فإني بها استمد وحسبي)

ويعتري أسلوبه - أحياناً - شيء من الضعف والسطحية ، وخاصة تلك القصائد التي ضمّنها ديوانه الأخير (الأربعون) ، كما يعتريه شيء من فتور العاطفة وبرودها ، وقد يكون مرده أن الشاعر لم يعد يهتم بعد سن الأربعين بالغزل والنسيب في حد ذاته كما كان في شبابه ، فقد بدأ عاشقاً يتحدث عن العشق والغرام ثم استغرقه الحديث عن الذات والتأمل والقضايا الاجتماعية والوطنية .

وأجدني أتفق مع من ذهب الى أن الشاعر يبدو في ديوانه هذا « باحثاً عن الألفاظ الرقيقة والعبارات المشحونة بالاحساس والتراكيب المبنية على الصور الجميلة . وهو في معظم الأحيان ينجح في تحقيق ما يريد .. » (١) .

ويمتاز أسلوبه بالتشكيل الزخرفي ، فاكثر نظمه من المقطعات ، وتقطع القصائد الى مقاطع ملونة القافية ميزة أصبحت ملازمة له (٢) .

وتتكرر بعض الألفاظ والجمال في غزلياته بطريق الإلحاح مما يلفت النظر اليها سواء منها ما كان من إبداعه أو مما شاع في موضوعه : (جمال الجمال) (الجمال الوريق) (يشعل) .

كما يستخدم الفاظاً وأسماءً عامية :

(الايشارب) ، (الطرحة) ، (الشيفون) ، (الكاب) ، (بالعافية) ، (تكهرب) .

وله عدة تعبيرات استعارية جميلة فيها تجديد :

(مصنع التاريخ) ، (قافلة الجمال) ، (بثدي الجمال .. بثغر الزهر) .

(١) أنظر مقال حاتم صادق ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٤٩٧٤ ، السبت ١١/٧/١٩٩٢ م .

(٢) ليس في الغزل فحسب ولكنه أوضح فيه .

وأكثر البحور استخداماً في غزلياته سواء التامة أو المجزوءة :

الكامل ، المتقارب ، الرمل ، المتدارك .

وخلاصة القول : فإن شعر الغزل عند عبد السلام يكون جزءاً كبيراً من نظمه ، فقد اتسع قلبه للعديد من الحسان وقصص الحب ، ويتخذ من الغزل والمرأة تنقيساً مما يعاني ، فهو حين يرسم صورة مثالية للمرأة فإنه يهرب من واقعه المؤلم الى الانسجام مع تلك الصورة المثلى من الجمال . وهذا مبدأ رومانتيكي ، فهم يعتبرون المرأة ملجأ يفرون اليه بهمومهم .

* * *

٣ - مواقف ونظرات :

اهتم الشاعر بأمر المرأة اهتماماً بالغاً ، عارضاً مواقف وآراءه من قضاياها المختلفة ، وقد أشار البحث في المقدمة كيف اكتظت كتبه ودواوينه بالعديد من القصائد والقصص التي تتحدث عن جوانبها المختلفة ، وحديثه عن المرأة حديث العالم بأسرار هذا المخلوق الذي يعتبره الغير سرّاً ولغزاً غامضاً ، يقول :

تقولون عنها معاني عجاب	وفيهما البعض سرّاً يهاب
وما هي سحر ولا معجزات	ولكنها شعلة من حياة
وفي طبيعتها الضعف والمغريات	وعاطفة تشبه العاصفات
هي اليوم كالأمس كالمقبل	تضج بشوق الى المعول
تحطم في نفسها سرها	وتبكي وتشكو الوري أمرها
وآدم ان لم يقسوم خطاها	تردئ هوها وضلت مناها (١)

وقد استمد هذه النظرة من معرفته بالمرأة ، فهي عنده عالم له ميزات رائعة ، فهي الأم الرؤوم ، والأخت الحنون ، والزوجة الاليفة ، والحسنة الملهمة ، أجمل هذه النظرة الى عالمها في رباعية (مع المرأة) يقول :

فيها عرفت الأم اكمل امرأة	حباً وعاطفة واخلاصاً فريد
هي وحدها العملاقة المتلائة	في حبها الاسمي وعالمها السعيد
وعرفت أختاً حنوناً فاضلة	زوجاً تحب السجن للالف المنال
وخبرتها حسنة تبدو هائلة	لكنها تلهو وتعبث بالرجال (٢)

ومن هنا فقد اهتم بأمورها وشاركها في أحزانها وأفراحها والتعبير عن ميولها ورغباتها بما يكشف عن رهافة حسه ورقة مشاعره في تجاوبه معها في أحوالها المتقلبة .

كما اهتم بحجابها ويعلمها ويخلقها ويأمر زواجها عارضاً ذلك بعدة أساليب فيها النفع والصلاح ، وفيها المشاركة الوجدانية ، مما جعل لمواقفه هذه وجهين : الرومانتيكية والواقعية . وسوف يلاحظ اتصال هذين الوجهين معاً في مواقفه وتداخلهما - غالباً - ووضوح أحدهما عن الآخر - أحياناً - في موقف دون آخر ، مما جعل لبعض مواقفه الرومانتيكية وجهاً واقعياً .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) السابق : ص ٥٢٥ .

لقد ملك الشاعر قدرة فائقة في التعبير عن المرأة ووصف هواجسها ودواخل نفسياتها
وخلجات فؤادها وخاصة الفتاة البكر حين يتحدث بلسانها معبرة عن عواطفها وميولها .

ويتنوع أسلوبه بين البساطة والتلقائية وبين القوة والتصوير ، الا أن معظمه يأتي في
لغة رقيقة عذبة تناسب مقام الحديث عن المرأة . ويدير الحديث بلسان الفتاة حيناً
ويلسانه - أحياناً - ويحاول الشاعر ترجمة أحاسيسها حين يدخل عالم الفتاة فيحس
فرحتها حين تقبل على الزواج ، فيعبر بلسان الفتاة عن شعورها وسعادتها وهي تصف
لوالدتها موقفها من زوج المستقبل . يقول في (مشاعر مخطوبة) : -

- ولقد شعرت بخطوه هذا الخطيب وحديثك المعسول عنه برقة
وأجبت صمتاً والذي مثل الطيوب وعرائي التفكير فيه بوحدتي
- أماء يأخذني التذكر والفكر حيث انتعشت بيتنا الغالي الخضير
وأبي وأنت وأخوتي مثل الشجر متعائنين مصفقين من الحبور
- أماء هيأ ودعيني باسمه وادعي الإله يحقق الوفق الطويل
وأكون مثلك في حياتي ناعمة وتحول الأخوات بعدي للرحيل^(١)

فهذا أسلوب رقيق بسيط تلقائي ، جعله يتسلسل في عفوية ووضوح ، واستطاع به
أن يعبر عن مشاعر الفتاة وهي تصف فرحتها لامها كالحديث العادي من غير تكلف .
وأكثر ما يثير الشاعر في قضايا المرأة القصص العاطفية التي تمر بها ، إذ يبدو
غارقاً في انفعالاته حاداً في عاطفته تجاهها مشاركاً إياها مشاعرها سواء السعيدة منها
أو الحزينة ، وله أكثر من مقطوعة في ذلك .

فقد نظم ما يشبه الموشح في فتاة محرومة سمع قصتها فانفعل لها ، فقد منعها
والدها من الزواج بمن تريد . فهربت منه مع من تحب ، وحين ولادتها بطفلة أصيبت
بانفجار في المخ ، ويجد الشاعر في مأساتها ما يؤثر في وجدانه الحزين ، فوقف مع
الفتاة معجباً بشجاعته وموقفها البطولي ، ورأى فيها ما كان يأمله في فتاته ، وتبدو لغة
الشاعر فيها متفاوتة خاضعة للانفعال ، فهو حين الحديث عن الفتاة ترق ألفاظه وحين
تحدث عن الأب المتسلط ظهرت ألفاظ الدم والسخط يقول فيها:

(١) ترايم الصباح : ص ١٠٠ - ١٠٦ .

أيها الإنسان تباً لك تباً للضلالات التي تدعوك رباً
أيها العاتي ملأت الغرب رعباً حطمت كفاك احساساً وقلباً

أين ايزابيل توري الكون حروباً ؟

أيها تهدي لذاك القوم أسرار الحياة ؟

(١) ... والهوى يشدو صباه

فالببيتان الأولان فيهما غلظة وسخط وتذمر لأنه في مقام الحديث عن الأب ، أما
الأشطر (الأدوار) ففيها رقة ، الشطر الأول تساؤل بمثابة الحسرة ، ثم الثاني عبارة
طويلة ممتدة كما لو كانت باقية لأعطت مثلاً للشجاعة ، ثم خاتمة بتفعيلتين بها شحنة
انفعالية بما فيها من معنى الفناء . وهذا الشطر الأخير مع الذي قبله يكون مسدس
البحر (الرمل) الا أن الشاعر افردته بمثابة وقفه حين يتمنى عودتها وهو يتحسر على
ضياعها ، وقافيتها تتكرر مع كل مقطع .

وأحياناً يسرح الشاعر بخياله وتوهماتة في تفسير حالة الفتاة ، فقد رأى فتاة
فرنسية دخلت مقهى من مقاهي باريس وفي عينيها حيرة ولهفة وشروء عميق ، أشعلت
سيجاراً وطلبت (كولا) ... يفعل الشاعر لهذا ويفسر ذلك تفسيرات من معنى وجداني
واحساس ذاتي ، هل تنتظر حبيباً ؟ هل غدر بها يقول :-

- ماذا يثيرك ؟ بل وعمن تبحثن ؟ بموعد لايريدك

- وتدور عيناك المشوقة للدروب كباحث عن دليل

أترى أصوغ مفاتنا ظلت تعطره بوجه جميل

أم أشرح الأشجان تعصر صدرك الشاكي لخلف الخليل

ماذا ؟ أضعت الألف ؟ خالك عابث ؟ ياللتجني بفنك

(٢) مسكينة ! في عالم المدينة الشوهاء - تاهت بحسبك

وقد الح الشاعر على وصف حيرتها وتلفتها وعينيها الحائرتين بتكرار عدة أفعال :

[تلتفتان ، تهجسان ، تتساءلان ، تصوران ، تفتش ، أحصت رواد الطريق ..]

هكذا يقف الشاعر من عواطف المرأة موقفاً وجدانياً يتعمق تجربتها ويصف حزنها
وفرحتها ، وقد عبر عن قلبه الحنون العطوف على ضعفها وابتلائها في مقطوعته

(١) الأعمال الشعرية : ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(١) الاربعون : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(صانعة الجمال) (١) حيث تحدث عن فتاة مقعدة حاولت التغلب على مشكلتها بالعمل ،
تصنع الجمال على الأخريات بينما يغرق جمالها في الرغاب ، ويأسى لحالها ويصف
تجاهل الغير لنفسيتها وهي تضع لمسات الجمال عليهن :

ولكنهم جهلوا ما بذاتك وهول الحطام يرين ببابك
ونصفك يبكي هوان شبابك ويزحف في ليله بمصابك (٢)

هذه مواقف (رومانسية) المشاعر فيها تعاطف ومشاركة وجدانية لمشاعر المرأة
وأحوالها المختلفة ، وقد عالج هذه الأمور بأسلوب مباشر وبأسلوب قصصي (٣) وقد وفق
في كليهما .

أما قضية الحجاب والخلق والتعليم والزواج فيما يخص المرأة فذلك وجه آخر يميل
الى الواقعية ولا يخلو من رؤية رومانتيكية . فالزبي السعدي الساتر ، والحجاب يؤيده
الشاعر ويتحدث عنه بطرق شتى : بالتوجيه المباشر ، بالتلميح ، وبالإغراء المحبب ، فهو
يدعو الى الحجاب ويندد بالخلاعة والتبرج ، لان الجمال لديه يجب أن يصاب من أي عبث
• ويأتي - غالباً - بأسلوب التوجيه الذي يتميز بالثورة والخطابية . ومن أتم مقطوعاته
في ذلك ، (لا يافتاة الشرق) يقول فيها :

لا يافتاة الشرق لا هذا التبذل في القناع
هذا التبرج للملا وخلاعة الجسد المثير
ليس التحضر تنشدين وكأنك الشبح الحزين

الجهل قد أعماك عن حقل العبير

لا دين يرضى يافتاة والعقل يأبى بالمتاه
إن التطور عالم يسمو بأخلاق الهدى
ويريك عنصرك الذي أغفى بأحضان الشرور

يوم انطلقت الى الشوارع في غرور

وفقدت عفتك البريئة والشعور

ماذا جنيت سوى الضياع هو المصير (٤)

(١) الاربعون : ص ١٢٦ .

(٢) السابق : ص ١٢٧ .

(٣) انظر قصيدتي (عجل دامتاً) و (السيارة الزرقاء) في القصة الشعرية عنده .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٥٨١ ، ٥٨٢ .

هذه ألفاظ خطابية ، وهي موفقة في هذا المقام ، ليكشف للفتاة أن التحضر والتطور ليس في التبرج والسفور ، وأن ذلك لا يرضى عنه دين ولا عقل ، فيدعوها الى حوزة الدين والى الاستكانة في بيتها لتربية النشء الصالح :-

واذا عقلت وعدت للوكر الحصين
حيث التكامل بالامومة والحنين
والصون والخلق الحميد ومايزين
فلقد غدوت - حقيقة - إلفاً أمين
والشـرق يأمل فيك اصلاح البنين (١)

ومن أسماء القصائد يظهر أسلوب التوجيه لديه : (حواء المبتذلة ، عودي يا حواء ، لا يافتاة الشرق ، حسن زائف ٠٠٠)

ولا يجب الإسراف في الزينة لأنها مدعاة للتبرج والسفور ويفضل جمال الطبع :

زيف جمالك : مكياج وتطريفة وفي الطبيعة حسن عابق الجسد (٢)

ويرى الشاعر في جمال المرأة طفولة مليئة بالعذوبة والبراءة ، لا يجب أن تشوه بالتقليد الأعمى ، فيوجه الفتاة للعودة الى طفولتها الأثوية بعيداً عن ضلّة التمدين :

طفلتي الحسناء عودي للطفولة أنت فيها ياملاك القلب عمره
ضلة التمدين هذي لعنة تخفي نذاك
لعنة الاجيال حاقت !! ليتها ممن جفاك
فاحصدي حواء نبتاً كان زرعاً من هواك (٣)

ويتجه الشاعر الى أسلوب الإغراء والتلميح ، الذي قد يكون أقرب الى وجدان المرأة ، وبالتالي يكون وقعته أقوى ، فقد سلك هذا المسلك في ديوانه (ترانيم الصباح) ولعله الوحيد الذي يسلك فيه هذا اللون من التوجيه ، فحين يتحدث عن لباس المرأة يبدو وكأنه يتغزل به ، ولكن يلمح في ثناياه شيء من التوجيه المحب بطريق الإغراء كقوله :-

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٨٢ .

(٢) السابق : ص ٥٨٢ .

(٣) انوار ذهبية : ص ١١١ .

ضَمَكِ الفستان من جيد الجمال وانتهى في قبلة فوق القدم
لهفة المشتاق اضنته الليال فانثنى في عبرة يبدي الندم^(١)

فجملة (ضمك الفستان) صورة فيها تلميح وتورية عن حجم وطول الفستان بحيث
ضم الفتاة فسترها ، وقد زاد الصورة تشبيهه له على جسد الفتاة بمشتاق يعانق مشوقة
في حرارة وشوق . ويزيد الشاعر من أسلوب الإغراء والتحبيب في الزبي الساتر حين يخبر
الفتاة أن تلك الحجب لم تمنعه كشاعر أن يتغنى بجمالها ، بل لقد زادت رغبة في الغناء :

إيه ياغيدياء هذا همس قلب ذاع بالآهات للطيف الحبيب
لم تعقه الحجب عن تفريد صب بل واهدته اشتعالاً بالوجيب^(٢)

ثم يخبرها أن الاحتشام والاعتدال كمال في المرأة يزيد حسننها ويكون إلهاماً للخيال:

(كلما صانته عن عين الرجال)

وهو كذلك يرى ضرورة تعليمها فهو خير سلاح تتسلح به ، يرى في العلم مباديء
سامية يجب أن تتحلى بها ، ولكنه يركز على الثقافة الدينية التي تحقق لها الفخر
والحصانة يقول :

يانصفنا الغالي نصيحة شاعر يرجو لكن الفخر في هذا الوجود
بثقافة دينية وحصانة تحيون فيها بالتفاؤل والسعود^(٣)

وينوع الشاعر في أساليبه بين الخبرية والانشائية ، فيتساءل عما تنشده الفتاة من
العلم ، وكيف وعته ، وهل أدركت قيمته ... مبيناً مافي العلم من سمو وكمال .

ولكنه يخرج الى نثرية واضحة كقوله : -

ليس من أهدافه ماتعرضين من دلال من سفور من فتون

في سلاح العلم تفكير رزين

إنما بالعلم يسمو ذهن حواً نهجة الآداب والفكر الرزين

هل وعيت العلم والنقصد الحصين^(٤)

(١) ترانيم الصباح : ص ١١٣ .

(٢) السابق : ص ١١٧ .

(٣) الاربعون : ص ١١١ .

(٤) السابق : ص ١١٢ ، ١١٣ .

وسلوك المرأة أمر لا بد من تقويمه لتكون مثلاً للكمال : -

(١) وأدم ان لم يقوم خطاها تردى هواها وضلت مناها
فهو لا يريد أن تُخدع أو يُغرر بها فتجلب لبنات جنسها الشقاء : -

(٢) هذه حواء تغدو في إهابك كل حواء أراها اخت نحس
ويتعاطف معها الشاعر فيدافع عنها ويرى فيها الضعف فيبكي لها أو عليها : -

أقيم البراهين في طيبها
وأستضعف النفس فيها
وأبكي لها أو عليها (٣)

وأهم قضية وقف منها قضية زواج الفتاة ، فمسألة إجبارها بمن لا تريد شغلته فجنّد نفسه للدفاع عنها ، إما بأسلوب العرض المباشر أو الأسلوب القصصي . وقد وقف في وجه الآباء صارخاً أن ينظروا الى الواقع ، وأن يدركوا أن حرمان الفتاة بمن تريد جريمة وطفيان . ويرى الفتاة زهرة يانعة حقها أن تختار طريقها بملء حريتها ، والا يوأد حلمها بحكم أب مستبد . ويأتي أسلوبه بعدة أشكال : بالعرض المباشر والتوجيه ، الحديث بلسان الفتاة ، الحديث بلسان الأم ، كما أنه يدور على ثلاثة محاور : ذم الأب ، ذم الزوج ، البكاء على الفتاة . (٤)

وقد تعاطف مع الفتاة بشدة ، و (راهب الفكر) من أكثر الدواوين تصويراً لمواقف الشاعر تجاه الفتاة يبكي عليها وعلى شبابها الضائع وقلبها الكسير :

(٥) أبكي عليك . . على منك الخاسرة ورواءك المؤؤد في فجر الحياة

ويصف الفتاة بالزهر المسحوق ، وبالورد الذابل ، ويأسى على شبابها وقلبها ومصيرها المشنوم .

إلا أن هذه النظرة ذاتية خاصة استمدتها من تجربته العاطفية ، فليست القضية

(١) الأعمال الشعرية : ص ٣٠٦ .

(٢) السابق : ص ٥٥١ .

(٣) وحي وقلب والحنان : ص ٢٣٦ .

(٤) انظر تفصيلات ذلك كله في قصصه الشعرية .

(٥) الأعمال الشعرية : ص ١٥٩ .

عامة تتعمق الموضوع كمشكلة اجتماعية ، يقول الدكتور عبد الله الحامد : إن الشاعر عبدالسلام من أكثر الشعراء السعوديين معالجة لهذه المشكلة . وفي رأيه أن المعالجة لها غير واقعية لأن : « الزواج كما ينبغي فيه مراعاة رغبة وإرادة الفتاة فإنه ينبغي فيه - أيضاً - أن يحاط بموافقة والد الفتاة ووالدتها اللذين يدركان بالتجربة مالم تدرك » (١)

وذلك صحيح ، لأن المعالجة ليست واقعية وإنما رومانتيكية منشؤها العاطفة لا العقل ، وهي مستمدة من تجربة خاصة وليست دعوة للإصلاح .

* * *

وإجمالاً : تعبر هذه الوقفات والآراء نحو المرأة عن شخصية شاعر مرهف الأحاسيس رقيق المشاعر ، لها استقلالها وأرائها الخاصة بعضها مستمدة من الوجدان وبعضها من العقل . كما تكشف عن مراعاة للقيم الإسلامية . أما أسلوبه فسهل رقيق - في معظمه - ويختلف بحسب الانفعال فيأتي بعفوية وتلقائية ويأتي بشفافية وعذوبة . كما يأتي قوياً محتدماً . وقد أحسن بهذا اللون الذي يعطي انطباعاً جميلاً في نفس المتلقي فيخرج به عن الملل والرتابة .

ومعظم شعره هذا من المقطعات ، ولا يعتمد الشاعر الى التصوير ، بل يعتمد على إحياء الألفاظ والتعبيرات ، ولعل ذلك أوفق في هذه المواقف التي يستحيل فيها أن ينغمس الشاعر في أعماق الأساليب البلاغية وفي تنقية الألفاظ ، إنما هي بالتلقائية والمباشرة أسهل وأبسط ، هذا ولايمنع وجود بعض الاستعارات والمجازات ، والحكم للأغلب .

كما أنه يمكن أن يُعدَّ بعض مامر من شعره هذا ضمن الاجتماعيات ، غير أنها تقتصر على قضايا المرأة فقط فليس هناك قضايا أخرى غير المناسبات الاجتماعية ، ولتعلق الموضوع بالمرأة عامة أدرج ضمن الحديث عنها .

* * *

الفصل الثالث

شعر التأمل

شعر التأمل

لم يغفل الشاعر عما حوله من وجود وكون وحياة وأحياء ، يتأمل أسرارها وما يجده من متناقضات فيها ، معبراً عما يحسه في نفسه . وفي تأمله لها يكشف عن آراء ونظرات خاصة به ، استقاها من العلاقة الكامنة بينه وبينها فلا يتأملها - غالباً - إلا من منظور نفسي ، فتبرز آراء له في المحبة الانسانية وفي الفن والشعر ، كما تكشف نظراته للحياة والأحياء وللكون عن رؤية تعبر عن مكونات نفسه ، وعما يعتورها من حزن وألم واحساس بالقلق .

وقد ضمنَ الشاعر رباعياته « الشاعر والحياة » ديوانه (الفجر الراقص) التي جال بها في أرجاء كثيرة من قضايا الكون والحياة والناس والفن والحب فتحدث عن الوجود والدنيا والتاريخ والطبيعة والفن والشعر ، والجمال والقلب والحب والمرأة والليل ... الخ . متأملاً ومتسائلاً ومفسراً ، صادراً عن احساس عاطفي وعن نظرة ذاتية تجاه ذلك كله . وقد اتخذ من شعره التأملي تنفيساً مما يجده من نكد الحياة ومتاعبها ، ولم يتخذ - في الغالب - مذهباً فكرياً . فيبدو في أكثرها شاكياً متمرداً ، وينتقل من الشكوى والتمرد إلى السكينة والهدوء ، متأرجحاً بحسب حالته النفسية المتقلبة ، مما يكشف حالة التوتر وعدم الاستقرار ، وعدم ثبات الحالة الانفعالية لديه ، فهي في مجملها فورات انطباعية عاطفية . ولاشك أن الارتباط قائم بين سوداوية المزاج عنده وبين توتره وقلقه وتقلبه .

وتنقسم تأملاته أربعة أقسام : -

- ١ - تأملات في الحياة والناس .
- ٢ - تأملات في الكون والطبيعة .
- ٣ - تأملات في المحبة الانسانية .
- ٤ - تأملات في الشعر والشعراء .

١ - تأملات في الحياة والناس :

يقف الشاعر من الحياة موقفاً متأملاً في أسرارها ومكوناتها ، يجدها فانية ليس فيها خلود ، فالانسان إلى نهاية ، ويتسأل في شيء من الفلسفة من أين جئنا ؟ وإلى أين نمضي ؟ وما أسرار هذا الوجود الطافح بالمتناقضات وهو ما تكشفه الأبيات من مواقف إيمانية ، فيها الرضا والاستسلام بحكمة الله في كونه ، وفي رباعية (مع الوجود) يقول :

كنا وأصبحنا كذكرى عائدة	من أين جئنا ؟ كيف نعلم بالمصير ؟
ومعجبة هذي المرثي الصامدة	تغدو هباءً وهي تحلم بالعبير
هذا الوجود الرحب ما أسرارها ؟	والناس يخطئها التفكير والظنون
يطوي القرون رهيبة أطواره	ويفوز فيه من ارتقى درب المنون (١)

هذه التساؤلات ليست من الإنكار ، بل من التفكير والتدبر في هذه الحياة ، وهي في الوقت نفسه تشف عن شعور دفين بالحسرة والألم ، فهو يعرض ما تبدو عليه حال الدنيا عند أول وهلة ، ثم يعرض نظرة الانسان المتعس اليها ، ثم يقدمها على حقيقتها ، يقول في ذلك :

نأتي وكل يرتجي فيه المنى	الشوق حافزه وأمال الرعاة
درباً يمر به ويمشيها خطأ	بارادة التاريخ في ركب الحياة
ويصارع الأيام والألم المرير	ويعيش يقتنص الهناء والسعود
والفد يشقى .. يدفع الثمن الكبير	حتى يرى أمجاده رهن الخلود (٢)

يلاحظ نغمة الحزن ، فالحياة عذاب وكفاح شديد ، والفد يدفع عمره ثمناً لخلود نكراه ومآثره ، وهذا المعنى يتكرر عنده في أكثر من موضع . ويرى أن الحياة تنقاد لمن ينظر اليها نظراً صحيحاً صادقاً : متاع زائل فيزهد فيها ويكون كعابر سبيل ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

لكنها تعولن يبقي بها ضيفاً عفيفاً أو عظيماً في الهمم (٣)

وقد تسربت إلى الشاعر بعض الأفكار والتعبيرات الشائعة لدى بعض أدباء العرب ،

(١) الاعمال الشعرية : ص ٥٢٦ .

(٢) السابق نفسه : ص ٥٢٧ .

(٣) السابق : ص ٥٢٦ .

بسبب كثرة إطلاعه على نظمهم في هذا الاتجاه ، مثل قوله :

(بارادة التاريخ ، الحظ يلعب ، الحظ أعمى يستبد بحكمه ٠٠)

وكان الأوفق أن يستعير ألفاظاً وجمالاً دقيقة لانتأرجح في دلالاتها .

ونظرة الشاعر إلى الأحياء أو البشر في هذه الدنيا ، لانتسم بالقدر ذاته من الاتزان والتفكر الذي بدا في تأمله للحياة ، ففيها الشكوى والنقمة والتحسر من أفعالهم وأخلاقهم ، وذلك لأنهم يدركون حقيقة هذه الحياة الفانية - التي أدرك كنهها - ومع ذلك تمتلئ نفوسهم بالشر والفساد والأخلاق السيئة ، فيشكوا إلى الله حالهم بقوله :

رباه ٠٠ ما هذا الوجود وما مآدها النور والاضلام والعمر المضاع
ما العالم المفتون في حب الحياة ! ماهذه المتناقضات وما المتاع ؟ ! (١)

وأشد ما يثيره وجود التناقض في الحياة والناس ، فالحياة مليئة بالأشرار يعيشون حياة سعادة ونعمة بينما غيرهم يعيش حياة ألم وشقاء ، وهو هنا يلح بنفسه بما يشير إلى الصلة القائمة بينه وبين تأمله ، ومرة أخرى ينزلق في تعبيراته الثائرة المتمردة :

رباه عدك أين مد ركابه وأتى الدورب (٢)

وهذه الشكوى تكثر عنده وتكرر ، وبعضها صور ومعان طرقها الأديباء والمفكرون من قبله مثل قوله :

دنيا لحاها الله قد سخرت بنا وغدت عطاياها تريب وترهب
فيها يعيش ذوو الجهالة في غنى متمردين ٠٠ وبعضهم مستكلب (٣)

من قول المتنبي : -

نو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم (٤)

وجملة (لحاها الله) بمعنى قاتلها مما عرف في الشعر العربي قديماً .

وقد كانت نظرة الشاعر إلى الناس هذه سبباً في وحدته وعزلته بعيداً عن أخلاقهم التي لم يجد فيها الخير ، يقول :

(١) وحي وقلب والهان : ص ١٧٠ .

(٢) السابق : ص ١٣٢ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٩٨ .

(٤) شرح ديوان المتنبي : ص ٢٥١ .

عفت لقا العوالم والنجوة الخاسرة

لا أرى غير من هاجه العطف يسعى ليا

اذ يداجى باخلاصه

أو يماري خليلاً بترحيبه

جلهم في يقين الزمان التعس

بين باغ وعاد وواش كنوب

هائم الحس جم العيوب

ناكر الفضل والعهد .. غاوي السبيل (١)

فهذه الصفات لعلها لا تكون في الواقع - إنما هي في أغوار نفسه الحزينة ، التي ترى الدنيا بمنظارها هي ، وهو يأسى لفساد الزمان بفساد أهله ، فلماذا يتعلق بدنيا هذه حال أهلها :

هذي حياتي شقوة وتأمل	في عالم نكر الفضائل والفنون
والناس في لهو ومعرفة الهوى	لاتنتهي بين الكبار إلى البنين
هجروا العبادة فالنفوس مهيضة	وقناعها حسد ومكر لايبين
مسكين هذا العصر ذم بأهله	حتى توات في عوالمه الظنون
فاذا مضيت فلست أسف تركه	ويكل خطو حيرة وجوى مهين (٢)

ومواقفه من الحياة والناس ناشئة عن حالة نفسية حادة متوترة نائرة ، مصدرها الشعور بالألم والنقص والتناقض . الا أن الشاعر - أحياناً - تخف ثورته وتهدأ ، فيعترف أنه جرب أصناف الناس فوجد الخير والشر . ويتمنى أن يزول الشر ليعم الخير

البشر : - الخير بين الناس في أطباعهم ويشذ منهم بالجهالة تائهون
أحببت كل الخلق لم أشمت بهم ورجوت لو يتألفون ويمرحون (٣)

هذه النظرة المتأنية جعلته يحارب نوازع نفسه ليتغلب خيرها على شرها .

وهكذا يأتي تأمله مطابقاً لنفسه الغاضبة المنفعلة - أحياناً - أو الهادئة المتأنية - حيناً - فينعكس كل ذلك على ماحوله .

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٠٧ .

(٢) وحي وقلب والحن : ص ١٤٠ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٣٦ .

وقد سلك أسلوب الشعر المقطعي - في الغالب - وهذا الميل إلى المقطعات وعدم الالتزام بوحدة البناء على المقطع الواحد ، دليل على عدم ثبات حاله وتموجات نفسه وتقلبها .

ومعظم أسلوبه يأتي فيه بعرض مباشر خالٍ من التصوير ، يعتمد الفكرة الجوهرية التي بناها من حصيلة تأمله للحياة والناس .

وقد نظم مقطوعة وحيدة في الطفولة ، فيها وصف تعبيرى لحركات طفل في سنته الأولى يقول فيها : -

وبه هوى هذا الرياضي الصغير	بسام في مرح الطيور وصفوها
ويشد من أعضائه عند البكور	ليقلد الأبطال في العابه
واستسلمت أجفانه بين الغيوم	غامت على أفراحه سحب الأكم
أمل ففي الغد تنجلي تلك الغيوم	لكنه يقظ الطبيعة ملؤه
وعلى ملامحه تجلى الكبرياء	يلهو ويسخر بالوجود وبالرؤى
أم قد رأى ما يستثير له الذكاء	أتراه يهزل حين (بوز) ثغره
أجزاءه في وجهه الحلو الطرير	بطعامه عبثت يداه وبعثرت
وتطلعت عيناه في كبر غرير (١)	ماهاب أمأ بل تحدى لومها

لقد استخدم أسلوباً سهلاً يصف حركات الطفل ، وهو لايزيد على الوصف من الخارج على سبيل الإخبار والحكاية ، وإن كان حديثه رقيقاً فيه لغة طفولية عذبة . تشف عن براءتها وعنادها واستكبارها ولهوها وعبثها . وقد أحسن حين أثار خيال القارئ في وصف الطفل وقد (بوز ثغره) و (عبثت يداه وبعثرت أجزاءه) و (تحدى لوم أمه وتطلعت عيناه . . .) وهي من الكامل بناها على المثنى .

ولابن الرومي شيء من ذلك يقول : -

لما تُؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد (٢)

وقال الشاعر السعودي عبيد مدني : -

ألم تر أن الطفل يبسم تارة
ويعبس أخرى وهو في المهد نائم

(١) وحي وقلب والحن : ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٢) ديوان ابن الرومي تحقيق د . حسين نصار : ص ٥٨٦ .

فهذا حديث عن الطفولة رومانسي الرؤية رقيق الألفاظ ، ولكنه بأسلوب تأملي يعبر إلى رؤية أعمق من كونه وصفاً خارجياً لحركات طفل ، ونظره تغوص في خفايا الأسرار والأحلام ، فابن الرومي يعقد صلة بين بكاء الطفل ساعة ولادته بما تؤذن به الدنيا من صروف . أما عبيد مدني فهو ينظر إلى ما وراء الأحلام متأملاً ذلك عن طريق ابتسام وعبوس الطفل وهي أفعال وحركات طبيعية الا أنهما لا يقصدانها لذاتها . أما عبد السلام فهو هاهنا لا يتعمق ولا يفسر إنما يصف حركات طفل طبيعية من باب التأمل لاغير .

إن احساس الشاعر بما حوله من حياة وأحياء هو سبب تأمله ، فهو يحس برهافة حسه ومشاعره المتباينة أحداث الحياة ويركز على جانب دون جانب يحكم فيه نظرته الخاصة اليها . وتكشف ألفاظه ومعانيه عن علاقة بين ذاته والموضوع . فهي تعبر عن ضيقه وتبرمه بالحياة ، فالسخرية والمصير ، التناقض ، الوجود القاهر ، لفح الملا ، الألم المرير ، يقتضي الهناء ، يدفع الثمن ، سامك المقدر ، ضريبة عليك ، ظلام التيه ، الهموم . . . كلها ألفاظ تدل على الضيق والتذمر من الحياة ومتناقضاتها .

* * *

٢ - تأملات في الكون والطبيعة :

سبق الحديث في شعر الذات ، كيف كان الشاعر يلجأ إلى الطبيعة فاراً من همومه وآلامه ليجد فيها الراحة والانس ، كما يجد ما يعادل نفسيته المتباينة بين الحزن والفرح ، وتتشكل الطبيعة ، لا على حقيقتها ، بل بما في أغوار نفسه من مشاعر متضاربة بين اليأس والرجاء وبين الحزن والفرح . فحين يتأمل البحر أو القمر أو الشجر أو أي شيء في الطبيعة . لا يصف شكله الخارجي المرئي ، بل يتعمق ذلك ليكشف عن مكنوناتها ذات العلاقة القوية بمكنوناته هو .

والعنوان في القصيدة أو المقطوعة أول ما يلتفت النظر في النص الشعري ، فمن أسماء قصائده يتضح ذلك : (المارد الرحيم) ، (العيد الخالد) ، (الأشجار الحزاني) (القمر الكهل) ، (هوء العاصفة) .

فهو حين تأمل البحر ، لم يكن ذلك في ساعة غروب تائراً بتلك اللحظات الجميلة معبراً عن جمال الشمس وهي تتجه إلى المغرب فيحتضنها البحر في ذهول وشجن ، بل كان بوحاً عاطفياً اجتماعياً ، فلقد جمع للبحر صفتين تبدوان لأول وهلة متناقضتين ،

ليعبر عما كان من أمسه ويومه ، فقد أثار منظر البحر ذكرى الحب الماضي ، وكان البحر كما عهده مكاناً هادئاً حائياً ، أما الآن فقد صار مكاناً صاخباً مزدحمًا وجد فيه غربة ووحدة فراح يتحسر على الأيام الخوالي ، ويضيق بما يزدحم به شاطئ البحر من أجساد عراة . وفي رأيه أن البحر مكان للمناجاة في دعة وهدوء لا للصخب والضجيج ، لذلك جمع له صفتين متناقضتين مارد ، رحيم ، وهما معاً صورة لقلب الشاعر ، مارد بلجيه وموجه العاتي وأغواره واتساعه وبما يتحمل في جوفه من الهموم والآلام التي رمى بها أصحابها . فهو رحيم بذلك - أيضاً - والشاعر نفسه وجد فيه طب نفسه وشفاء سقمه :

إن كنت مarderها الجبار كم نعمت روح بجوفك أضناها هوى الذكرى
وأنت لليأس رحمان تطببه وتسلم النفس في صفو به تهنا^(١)

والبيت الثاني ، مأخوذ من قول علي محمود طه في البحر أيضاً :

بيد أني أحس فيك شفاء من سقامي ورحمة من عذابي^(٢)

ويكشف أسلوبه عن تلك العلاقة بينه وبين مايتأمله ، فالخطاب والنداء : يا بحر ، قلبك ، شطآنك ، رملك ، حناياك . . . توحى بعلاقة حميمة ، والأفعال الماضية فيها إحياء وإشارة إلى ماضي الشاعر المؤلم : كانت ، كان ، كنا ، ضاعت ، هيجت ، عرت . . . مقابل ذلك يأتي دور الأفعال المضارعة المستقبلية لبيان تغير الحال وتقلبه بين الأمس واليوم : اليوم يا بحر ، ينتحب ، يضطرب ، تصطخب . . . الخ .

وتعبيره بالتضاد كالجمع بين المارد والرحيم ، الصاخب والحاني ، الراعش المجنون، ظل وكفن ، حداة . . . واليوم ينتحب . . . كلها تراكيب جميلة تكشف عن حال التوتر ، استطاع بها أن يتعمق التجربة الشعرية .

وكما راعه اجتماع التناقض أو التضاد في البحر وهو شيء مادي ، راعه ذلك في العيد بمعانيه التي تبهج الناس وتفرحهم ، فقد وجدته تافهاً أفقده أهله القدرة على اسعاد الناس، يهتم بالمظاهر ، ويتجاوز الضعفاء ويحتفي بالعظماء ، إنها رؤية نفسية ذاتية كشفت عن عدم احساس الشاعر بمظاهر البهجة والفرحة مثل العيد^(٣) لذلك يتمنى ذلك العيد الذي يعطي لكل محروم حقه :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٦١٦ .

(٢) ديوان علي محمود طه ص ١٠٢ .

(٣) انظر الأعمال الشعرية : ص ٧٠ .

العيد . . أعياد تغاير وصفها
العيد للناس المراح / ولنا بحرياتنا
وسمو كل ديارنا / العيد للأرض الأمان
للعابس المحزون بسمة حظه
للبائس المحروم بعض مراده
وللسقيم نواله التاج المضاع
وللفقير حيازة الخير اليسير
وللغريب بعودة الالف الحبيب
أعياد لو هنيء البشر / في ظلها العذب القرير
لكنت في حسابها يا عيد (١)

لقد تعمق في نظرتة للعيد ليصل إلى المعاني الانسانية السامية .

هكذا يرى في الطبيعة ومظاهرها تحولاً فيجمع بينه وبينها في صورة تغير الهيئة ،
فمنظر تهدل الأشجار وانحنائها على نفسها أوحى له بالحزن وبأنها منكبة على نفسها في
حزن عميق ، ومنظر القمر (هلالاً) في ليلة ٢٢ من شهره - أي أنه كان يتناقص -
أوحى له بالكهولة . ومنظر الشجر المتهدل المنحني الأغصان صورة لحنو الأم على طفلها
وهي تحتضنه عند أكثر من شاعر ، وممن وصف ذلك الشاعرة الأندلسية حمدونه بنت زياد
تقول : -

حللنا بوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم (٢)

وقد نسب هذا البيت إلى الشاعر المشرقي المنازي .

فهذه صور لحنو الأم ، كذلك صورها محمود غنيم أيضاً . أما عبد السلام فأول
ماتبادر إلى ذهنه هذا التفسير بالحزن وما هو الا ذلك الحزن الكائن في أغوار نفسه ، يقول
في قصيدته :

أثرت علي الشجون وقلبي	حزين لحزنك . . أم الحديقة
أيا شجرات الجمال لماذا	تشيحين عنا وأنت رقيقة ؟
تدلت شعورك للأرض شوقاً	لأصلك أم خجلاً من رقيقة ؟
وما أمر سرك بين الرفاق	من الشجر المنتشي يا صديقة

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص ١٥٢ .

غصونك تحنو على بعضها وتدنو تلامس ظل الحقيقة
وتروي انحناءاتها همس حب ونجوى ابتهاج وذكرى عميقة
تراها من العشق أدنت نراها يعانق فيها مشوق مشوقة ؟
أم الدمع غالبها في هواها فأرخت نوائبها للصديقة (١)
خواطر شتى أحس صداها أيا شجرات الجمال الرشيق

هذه الأبيات الأولى من القصيدة كلها تفسيرات لسبب انحناء الأشجار :

انطواء الحزين على نفسه وأحزانه ، خالها تشيخ باغصانها كما تشيخ المرأة الرقيقة
استعلاء أم شوقاً إلى الارض الأم ، أم خجلاً من رفيقة ، وإن سر حزنها لا يخفى على
رفاقها من الشجر الاخر .

تفسير آخر : انحنى طلباً للحقيقة تفتش عنها ، ويلاحظ عنصر الحنو - ايضاً -
في البيت الثالث والخامس : (تدلت شعورك للارض شوقاً) (غصونك تحنو على
بعضها) فحنان الام مصدر - ايضاً - في قصيدته .

والبيت السادس حوى عدة تفسيرات عاطفية : همس حب ، نجوى ابتهاج ، ذكرى
عميقة ، وكأنها قد غمرتها الذكريات فراحت تكبُّ عليها تتأملها في إمعان واستغراق ملك
عليها حسناً .

ويعود ويصورها في صورة عاشق أحنى برأسه في عناق المشوق ، أو المغلوب في
هواه لم ينل مراده - يلاحظ هنا شدة ارتباطه بحالة الشاعر - ومن ثم راح منكساً
رأسه ، وهي صورة جميلة للباكي .

نهاية المطاف لتفسيراته (خواطر شتى .. أحس صداها) لقد عبر في هذه
الجملة عن معاشته الشجرة وقد جرد منها إنسانة في كل مامر من أبيات عن طريق
التشخيص ، والصدى : هو ترداد الصوت ، وما ذلك الصوت الا رنة الحزن التي طالما
ترددت في نفسه .

هذه تفسيرات متعددة أطلقها على الشجر المتدلي الا أنه رجح خاطرأ غالباً وهو
خاطر الحزن الأكثر ملاءمة لنفسيته يقول :

أراك تهيمين بين الحزاني تنويين شجواً وانت العريقة (١)

كأنها إحدى الحزاني ، إنها جدُّ حزينة ، بل إنها لتذوب حزناً ...

لقد جاء تأمله في هذه الشجرة وغيرها متأثراً بما ذكر قبل من مؤثرات دائه العضال وحرمانه ، فأسلوبه وطريقته في التعبير والتصوير كشف للعلاقة بينه وبين الطبيعة وخاصة أسلوب الحوار والنداء مما يوحي بعلاقة حميمة يقول في (القمر الكهل) :

أهذا أنت ياخلي وأحلامي تداعبني بتقطيب وأوهام
بنصف الوجه تلقاني وفي خجل كئيب مكفهر... يارؤى الظامي (٢)

فهو هنا يجمع بين الخوف والوصف ، الخوف من الاحساس بدنو الأقول الذي يعني نهاية العمر لديه نتيجة للصلة التي أقامها بينهما ، فهل التقطيب وسيلة للمداعبة ؟ وهل منظر القمر وهو يتناقص يثير الحزن حتماً ؟ لا ، إلا إذا كانت نفس الرائي حزينة ، وقوله (في خجل كئيب ...) وكأن القمر خجول مما أصابه فوارى وجهه حزناً لذا وصفه بالكآبة ، من أجل ذلك كان أسلوب الشاعر أسلوب عتابٍ وتساؤل ، فهو بعد ذلك يؤكد له اجتماعهما في الآلام :

شحوبك من شحوبى ران في أفقي خريفياً .. يميننا ويسقينا
كلانا شاعر .. دوامة تمضي بدورات وأطواق ستحوينا (٣)

وتكثر في المقطوعة ضمائر المشاركة : - (حسبنا - يضمننا - يدعونا - يميننا - يسقينا - ستحوينا ...)

هكذا يربط الشاعر بين نفسيته وبين تأملاته لما حوله رباطاً قوياً ، يأنس فيه بمن يشاركه همومه وآلامه ، وان كان يرجو بزوغ الأمل في ثنايا الحديث الحزين ، فيعبر عن اشراقه ، كما عبر عن اهتزاز الأغصان في الشجر حين تمر بها الريح في قوله في المقطوعة السابقة :

وفي همسة الريح تلغو الشعور جدائك الخضر تلك الانيقة
تصفق للروض أو تستثير ربيع الحياة وترجو بريقة (٤)

(١) الأربعون : ص ٨٩ .

(٢) السابق نفسه : ص ٩١ .

(٣) السابق الصفحة نفسها .

(٤) السابق : ص ٨٩ .

جملة (تصفق للروض) مفعمة بعلامات البهجة والسرور ، فالتصفيق رمز للسرور والروض معنى للجمال ، وجملة (تستثير ربيع الحياة) (ترجو بريقة) كلها تعبيرات مشرقة الا أنها كومضة البرق تشع من خلال القتام ، إذ مايلبث أن تطفح مشاعر الحزن فيعود يتخيل التصفيق أنين جراح :

كأن الصفيق أنين الجراح يند بأهات شاك طريقته

ويبدو ذلك الاشراق - أيضاً - في (القمر الكهل) حيث يتمنى أن يظهر وجهه الكامل بدمراً لكي يغرد في بهائه وينشد حسنه .

إن غلبة مفردات الألم والشكوى والحزن في تأملاته هذه لم تمنعه من ذكر سمات الجمال والأحوال الزاهية له فصورة الأشجار التي شبهها بالمرأة تبدو غاية في الروعة والجمال : تشيحين عنا وأنت رقيقة ، تدلت شعورك ، خجلاً من رفيقه ، تهيمين ، تذيبين شجواً ، جدائك الخضر تلك الأنيقة أوصاف تمنح الشجر سمات الجمال الأنثوي الرقيق . وهكذا أجاد الشاعر في الجمع بين التأمل النفسي والتصوير الفني .

ويبدو الشاعر في كلتا القصيدتين بالذات ؛ (الأشجار الحزاني) و (القمر الكهل) شديد الخوف من النهاية ، ولعل منشأ ذلك الخوف جاء من أمرين : الأول ، قد يكون أصيلاً ، وهو آلام مرضه الملازم له ، والآخر عارض ، وهو الاحساس بتقدم العمر ، ومايوحي به من دنو الأجل .

وهنا يُرجع إلى عنوان الديوان الذي أخذنا منه ، (الأربعون) وهو من دواوينه الأخيرة نظم قصائده بعد سن الأربعين وشعوره بأن العمر يتقدم به ومايزال غارقاً في آلامه وعذابه ، وهو ما عبرت به قصيدة (القمر الكهل) فهو يسأله ويشاطره الأقول :

ولكني أرى في نصفك القاني نذير غرويي المرقوب ينفعل
أراك شبابي المحروم . . وأصطرت معاله بركبك . . هل دنا الأجل ؟
(١)

إنه يتخيل أن منظر القمر وهو يتناقص نذير دنو الأجل ، وهل القمر يموت ؟ انه يريد دنو أجله هو .

وهذه الرؤية النفسية للطبيعية « تعبر عن احساس الشاعر بالفناء أمام تبدل مظاهر الطبيعة وتغير جزئياتها . فحينما يلتقي الشاعر بالطبيعة فإن وجدانه ومشاعره وأحاسيسه هي التي تلتقي بها ، ولذلك لا يراها على حالتها الدائمة ، أو يرى نضارتها فقط ، بل يراها على النقيض ، حيث تتبدل وتتغير وتذبل وتجف » (١) .

بيد أنه حين تهدأ عواصف الألم وتخف نوازع الخوف في نفس الشاعر ، تبدو الطبيعة ناطقة بالبهجة والحبور (فهدوء العاصفة) مقطوعة تعبر عن حالة نفسية متزنة هادئة ، وهي ليست عاصفة حقيقية ، إنما حالة نفسية اعترته ثم هدأت ، والسمة الواضحة فيها مخاطبة الشاعر لعذارى الربيع ولعله قصد بها بنات أفكاره . فقد بُنيت المقطوعة على هذا الخطاب ، واختار من الزمان الربيع رمزاً وإيحاءً بالجمال والمتعة والبهجة ، وقد جعل بنات أفكاره أو عذارى الربيع الرابطة التي تربطه بالطبيعة تلتقط مافيها وتبرزه في عمل أدبي جميل .

وتنقسم المقطوعة أربعة أقسام تتحرك فيها عناصر الطبيعة بحركة لطيفة وبصور شتى :

ففي المقطع الأول الصور التالية : [عيون الزمان تغفو ، ناي الأمل يغرد ، قلب الحياة يشع ، الصبح يشرق ، العطور تفوح ، الغصون تميمس ، الزهور تعربد ، الثغور تغني ...] .

المقطع الثاني : يأتي الحديث عن البحر بصورة تختلف عما سبق : [البحر صامت هادئ ، الموج يعانق الطبيعة ، عروس المياه تغني ، طيوف النسيم تموج وتصافح وجه الرمال ، وتلثم ثغر الزبد ، قلب الشاعر هائم سعيد بحضن الوجود الجميل ...]

أما المقطع الثالث : فلقد ترك فيه أمر الطبيعة جانباً وركن إلى أيكة شاعرية يتلمس جمال الطبيعة ، فقد هدأت العاصفة ، وبدا يخلو له الآن أن يتأمل : (وقد هدأ الجوفي

(١) طلعت ابو العزم ، الرؤية الرومانسية للمصير الانساني لدى الشاعر العربي الحديث : ص ٩٩ .

أفقه) ومضت شقوة الأيام والهموم ، ومضى الأمس التعيس ، وبقي له التمتع بالآتي
السعيد . إنها اشراقاة أمل لاحت له في ساعة هدوء :

مضى الأمس هيا نعيد الأغاني

نرتل أنشودة الحالمين / ونسمو هنا بالعواطف

نراقص حلم الشباب البديع / ونقطف زهر الاماني

بظل الربيع وظل الجمال

ولكنه لا ينسى ما الحياة :

فما العمر الا بقايا ضباب / يلغعه النور لمع السراب

ويطويه كف الخريف / ومانحن الا رؤى واجفة

سيأتي عليها الغد / ويسحقها في طريق النهاية (١)

أما المقطع الرابع والأخير ، فهو قصير يؤكد فيه على بنات أفكاره أن يقبلن عليه
ليطفن معه في الربوع قبيل النوى والوداع ، وقد ردد فيه بعض أشطر المقطع الأول .

والمقطوعة من المتقارب خفيفة متتابعة ، وذلك ديدنه في تأمله يلجأ إلى البحور
الخفيفة وإلى النظم على أساليب الشعر المقطعي ، وتتلون لديه القوافي ، ففي مقطوعة
(إلى الصلاة) وقد بناها على مجزوء المتدارك ، لا يستقر فيها على نظام واحد فلقد أتى
بها ثلاثية وخماسية وسباعية ومزدوجة ، وهذا يعبر عن تقلبات نفسه والتعبير عن السعادة
بأي شكل ، وقد كرر جملة (هيا قم بنا للصلاة) وفي تكرارها شيء من الاتزان والثبات
ولكنه لا يلبث أن يزول ويتفكك فلا يحافظ على الالتزام بها .

وتقوم المقطوعة على التدبر في آيات الله واستجلاء جمال الكون ، وقد بدأها بقوله :

(ولماذا لا يصلي الوجدان في أحضان الطبيعة) (٢)

وتتحرك الطبيعة فيها بحركة خفيفة جميلة بما فيها من شجر راقص ساحر ، ونسيم
عليل ، ورياح نشطة خفيفة وربيع بديع ، وصيف خليع ، وشتاء صقيع ، وأصيل يرخي
سدوله على الكون . . .

فالرقص والغناء واللحن والمرح والعزف . . . وغيرها ألفاظ شفافاة تدل على الحبور .

(١) وحي وقلب والحنان : ص ١٩٢ ، ١٩٤ .

(٢) السابق : ص ٢٠٨ .

وهاتان القطعتان ، (هدوء العاصفة) و (إلى الصلاة) من ديوانه (ألحان الأمل) فمن العنوان تبدو بهجة الآمال تتراعى أمام الشاعر في لحظات سعادة ، وهنا يمكن ملاحظة علاقة الديوان بما يحويه من قصائد ومقطوعات ، ولعل الشاعر يتعمد ذلك ، فإن (ألحان الأمل) يحتضن قصائد غزلية يبدو فيها الإشراق .

ومجمل القول : إن الشاعر يتجه بتأملاته إلى الطبيعة والكون فيفيض عليها من نفسيته ومشاعره سواءً الحزينة أو السعيدة . . فهي رموز لها ، والحزن عليه أغلب ، ويوجد فيما يتأمله ملاذاً له من شعوره بالغربة ، وهي نظرة رومانتيكية اتخذ شعراؤها من مشاهد الطبيعة : « رموزاً لعالمهم النفسي ، وخلعوا عليها كثيراً من مشاعرهم الذاتية ، كما وجد فيها شعراء الحركة الوجدانية العربية ملاذاً من غربتهم بين الناس وذريعة للتنفيس عما يجيش في صدورهم من عواطف » (١) . كما أن الشاعر لايهتم بوصف الطبيعة كمشهد من مشاهدها ، بل إنه يهتم بحالة كل منها « بمقدار ماتعينه على تصوير احساسه بالتحول» (٢) وهذا الامتزاج والمشاطرة مع الطبيعة ما عرف به المهجريون الذين شكوا الوحدة والغربة عقب رحيلهم عن موطنهم الشرق . ويتسم شعره التأملي بطابع تجديدي في الشكل وميل إلى التنوع . من حيث لجوئه إلى الشعر الحر والمقطعات المختلفة التي يتنقل فيها من شكل لآخر ، فلا تنتظمها حالة نفسية واحدة ، مما يدل على عدم ثبات الحالة الانفعالية لديه ، وتموجات نفسه حدة ورقة وحزناً وفرحاً . كما تبدو في شعره هذا الوحدة العضوية أو الموضوعية والتي هي مقوم أساسي للرومانتيكية .

وتبدو القطع المعبرة عن الإشراق وضاعة زاهية يجنح فيها الخيال ويتلاحق فيها الإيقاع بخفة نشطة تعبر عن الانتشاء في عالم خيالي مطلق في أرجاء واسعة من الطبيعة وجمالها الحالم ، وقد عبر الشاعر عن ذلك بالخمرة الروحية في قوله :

إنها نشوة الروح : دنيا الهناء الظليل (٣)

واستخلاصاً مما تقدم يلحظ : - ان تأملات الشاعر هذه تصدر عن عاطفة حارة منبعها الذات والمعاناة الخاصة ، وهي تفتقر إلى عمق الفكر الفلسفي ، فما هي إلا

(١) الاتجاه الوجداني : ص ١٤٣ .

(٢) السابق : ص ٢٤٧ .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ٢٢١ .

نظرات عابرة ، تتسم بسمة الامتزاج والاشترار مع الطبيعة ، فيجد فيها مايعادل نفسيته المتقلبة بين السعادة والشقاء ، وهذا دليل على عزله وخصوصية ذاتيته .

كما تتسم تأملاته - غالباً - بالخيال الملحق واستخدام التصوير والتجسيم بغية كشف الصلة بين نفسيته ومايتأمله فتحركت الطبيعة ومشاهدها بصور جميلة فيها الروعة والبراعة على غلبة الحزن في أكثرها .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر لم يهتم بالوصف بكونه وصفاً بقدر ما اهتم برسم رموز لنفسيته من الطبيعة ، وقد حاول الشاعر أن يقيم قصيدة على الوصف ، إلا أنه لم يعرض للوصف إلا في أبيات قليلة منها ، وذلك في (وادي العقيق) هذه القصيدة التي يعرض لها بعض النقاد شاهده على كثرة الوصف عنده يقول د . إبراهيم الفوزان :

« أما شاعر الطبيعة في الحجاز عبد السلام هاشم حافظ فكثير (١) ماوصف مفاتن بيئته فاسمعه يصف وادي العقيق بالمدينة . . . » (٢) ثم عرض للأبيات الوصفية فيها .
والحقيقة أنه شاعر وجداني لايميل إلى الوصف إلا بما يوافق نفسيته ، وانشغال الشاعر بذاته وخصوصياته يفقده القدرة على رؤية الأشياء والطبيعة رؤية تجريدية ، يقول د . عبد الله الحامد : « وإذا كانت الظلال الرومانسية تفسد الوصف فإنها - أيضاً - سبب هام من أسباب قلة الوصف في الشعر ، إن الشعراء الوصافيين ، هم أصحاب القدرة الخارقة على رؤية واكتشاف الأشياء ، وهذه القدرة هي سعة الخيال ، كما هي رهافة حس ، لكن الرومانسيين تشغلهم نواتهم عن هذا الجانب » (٣)

والقصيدة في أكثرها عاطفية تتحدث عن ذكريات الشاعر مع الصحب وهم جلوس في هذا الوادي يتأملون الماضي العريق ويجددون لحونه في أشعارهم . وهي وقفة تقليدية ، فقد وقف الكثير من الشعراء على هذا الوادي في الماضي والحاضر ، ومن السعوديين الذين وقفوا عليه ووصفوه ، عبد القدوس الأنصاري ومحمد هاشم رشيد ، يقول

(١) (فكثيراً) .

(٢) الأدب الحجازي الحديث : ص ١٠١٢ .

(٣) عبد الله الحامد ، اتجاهات الشعر المعاصر : ص ١٥٢ .

الشاعر فيها وهو الجزء الخاص بالوصف : -

وإذا العقيق تدفقت أمواهه وتراقصت نشوى على هذي الرمال
غنت به العرصات وارتعش الدجى وترددت ألحانه بين الجبال
وتجاوبت مع ذكريات الأولين
يالجلال وأنت تزحف هادراً وتشق دريك صاعداً عبر الحياة
والموج يلحق بعضه متهاديا ذهب الأصيل عليه لونها شفاه
تروي لعروة مجد أيام فنين (١)

وله قصيدة أخرى في وصف (كيوبيد) وهو ممسك بنشابه ليصيد به القلوب وهي مكونة من ثمانية عشر بيتاً من المتقارب . ولكنها ليست بالوصف الخيالي الممتع ، فالموضوع نفسه لا يستحق الوصف .

* * *

٣ - تأملات و نظرات في المحبة :

إن كلمة المحبة تشمل أصناف المحبة بعامه ؛ محبة الله ، محبة الإنسانية ، محبة الحياة ، محبة المرأة . . . يرى الشاعر المحبة ضرورة من ضروريات الحياة ، تؤلف القلوب وتربط العلاقات الإنسانية برباط عاطفي ، وهي من أسمى العواطف ، عبر عن ذلك في رباعية (مع الحب) :

أسمى العواطف قد عرفناها باقية للولد والأم الرؤوم وعطفها
للزوج والاولاد دنيا حانية وغمامة تندى عليهم لطفها
والحب أفهمه وسيلة غاية روحية يزهو بها القلب العميد
الحب باعث عزة وقداسة وتآلف الأرواح والود الأكيد (٢)

وبهذه النظرة للمحبة يتطلع إلى القيام بدور الفنان في زرع هذه العاطفة السامية في الإنسان ويعتبرها مسؤولية :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٣٦١ ، ٣٦٢ (العقيق وادي في المدينة المنورة ، يسمى بالعقيق لحمرة موضعه ، ينقسم قسمين صغير وفيه بئر (رومة) وكبير وفيه بئر (عروة) ويسيل من الجهة القبلية بجبال مكة ثم يتكاثر في طريقه حتى يصل إلى المدينة ويخرج منها ، ويقع في منطقة إستراتيجية حيث تعتبر أول محطة للمدينة لكل من غادر أو قصد إليها) المدينة المنورة في التاريخ ، عبد السلام هاشم حافظ ، بتصرف : ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) السابق : ص ٥٣٥ .

الحب للناس .. والأطفال نسكبه
للشعر والفن .. والإيمان يخصبه
هذي رسالة سر الحب .. يصحبه
قلب كبير يعيش العمر .. يرقبه (١)

وفيلسوف هذه العاطفة فيقرنها بالإنسانية ، فالحب في نظره يسمو بالإنسانية الى معاني سامية من الصفاء والوداد والجلال والارتقاء وتحقيق الآمال ، يقول في مقطوعة (لأنني إنسان) : (أحب لأسمو بكينوتتي)

ويعقد رباطاً وشيخاً بين الحب والحياة ، وقد سمي مقطوعة له باسم (ما الحب إلا للحياة) ينفي أن يكون الحب إلا للحياة ، ويتكرر فيها هذا المعنى يقول :

ما الحب الا للحياة فاهناً به قبل الدموع
ما العمر الا للحياة فارفق بأسرار الضلوع^(٢)

ويقول في (لأنني إنسان) :

أحب الوجود لأنني بشر لأنني بروحي أمجد قلبي
أحب الحياة لأنني بشر وإنسان يرنو لدنيا العلاء
فما الحب الا نداء الحياة وإنني أحب وحسبي ثورة^(٣)
في هذه المعاني دعوة إلى حب الحياة والاستمتاع بجمالها .

وفي مقطوعة (الحب) يرتقي في نظرتة للمحبة فيتخذ منها وسيلة إلى البرهان على فكرة يبني عليها مقطوعته فهو يبحث عن روح الحب التي تشيع في الكائنات والطبيعة والناس ، ويتدرج في عرض مشاهد الكون ، من الجمال الطبيعي إلى حب تلك الصور ثم إلى حب الجمال وينتهي إلى معرفة جوهر هذا الجمال وبهذا التدرج يتأمل جمال الكون مغلفاً بالحب فيهديه إلى الخالق المبدع .

وقد بنى المقطوعة على صيغة الاستفهام التقريري وجعل الحب الشيء الأساسي في

منح الماديات الجمال والروعة يقول : -

(١) ترانيم الصباح : ص ٧٤ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) السابق : ص ٥٨٨ - ٥٩١ .

من علم البلبل الانشاد في السحر؟
من رقرق السحر في قلب الحياة ومن
من هدهد الروضة الخضراء للنغم؟
من أودع الأم حساً صادق الدفق
من أفهم الطفل عطف الأم ملتحمًا
الحب ضمهما للخلد وانتثرت

من لقن الطير ترنيماً مع الزهر؟
عرى مشاهد هذا الكون للنظر
من داعب الغصن في اشواق مبتسم؟
ترى بلفذتها ميلاداً من الشرق
به ٠٠ ومن دمها يروى ويستبقى
مشاعل النبل في عز وفي صدق (١)

وهكذا يتابع تساؤلاته ، ويربط في كل مرة ذلك برباط الحب .

فالحب هو السر الذي جعل البلبل تغرد والطيور تصدح مع الزهر ، وهو الذي كشف
مفاتيح الكون والطبيعة وصاغها لحنًا حلواً . الحب وراء تمايل الأغصان وتهادي الروض
وجمال ألوان الزهور وشذا رائحتها وأنتلاق ربيعها ، الحب أسر إليها بالنضارة . الحب
وراء المعاني السامية وعلو الهمة والدفاع عن الأوطان ، الحب وراء أحاسيس الأمومة
ومشاعر البنوة ، الحب وراء شبوب العاطفة وإيحاء الإلهام . الحب هو الذي يضفي على
المرأة فتنتها وجمالها وهو باب السر المشرع على الجمال . الحب وراء أحاسيس الأشواق
والأحلام والاقبال على الشعر . الحب أجمل ما وهب الله للبشر ، جعله سر البقاء والتعايش
مع الكون وهو سر تجديد الحياة .

وقد أكثر الشاعر من المعطوفات في هذه المقطوعة التي بناها من البسيط على
المربع ، وهذه المعطوفات جاءت لرصد حركة الكون ، ورغبة من الشاعر في عرض أكبر
قدر من مشاهدته التي يثبت بها نظرتة هذه للحب . وهي نظرة مبنية على أساس فكري
موحد وشعور صادق ، وقد انطلق من هذا المنظور العام للمحبة إلى نظرة خاصة حول
الحب بين الرجل والمرأة ، وهو وقد أكتوى أيام شبابه بقصة حب فاشلة كان لها أثرها في
نفسه ونظراته ، وذلك الفشل لم يجعله يسلك مسلكاً ملتويًا بل صبر وتحمل لمواقفه المحددة
نحو المحبة بأجمع ، وقد بث آراءه في هذا النوع من الحب في أكثر نواوينه ، يبدو فيها
مدافعاً عنه ، يراه سموًا وطهرًا ، ومن ثم جند نفسه للدفاع عنه في وجه من يرونه فحشًا
وضلالاً . وهي آراء تصدر من تجربة ذاتية خاصة إلا أن للبيئة أثرًا في ذلك ، فأرض
الحجاز أرض الحب العذري وشعر العفة منذ صدر الإسلام وحتى العصور التالية له وهو

إمتداد وصور تاليه لهم ، كما أنه يتلاعم مع المذهب (الرومانتيكي) وشعرائه الوجدانيين الذين ترتبط تجاربهم برباط روحي يحمل معاني الطهارة والسمو والعفة ، وهذا أحد أوجه التوافق مع كثير من مفاهيم هذا الاتجاه .

يقول الشاعر متغنياً بمبدأه في الحب :

الحب كأس صبابتي .. لبدايتي ونهايتي

فيه المكارم والفضيلة .. والحق والدنيا الظليلة

فيه العواطف لاتسف ولاتميل إلى الفتن

هي حافز للخير .. وللإجلال في صفو الزمن (١)

بل إنه يراه هدياً للقلوب ونوراً للعقول متى كان أساسه الطهر والعفة :-

الحب هدي للقلوب وفجر نور للعقول

وأساسه الطهر العميق وعفة الروح البتول (٢)

ويتذمر ويسخط من نظرة الغير اليه نظرة معاكسة لنظرته ، ممن يرونه من الأعيب الوجود ومن اللهو الحقير لانبل فيه ولا احساس ، ويكثر التساؤل حول ذلك النوع من الحب ، ففي مقطوعة (رحماً على الحب) يبدو وكأنه يرثى الحب الطاهر الذي جنت عليه الشيبية والغواني بالمجون متعالياً بخصوصية نظرته يقول فيها :-

ما الحب ؟ ماهو سره الخافي الجميل ؟ ماذا يشوه وجهه هذا النبيل ؟

أتراه تاه عن الجلال وسفحه لا .. بل هم الناس الشرار غووا السبيل

فعليه قد جنت الشيبية والغواني بالمجون

الحب أصبح من ألعيب الوجود ومظلة الأجساد في وادي العبيد

زل الورى واستعبدته لذائذ اللهو الحقير

وحياة عشاق الفضيلة في السمو عن الوجود (٣)

وإنما هو إلى سر الكمال ودرب النجاة يقول الشاعر :

هو الحب أسمى معاني الحياة وسر الكمال ودرب النجاة (٤)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٣١١ .

(٢) سمراء : ص ٧ .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ١٩٦ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٣١٢ .

وهذه نظرة رومانتيكية أيضاً : « وليس الحب عند الرومانتيكين مجرد فضيلة ، بل هو على رأس الفضائل ، وهو وسيلة تطهير النفوس وصفائها » (١)
وهذا المبدأ تردد أكثر من مرة عند الشاعر :

فبالحب تزهر الحياة وتنمو ... بكل الوجود

وحي العواطف يبني كيان الغرام

فلا ضيم يبقى ولا الضغن يغزو الانام (٢)

... والحب أقدس مكرمة تطهر النفس والاحساس بالعصم (٣)

وله مقطوعة تقوم على نقاش بين الشاعر وصديق له تبين نظرة كليهما للحب ، يتبع

فيها أسلوباً جميلاً من المفارقات بينهما يقول في بدايتها :

يا صديقي .. لست من رأيي .. ولا أنا في اتجاهك انظر

إننا لمختلفان في مفهوم عاطفة تلوب وتهدر

ثم يعرض رأيه الخاص في الحب بقوله :

الحسن إنسانية فيها .. وأحلام تطوف وتعبر

وشعوري الوردي منطلق سماوي يحب ويشعر

والحسن أهوى فيه إلهاماً يجيء ملائكياً صافياً

حسناً طفولياً بريئاً لم تلونه الأنوثة ثانياً

وجمالها لا يعرف التغيرير بالشادي .. وفيه تعالياً

ثم يعرض رأيه صديقه ورده عليه :

لا يا صديقي .. إن زعمت الحسن شهوانية .. هذا لك

إن قلت لي إن الأنوثة في نضوج الجسم هذا حسبك

أنا لا أحب سوى الخيال وعطره .. أنا لست أعشق مثلكا

فأرى الجمال وسحره يزهر على بعد .. فأين مجالكا (٤)

وهكذا يعرض رأيه ورأي صديقه في المقطوعة كلها ، وفي آخرها يؤكد أن هذا رأي

كل فنان مثالي يهوى الجمال للفن ، ويرى الأنوثة أو الجمال كالزهرة في يد الفنان ،

جمال يتأمله عن بُعد دون لمس يذبله .

(١) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية : ص ١٨٨ .

(٢) سمراء : ص ١١ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٤٥٣ .

(٤) الأربعون : ص ٤٣ .

٤ - تأملات في الشعر والشعراء :

لقد عرض البحث في التمهيد لبعض آراء الشاعر النثرية في الشعر ، مما كشف عن مواقف خاصة استمدها من ثقافته وإطلاعه ، ومدى التزامه بتطبيق ذلك في شعره .
وها هنا يعرض البحث نظرات وتأملات الشاعر في ماهية الشعر وفنياته ورسالة الشعراء من منطلق فني شعري ، وليس من تقرير نثري يأخذ طابع وصف الحقائق وتقعيد القواعد .

يرسم الشاعر في نظراته هذه صورة مكتملة الوجوه للشعر والشاعر ، ما يكون عليه الشعر وما يلاقيه الشاعر للوصول إلى مبتغاه ، والتأمل في هذا صفة غالبية على معظم دواوينه ، في قصائد ومقطوعات كاملة أوفي أبيات متناثرة هنا وهناك من الدواوين .
فالشعر في رأيه هو الطريقة المثلى التي يلقي فيها الشاعر متنفساً لخواطره ومشاعره وعواطفه ، فهو نفس الحياة وحسها ، تحركه الحياة ، ويشعله الألم ، وهو شعور يجيش في صدر الشاعر يريد مخرجاً فيطفو هديراً وينطلق كالحمم من بركان متوقد ملتهب ، يقول معبراً عن ذلك :

الشعر أنفاس الحياة وحسها	ولظى خيالات يشعله الألم
هو نبضة الفنان من أعماقه	تطفو هديراً في مراجله الحمم
الشعر أضواء الشعور وريه	أنا لم أعش إن لم يكن نابي نغم
قلبي ووجداني أهازيج الرؤى	أصداء هذا الشعر ترنو للقمم (١)

هذه الأبيات مقدمة ديوانه (أضواء ونغم) وقد أشار في البيت الثالث إلى اسم الديوان .

والشعر عالم خيالي حالم لا يخوضه إلا من شعر بالآه والأشجان ، وهو طريق صعب عبوره ، كما أنه فجيرة هموم توقد الخيال ناراً وتشقى ليالي الشاعر ، وقد كشف عن هذا المعنى لفتاة رغبت تعلم الشعر فبين لها مشقته في قوله : -

أخشى هموم الشعر تفجعك توري الخيال وترقص الليل الشقي
تسقيك لون الجرح .. تفزعك وتروعك الألوان فيما قد بقي
ودعوتها : يا أنت صوغياها بالآه والاشجان .. ينفعل القلم
بوحى بذاتك .. بل وغنياها لحنًا ووجدانًا يذوع مع الالم (١)

فالشعر - لديه - بوح بالذات ، يتغنى بها ويشكو آلامها ، وهنا يمكن ربط ذلك بشعره هو ، لقد تمثل هذه النظرة - حقيقة - فشعره ذاتي - في أكثره - وبوح لمشاعره وآلامه .

وفي نظره أن الشعر يقوم على مبدأ هام وهو الإحساس الصادق بالذات وبالتعبير عن خلجات روحه ونظراته إلى ماحوله ، يقول في قصيدة (الشاعر) : -

فيرى بها ما لا يراه الناس من سحر وأسرار الهوى
ويحس ألوان المعاني ما يثير ويستجيب إلى النداء
ويصور الأشياء حساً صادقاً متدفقاً حلو الندى
تعبيره فن له لغة الملائك والبلابل والسنا (٢)

لذلك أدرك العرب القدماء أهمية الشاعر حين عرفوا له مكانة عالية في قومه ، فحيرتهم قدرته على النظم بينما هم لا يقدرون ، ومن ثم نسبوها إلى الجن وما ذلك الا لتمييزه عن غيره بهذه القدرة .

وللشعر مقومات هي أدواته : الفكرة ، التي تطرح الموضوع بصدق ، وهي الأداة الطيبة بيد الفنان ، وهي لهب ينير دربه ، وثمره ثقافته تزوده بالمعارف (٣) . والطبيعة ، صنو الفنان ، وهي مسرح لمشاعره وخيالاته ، فيعب من نبع جمالها صوراً فنية (٤) . والجمال ، هو سر الفنون ورواء الخيال ومصدر الالهام (٥) ، والقلم . هو أنبوية الخواطر ، تصور الابداع وتصنع الفنون وتترجم المشاعر بالكلمة المكتوبة (٦) . كل ذلك عبر عنه في رباعيات (مع الفكر) ، (مع الطبيعة) ، (مع الجمال) ، (مع القلم) في قصيدته :

(١) الأربعةون : ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) انوار ذهبية : ص ١٧ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٢٨ .

(٤) السابق نفسه : ص ٥٣١ .

(٥) السابق : ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

(٦) السابق : ص ٥٢٠ .

(الشاعر والحياة) وكلها أمور مساندة للشاعر في صوغ مشاعره . والشاعر ، كانت له فيه مواقف ونظرات ، جعل له رسالة ومسئولية ، فرسالته - كما يراها في نفسه أو في غيره - هي ما يحملها نتاجه الفني للغير من فكر وأدب يثير به درب الآخرين :

فرسالتى فكري ومسئولية الأدب المعبأ بالشعل

فينيير درب السالكين . . ومن خطا يبغى العلوم غدا بطل (١)

وأول مسئوليات الفنان ، الشعور بالغير :

لكنه أبداً يفكر كالشريد في الناس في البؤساء في الكون العنيد (٢)

وهو الشعلة التي تحترق لتضيء للآخرين ، وهو (جذوة المرقور) و (الدفاء الحنون) و (الثلج للحران) . . . وهذا يدل على الإيثار ونكران الذات ، فهي معاناة من أجل إسعاد الآخرين ، ولكنها تسعد الفنان لأنها تصدر من قلب حنون وعاطفة رقيقة ، فالحنان والرقّة - أيضاً - من مسئولياته :

هو رقّة تندى على الناس الحنان ومشاعر يقظى . . تصور ما يراه (٣)

ومسئولية الفنان تمجيد صنع الله ، وتصوير ما في الوجود ، فقد صور الشعراء بالطيور المغردة ، وبالشعاع المضيء :

ونحيا طيوراً تغرد للوجود

شعاعاً يضيء الطريق

نمجد صنع الاله (٤)

كما عليه أن يثور للحق ومقاومة الظلم ، وهو من باب الاحساس بالغير والثورة من أجلهم .

ونتيجة لتلك المسئوليات التي يتحملها الشاعر ، فإنه يشعر بمعاناة ، لقد وصف الشاعر احساس الفنان المرهف إزاء ما يعكر صفوه ، ويرسم صورة لحياة الفن المبررة

(١) ترانيم الصباح : ص ٢٦ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٧٧ .

(٣) السابق نفسه : ص ٥٢٤ .

(٤) السابق : ص ٤٤٥ .

المحرومة من المتع ، فهو يستعذب الآلام ، وتحرقه الآهات ، ولا يجد في السرور متعة أو
في الضياء نورا :

هذي حياة الفن حرمان مرير ولظى يشعل في الجوانح بالصدى
هذا هو الفنان يرعبه السرور ويفر من شبح الضياء إلى الدجى
يستعذب الآلام في الوكر القرير ومن السطور تراه يحلم بالمصير (١)

ورغم ذلك يعشق هذه الحياة بآلامها وعذابها ، لأنها تلهمه الشعور المعطاء ، الذي
يجعله يصور ذلك العذاب والحرمان ، فيما يشبه الحكمة :

عشق الحياة لفنه وعذابه وهل الحياة سوى عذاب دائر
وهل الدنى الأمراره كأسه يبقى يجرعها بقلب ثائر (٢)

ولكن أشد ما يعانيه الشاعر تجاهل بعض الناس له ولفنه ، وعدم فهمهم لمسئوليته
العظيمة :

لم يفهموه ولو ثوه بغيهم والفن أسمى أن ينال بما يشين
حسبوه لهواً واستجاب لجهلهم والفن في الدم مصدر العلم الأمين (٣)

وهذا الشعور يدفعه إلى العزلة والوحدة فراراً من جهل الناس :
هو هكذا يحيا غريباً في الدنى والناس تجهله ويهجره الصديق (٤)

هذه مجمل نظرات الشاعر وتأملاته في الشعر والشعراء ، وهي - كما ظهر -
متعلقة بنظرة اكتسبها من تجربة خاصة ، لأن الشاعر يعبر عما يتراءى له ، وكما يحس هو
ويميل ، لا كما ينبغي أن يكون عليه الحال ، وقد كوّن بهذا نظرة يجدر أن تكون حقيقية
مستمدة من خصوصية .

* * *

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٤٤ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٣٤ .

(٣) السابق : ص ٥٢٩ .

(٤) وحي وقلب والحان : ص ١٦٩ .

الفصل الرابع

شعر المناسبات الاجتماعية

شعر المناسبات الاجتماعية

نالت المناسبات جانباً في شعر عبد السلام ، الذي خاض غمار المناسبة بأشكالها السعيدة والحزينة ، واصفاً أثر ذلك في وجدانه وأحاسيسه ، فقد اهتم بالتعبير عن شتى المناسبات سواء الأسرية أو الاخوانية وقليلاً المناسبات العامة فنظم في الأغراض التقليدية من مدح ورتاء وتهاني وغير ذلك ، كما عبر عن أسرته وترجم شعوره في مناسباتها المختلفة ، وقد آثرت فصل الشعر العائلي أو الأسري عن بقية المناسبات الأخرى لخصوصية الموضوع وتعلقه بحياة الشاعر الخاصة وذلك تحت عنوان (الشاعر والأسرة) على أن يبقى ما يدخل منه تحت غرض الرثاء في المناسبات الاجتماعية كنوع من الشعر التقليدي أولاً ، ولكي تكتمل صورة الرثاء كموضوع مستقل له خصائصه ومميزاته ثانياً ، أما ما هو من قبيل المناسبات العامة فيظل بمفرده ، يدخل تحته المدح والرتاء وغير ذلك من أمور المناسبات المختلفة (الاخوانيات) .

ومن هنا يصبح شعر المناسبات على قسمين :

١ - الشاعر والأسرة .

٢ - شعر المناسبات العامة (مدح - رثاء - اخوانيات) .

* * *

١ - الشاعر والأسرة :

حديث الشاعر عن أسرته يمثل اشراقاً في جو حياته الحزينة يترجم خلجات قلبه الفرح بالولد وأفراح الأسرة في مناسباتها المختلفة ، وهي وإن كانت وقتية بحسب المناسبة ، إلا أنها تبعد عن أجواء الكآبة والشكوى التي طبعت شعره . هذه النظرة تغلوها مسحة اشراق وبهجة ، فالأولاد زينة الدنيا وفتنتها كما ورد في أكثر من آية ، وعبر هو عن ذلك بقوله :

أمال في حب البنين وهمهم وهل البنون سوى فتون حولنا (١)

وقد ضمَّ بعض دواوينه بهذا اللون من الشعر منها :

(أضواء ونغم) (أنوار ذهبية) (الأربعون) و (ترانيم الصباح) فهذه
ضمت شعراً أسرياً عذباً لطيفاً . يقول الدكتور محمد العيد الخطراوي في مقدمته
لديوان (ترانيم الصباح) : « إنها مباخر فاغمة وضعها في دربه الفني شعراً يُقرأ
ومشاعر تُحس ، فتتهز لها القلوب وتطرب النفوس » (١) .

وهي التفاتة رائعة من الشاعر نحو أسرته ؛ أمه ، أخوانه ، أبنائه وبناته وزوجاته ،
يبتهم مشاعره وأحاسيسه ويترجم أفراحهم ومناسباتهم المختلفة ، فهي أشبه بمذكرات
عائلية صادقة تملأ حياة الشاعر بالبهجة والبشائر : (يالها من منحة عظمى تساقينا
البشائر) .

وقد وصف قلبه العامر بحب أهله وأولاده بالخصوص ، معبراً عن فرحته بولادة
أحدهم أو زواجه ، واصفاً مرارة البعد عنهم ، والشوق للقياهم ، ففي مقطوعة (قلبي
وأهلي) يصف مجاهدة نفسه وتغلبه على آلامه من أجل فلذات أكباده يعلمهم المثل
الفاضلة والخلق الحميدة ويتابعهم كالظل ويرسم صوراً جميلة لمستقبلهم . وهو في هذا
يخاطب قلبه الأليم فيصبره على تحمل آلامه وعدم المبالاة بالدموع حتى تتم له هذه الرسالة
الأبوية :

وياقلب حتمَّ عليك الظمأ	رفيفك رهن بزيت الشموع
وإن قد وجدت بيوم كلاً	فغرد ولاتكترث بالدموع
ومن أجل غرسي الحبيب المفدى	صغاري : ملائكة البيت عندي
سأزهد في كل ورد مندئى	وأترك أزهار عمري لوجدي
- أضحي بكل أطايب ذاتي	لتسعد فلذات كبدي البريئة
- وأهلي هم اليوم أحرى بسهدي	وفوقك ياقلب عطفى عليهم (٢)
وأنت لهم نفتديهم بجهدى	ونخفق بالحب شوقاً إليهم

في البيت الأول تعبير غريب ، المقصود منه ، أنه لا بد لقلبه الظامئ من معين
يستمد منه أي قوة دافعة ، حتى يستطيع السير في دربه الشاق .

ويتمنى الصحة والعمر المديد من أجل أن ينشأهم نشأة صحيحة تؤتى ثمارها
الزاهرة ، فبه ينال مراده وأمله في الحياة :

(١) ترانيم الصباح : ص ١١ .

(٢) أنوار ذهبية : ص ١١٧ - ١١٩ .

- إذا كان في العمر عندي بقية
لأشهد غرسى نما في البرية
فإني بلغت جميل المعاني
- أرى من مرائي الحياة البهية
وأمل فيهم ظلالي السخية
- وحسبي زرعت غراساً نبيلة
- ويمتد بي الأجل القاهر
وأثمر إنتناجنا الزاهر
لدنياي ٠٠ والقلب نال مراده
عزائي لحرمان قلبي الشريد
تضوء بعدي مسير الخلود
لأجني منها كريم الحصاد (١)

هذه رغبة من الشاعر أن يكون أباً مثالياً لا يعوقه ما به من نور الأب الذي يسعى ليظلل أسرته تحت جناحه وإن لم يكن ذلك له بالأمر الهين ، إلا أنه بقوة وصبر وعزيمة يقود سفينته ويمضي مجاهداً لأن ذلك رسالة الإنسان في دنياه :

- إني وقلبي والطموح أصارع
بسفينتي أمضي ولا أتراجع
هذي رسالة كل انسان أتى
- لأظلل البيت الهنيء وأصبر
أبني وأبسم للوجود وأعمر
دنياه يبذر في الحياة ويحصد (٢)

ومع ذلك لا يعلم الإنسان من المفضل من البنين مستقبلاً ، وإنما الأجر من الله :
ندري ولا ندري المفضل بينهم ومن الإله جزاؤنا يحنوبنا (٣)

ومن أكثر دواوينه حديثاً عن هذه المعاني (أنوار ذهبية) ففيه مقطوعات تعبر بحق عن حنان الأبوة والبهجة والفرحة بهم والقلب الغامر بحبهم كقوله :

- أراهم مناي وإلهام شعري
وهم صفو كأسى وروضى وزهري
- وحبهم يملأ القلب كله
وودهم ملء روعي وظله (٤)

وأمه تلك التي كانت بمثابة الوالدين معاً أخذت حيزاً في شعره الأسري ، يبرها ويعطف عليها ويتوق شوقاً إليها في البعد ، كما يصف معاناتها معه في مرضه وألامه . ويبدو الشاعر متعلقاً بها بشكل شديد ، وهذا أمر طبيعي ، إلا أنه عند الشاعر يعتبر أشد

(١) أنوار ذهبية : ص ١١١ - ١١٤ .

(٢) الأربعون : ص ١٤١ .

(٣) السابق : ص ١٣٩ .

(٤) أنوار ذهبية : ص ١٢٠ .

وأقوى لأنه حرم الأبوة فكانت هي أمه وأباه ، وهذا - أيضاً - مما يبرر تعلقه بأولاده
وشدة حبه لهم ، فهو نوع من التعويض عن حرمانه من الأب انعكس على مشاعره
ووجدانه .

يقول في أمه :

وأمي ضياء الليالي الطوال ونفسي تكون لها ماتشاء
وعاشت بفكري تغذي الخيال وتبقى شذا العمر تحي الضياء^(١)
وأشد ما يحزنه بعده عن أسرته فتزداد ألفاظه رقة وعذوبة في رسائله لأولاده كما في
مقطوعة (لوعة على الغد المأمول) نظمها من مجزوء الرمل سباعي الأشطر الشطر
السابع على ثلاث تفعيلات وتمتلئ عذوبة يقول فيها :

ياصفاري كيف أنتم كيف بعدي قد غدوتم ؟
أنتم في الفكر دوماً مهجتي والقلب أنتم
طال بعدي واغترابي ياترى عني سلوتم ؟
لا .. فمتلي أنتم في الشوق عدتم

إيه أطفالي الغوالي أنكروني يا أمالي
لوعتي الكبرى عليكم ساء فيها كل حالي
أنتم مستقبلي بل منكم الدنيا تلامي

أنتم يامأملي سر العوالي
ياصفاري وانتظاري للمعالي^(٢)

هذه وأمثالها تعبر عن حبه وحنينه وشوقه لأولاده ، ويجد في أولاده (دنيا تتلألاً)
ويحس بالربيع وجماله في وجودهم فيغرد قلبه طرباً وفرحاً . وهي ألفاظ ومعانٍ لم تشاهد
من قبل في معظم شعره . لأنه - كما قيل سابقاً - يتسم بسمة الحزن والشكوى والأنين

(١) أنوار ذهبية : ص ١٢٠ .

(٢) السابق : ص ١٣١ ، ١٣٢ ، وانظر مثلها : ص ١٢٧ .

وهنا شكوى أيضاً ، ولكنها تلازم تعلقه بأولاده ؛ شكوى من بعدهم عنه وحرمانه من التمتع بالنظر اليهم . ولكن ألفاظ القلب الفرح البهيج المغرد الذي يحس الربيع وجماله هو ما يميز به شعره الأسري - في الغالب - فمثلاً في مناسبة زواج ابنته الكبرى ينظم قصيدة بقافية (الراء) تشع طرباً وسعادة وفرحة غامرة ، فقد بسم له الزمان ، ورقّت الأزهار والأنوار وصحت له الأنسام والأطيّار ، وتلألأت الدنيا في وجهه فغنى غناءً عذباً

يقول فيها : بسم الزمان ورقّت الأزهار وتألقت في أفقه الأنوار
وترنم المقدور شدواً حائياً تصحو له الأنسام والأطيّار
وتلألأت يمن البشائر وانتشى فينا الصباح وأقبل السّمّار
هي ليلة من عمر أسرتنا هنا نيروزها بنتي هي التذكار
بعضي وقلذة كبدي الأولى لها غنيت في فجري .. هي الأوتار
ورعيتها وسقيتها قلبي .. وهل كالقلب في الدنيا به الإيثار(١)

هذا نموذج لقصائده الممتلئة فرحة وحناناً ورقة ، يحاول فيها أن ينسى أو يتناسى آلامه لتصفو له سعادته وفرحته كقوله :

مهلاً فؤادي فهذا الحفل منتجعي هون عليك الخفوق اليوم وأستمع
نجوى الحياة تراتيلاً يرددها شعري بذكري ليالي العمر .. فارتفع(٢)

وقد عبر عن فرحته بزواجه الثاني أشد تعبير ، ووصف زوجه بأنها طب نفسه وأغنيتها وأمل يشفي سقمه يقول :

أنت التي ولجت عمري وعانقها بهيكلي أمل يشفي به سقمي
طبي وبهجة أيامي وأغنيتي ياليل أنت .. وأنت البرء من ألمي
وحدي .. أجل كنت في الدنيا وغربتها حتى أتيت لعش الزوج بالرحم
وجئت لي عطر أنفاس أرددها وأنت قربي حناناً يفنديه دمي(٣)

(١) الأربعون : ص ١٤٦ ، وانظر مثل هذه الأبيات في الأعمال الشعرية : ص ٤٧٩ .

(٢) السابق : ص ١٥١ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٤٥٢ .

أما زوجه الأولى فقد نالت نصيباً كبيراً من شعره الأسري ، إلا أنه يمثل ظللاً حزيناً في حياته ، وفي اشراقه شعره الأسري ، فهو يتميز بنبرة الحسرة مع المرارة والشكوى ، كما أن نظمه في ذلك جاء بأسلوب الشعر الحر ، وهو ما عرف عن الشاعر من استخدامه هذا اللون عند التعبير عن المرارة والشكوى من سوء الحال . وقد عبر عن مسلك زوجه منه ، التي صورها شديدة الغيرة عليه تحصى عليه الخيال وتعاتبه إن تغزل بوردة أو هام في الطبيعة ، تحول دون انطلاقه في عالم الشعر ، وتحيل حياته جحيماً . وعبر عن تطلعاته ؛ يغني وينطلق في أجواء الطبيعة والكون ، فيغرد كالطائر مطلق المشاعر حيناً ، وحيناً يقيده الألم وتهزأ منه العواصف ، وهو رضى بأحواله ، ولا يريد أن يحبس أنفاسه أو يكتفم مشاعره إزاء الجمال ، لذلك لا يريد أن تحرمه من الشدو والنغمة والهمس ولا يريد أن يعيش حياة صامتة . ولقد عبر عن تدمره من عدم تقدير الناس لفنه ، ولكنه يرى مأساته في زوجه التي حالت دون تطلعاته الفنية .

وقد نظم مقطوعتين من الشعر الحر واحدة في (أضواء ونغم) والثانية في (الفجر الراقص) معبراً عن ضجره وحزنه من مسلك زوجه وغيرتها ، وفيهما حدة وثورة وصرخات يجأر بها وقد أوشك على البكاء برهافة حسه . ففي مقطوعة (جرح لن يندمل يا صغاري) يجمع بين اشراقه التعبير عن أولاده وبين الشكوى من زوجه ، وهي مقطوعة بعث بها إلى أولاده في غيابه يشرح سراً من أسرار حياته يقول فيها :

أهة حرى بصدري يا صغاري / يا شذا روضي وقلبي

يا نتاج الحب والزوج الغيور

أهة حرى علينا / ياترى ماذا جنينا

أم أطفالي تعيش الشك كله / تصحب الوسواس خللاً لا يفارق

غيرة عمياء تأتي بالمهالك

في ضميري لم تثق ٠٠٠ في طهر قلبي / ظيلة الأيام هذي ٠٠٠

هكذا سقراط كانت زوجه تلقي عليه / (جردل الماء الحقير)

هكذا تأتي وتلقي اليوم - زوجي بالشرور / حول إيماني وتفكيري وفني

ربية في كل شأن من شئوني / في كتاباتي وسعيي للحياة

هذه أسرار همي يا صغاري / يا أمانتي المقبل المجهول ٠٠ ياكل المراد

بيد أنني سوف آتي بين أيام وأخرى / أمتع القلب المشرد

بينكم أحسو يسيراً من سعادة (١) .

لغة بسيطة تتدفق بسهولة وتتابع ، وانفعال شديد ومشاعر فياضة . وقد نظم فيها قصيدة في (الأربعون) ولكنها تتميز بالاتزان وعدم الثورة ، ويبدو فيها وقد عبر عن وفائه وإخلاصه كزوج إلا أن ذلك لم يطامن من غيرتها :

فعمشرون عاماً تقضت علينا وأنت كما أنت بين الهواجس
أردت محالاً هداك الينا فكيف السبيل لحطم الوسواس
وطبعك أعتى .. يريد النزال
تلومين حبي وأنت الملوثة قتلت هواي البريء المشاع
وضيعته عنك .. يالسقيمة فمن يبذر اللؤم يجني الضياع
وحسبك تيه الأسى والملال (١)

وقد كانت تلك الحياة التعسة سبباً في الانفصال ، كما كانت سبباً من أسباب الشكوى في شعره . وهي من مسببات نزوعه منزعاً رومانتيكياً في التعبير عن خوالج الوجدان والذات وكثرة الشكوى والأنين .

وبعد هذا الحديث عن شعره الأسري يمكن الإشارة إلى أمور تميز بها هذا الشعر :-

أ - الصراحة التامة التي تطغى على شعره الأسري ، بحيث يبدو للقارئ كتاباً مفتوحاً من يقرأه يتعرف على شخصيته وأسرته وأحوالها وعدد أفرادها ، بل وحتى أسمائهم وأعمارهم ومشاكله الخاصة ، فقد رزقه الله ثلاثة عشر من الأبناء نصفهم بنين والنصف الآخر بنات ، فكان ينظم في كل واحد قصيدة تتحدث عن يوم ولادته وسبب تسميته ومعاناة والدته ثم الأحوال والأمور التي أحاطت ولادته .

ويفرح بتكاثر أسرته وبنيه مباحياً بها حساده الذين اسكتثروا عليه ذلك :

أصبحت والد أسرة تتكاثر قد بارك الله العطاء وأجزلا
وتهامست حسادنا .. وتناحروا في غيظهم .. ماقد رجوه تبديلا (٢)
ولقد بالغ بوصف الدنيا شاكية كثرة نسل عائلته :

حتى لقد شكت البسيطة نسلنا فنكاد نسخر بالزمان الحائر (٣)

(١) الأربعون : ص ١٢٥ .

(٢) السابق : ص ١٤٠ .

(٣) ترانيم الصباح : ص ١٤٧ .

ولكنه يفتخر بذلك لأن الرسول ﷺ يباهي بهم الأمم :

رسالة النسل نحيا فيهم أبداً حتى يباهي بنا (المختار) والزم (١)

وأكبر الظن أن هذا الشعور إنما هو رد فعل لما سببه المرض في جسمه فأقعدته وحبسه وصار كالعاجز مما حدا به إلى التكاثر يستمد حيويته من حيوية أولاده ، ومن هنا جاءت نغمة الفرح والمباهاة .

ب - يخرج الشاعر عن إطار المناسبة إلى موضوعات جانبية لها صلة بالموضوع الأساسي ، مما يوحي بنبض الحياة فيوظفه الشاعر حين ينطلق من التعبير عن الفرح والتهنئة إلى الحديث عن :

بداية الخلق (آدم وحواء) ، الدعاء بالذرية الصالحة ، تأمل سنة الحياة .
كقوله : يا أنتما طبتما في رغبة الحب وعشتما ظلُّه الأبناء بالقلب
هذي الحياة تلاحيناً نكرها في نسلنا .. وغداً نحيا بلا كرب

من سنة الله .. بل في كونه الرحب (٢)

وقوله : هذي بداية نشئنا وطريقنا هي سنة الأحياء عبر جلودنا
ويكون هذا الكون بدء خلودنا ونعمر الأخرى بسر وجودنا (٣)

وقوله في عرس ابنته ويضيف إلى ذلك وصية من أب لابنته العروس :

زهراء .. هذي سنة نحيا بها وتقسودنا نحو العلاء أفكار
هي سنة (الهادي) حبيب قلوبنا ولنا به نسب هو الاسرار
أوصيك يا ابنة عالم بأمره الطهر والتقوى بها نختر
تمضين عمرك في ظلال تآلف تحذوكما الأحلام والأوطار
ونراكم ما بين البنين كشعلة تزهو .. وترنو حولها الأزهار
والله أسأله يوفق بينكم وعليكم نور الهدى مسدرا (٤)

(١) الأريعون : ص ١٤٤ .

(٢) السابق : ص ١٥٢ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٤٧٩ .

(٤) الأريعون : ص ١٤٧ .

ج - يتميز شعره الأسري - في معظمه - بالجوده لصدق العاطفة وقوة الإنفعال
والمشاعر الأبوية المتوهجة التي لازيف فيها ولا خداع ، مع ألفاظ بسيطة سهلة تناسب
المقام ، الا أن التدفق الأبوي الرقيق يخرج به إلى شيء من النثرية في الأسلوب والتهافت
في المعنى بسبب حشر أسماء أبنائه بكثرة في الأبيات ، فتأتي جملة أبيات ليس فيها
معنى كبير كقوله :

ففي بنتنا (الزهرة) النادية	وفي ابننا الأول (الناصر)
وفي ابننا الآخر (الطاهر)	وفي طفلنا (العز) والزاهر
وفي ابننا الخامس الباهر	(جهاد) الذي عزه القادر
أرى من مرائي الحياة البهية	عزائي لحرمان قلبي الشريد (١)

* * *

وأخيراً . فهذا دور الشاعر تجاه أسرته التي لم يضمن عليها بقلمه مترجماً ومعبراً عن
أحوالها ومناسباتها ، وهي التفاتة جميلة من شاعر مرهف الأحاسيس رقيق المشاعر ،
وهو - أيضاً - لون لم يتناوله كثير من الشعراء فضلاً عن كثرتة عند عبدالسلام مما
يضيف إلى شاعريته الفذة لوناً مشرقاً بهيجاً . وقد أشار الدكتور : محمد مندور إلى أن
هذا اللون نادر في شعرنا العربي ، فقال : « وهذا لون نادر في شعرنا العربي ، بينما
نراه شائعاً في الآداب الغربية وعند عدد كبير من فطاحل شعرائها مثل فيكتور هيجو الذي
تغنى بهذه الأفراح أروع غناء ونشر ديواناً بأكمله عنوانه (كيف تكون جداً) وفيه يتحدث
أرق الحديث وأجمله عن أحفاده ... » (٢) .

وعلى ذلك يحمد للشاعر نظمه في هذا اللون من الشعر الذي يبهج النفس برغم
ندرته . وهذا مما يؤكد عمران قلبه بحب أبنائه ، كما يؤكد رهافة حسه وحنانه الشديد .

* * *

(١) أنوار نهمية : ص ١١٢ .

(٢) مقدمة أضواء ونغم ، الأعمال الشعرية : ص ٢٩٨ .

٢ - شعر المناسبات العامة :

عرض النقاد كثيراً لشعر المناسبات وقضية الصدق الفني والواقعي فيه ، وقد عدّه فريق من الدارسين تكلفاً ونظماً لايتعلق بالوجدان ، بل ونظر اليه بعضهم على أنه لون من الشعر التافه لايرقى إلى مرتبة غيره من فنون الشعر الأخرى . وهم يضمون شعر المدح والثناء إلى جانب التهاني ومايقال في المناسبات المختلفة ، أما أصحاب الإتجاه التقليدي الحديث خاصة فهم على غير هذا الرأي فيه .

وفي رأيي أنه لايمكن الحكم على مستوى هذا الفن ماالم ينظر في أبعاده وتوجهاته عند شاعر ما وعلاقته بنفسية الشاعر في لحظة نظمه له وأسباب ذلك . وفن الثناء بالذات هو أقرب الفنون التقليدية إلى الوجدان ، وألصق بمشاعر الإنسان ، فضلاً عن الشاعر الذي يملك القدرة على صوغ تعابير تقطر حزناً في موضوع يثير الحزن بمجرد سماعه ، فتدخل رهبته القلوب وتهتز له الأعطاف وتفيض الأعين ، ومثل هذا لن يكون التعبير عنه بالتعبير التافه أو المتكلف ، فلولم يتأثر الشاعر بهذا الخطب المؤلم ، لما كلف نفسه عناء النظم ، فالعمدة في ذلك صدق الإنفعال .

ومن هنا يمكن الدخول إلى عالم الشعر التقليدي عند عبد السلام ، فقد قال في المديح والثناء والتهاني وغيرها ، وارتبط كثير من شعره هذا بنفسيته ووجدانه ، وأستطاع أن يوفق في أكثره بما يجعله يخرج عن التكلف والتفاهة .

وليس معنى ذلك خلوه من الشعر الهابط الذي يضعف فيه الأسلوب ، فهذا مرده عدم الصدق في المشاعر ، ويأتي - غالباً - في المجاملات الإخوانية ، وهذا لاينطبق على مجموع شعره التقليدي إنما هو خاص ببعضه .

ويقسم شعره التقليدي إلى أقسام ثلاثة :-

١ - المديح .

٢ - الثناء .

٣ - الإخوانيات .

١ - المديح : وهو من الفنون التقليدية التي عنى بها الشعراء جميعاً في العصور كلها ، وكان عند كثير منهم تقريباً وطلباً للعطاء . وقد نظم عبد السلام قصائد مديح في شخصيات مهمة في المجتمع كملك أو أمير ، وفي شخصيات خاصة في معظمها أدبية ، ومزج المديح بحالة نفسية تنحصر في نطاق من ذاتيته . وليس عيباً أن يوجد شعر مديح عند عبد السلام الذي عرف بالشعر الوجداني وحديث الذات ، فهو كشاعر مجدد يسعى إلى التجديد والتشكيل والتلوين ، يخوض غمار المناسبات أيضاً .

وإن من كبار الشعراء الرومانتيكين أمثال شعراء المهجر ومدرسة أبولو من نظموا في هذه الفنون على ما عرفوا به من تجديد . وللشاعر عدة قصائد ومقطوعات تتجاوز الثلاث عشرة قصيدة ، نظم بعضها في الملوك والأمراء وبعضها في الأصدقاء . ويأتي المديح إستجابة لأثر نفسي كأن تكون له صلة بالمدوح وصدائقة وود أو أن يشيد بفن الشخصية وعبقريتها الأدبية من باب الإعجاب . أو يقدم له صديق ما معونة يحملها الشاعر في قلبه فيشكره بقصيدة مدح وعرقان بالجميل .

أما إذا كانت الشخصية مهمة فإن مدحه يأتي من باب التطلع إلى دور هذه الشخصية الذي يتوسم فيها الخير ، لما فيه تحقيق آمال الأمة الإسلامية (كقضية التضام الإسلامي الذي دعا إليه الفيصل) أو على ما يقدمه للشعب من انجازات ومشاريع تعم فائدتها الناس جميعاً (كمناسبة افتتاح مشروع المياه المحلاة) . وخاصة إذا سرت في المديح روح وطنية صادقة تسعى لتحقيق الأهداف السامية التي يتطلع إليها الشاعر لمصلحة الجماعة .

قال يشكر الأمير الذي أسدى إليه معروفاً فبعثه إلى الخارج للعلاج : -

لئن ضاق بي عالمي نهزة	وقيدني الحظ بين الغيوم
فلا ترتضي سقم نفس طهور	يظللها حكم أهل العلوم
ولن يصرع الداء قلبي المعنى	وأنتم حماه بصدر حميم
- فيانايف العز إنسان كنت	وأنت تطب ضلوع السقيم
وكان المكافح من شعبكم	يلوب وقد حاصرته الهموم ^(١)

وإن اعتزازه بفنه ورغبته في ذبوع صيته أمر يجعله ينظم قصيدة في أمير الشباب الذي يشجع النوادي الأدبية والأدباء ، فإلفت نظره إلى الاهتمام بالنوادي وبالأدباء كما يهنئه على دوره في تشجيع الشباب في الفنون والآداب .

ولا يقتصر الحديث على نفسه . فهو وقد أدرك دور الشخصية التي يمدحها من أبناء سعود - يذكرها بأمجاد الأمة العربية والإسلامية لتسعى إلى تحقيق السلام والوقوف مع الأشقاء في البلاد المهضومة حيث يسري في مديحه روح الحماس الوطني الصادق الذي يهدف إلى تحقيق الأهداف الوطنية . وبهذا يجد في ممدوحيه رمزاً لآمال الأمة يقول مخاطباً الملك فيصل :

حتى تطهر أرض مقدسنا وتدول (صهيون) كخضم عنيد
ويعود فجر السلم مبتسماً ويرفرق العلم البهي الوحيد (١)

ومعظم شعره هذا يتسم بأسلوب عاطفي رقيق ليس فيه مبالغة . ففي قصيدته التي يمدح بها العقاد ، وكان يعجب به جداً وبعبقريته كتب كلمة قبل القصيدة قائلاً : (إلى القمة التي تتحطم عند سفحها كل الزواجر والأعاصير الأستاذ عباس محمود العقاد) ، يقول فيها :

- عبقرى الجيل .. ضل الشانئون قد تماردوا في التجنى والظنون
ما ادعوا الا لجهلٍ أو غباء هؤلاء الواهمون الساهمون
هل دروا ان العلا صعب المنال ؟ يا عظيمًا فكره غدئى السنين
- هذه السبعون كنز الفكر فيها : نصف قرن في جهاد لايلين
أنت يا عقاد للآداب فخر حسبك التاريخ تذكار أمين (٢)
عش أديب الشرق عملاقاً حكيماً تنشد الغايات من أسمى معين

القصيدة من بحر الرمل ينوه فيها بشخصية العقاد الأدبية ، وختمها بحكمة تقليدية :

لن تنال الريح منها لو تغالت هل يضير الشمس هزء الساخطين

ومعظم قصائد المديح لديه لاتبعد كثيراً عن المديح التقليدي غير أن فيها إشادة بخلق

(١) عبير الشرق : ص ٨١ ، وانظرا الأعمال الشعرية : ص ٢٠٢ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٤١ .

الممدوح وذكر الخصال الحميدة : [النبل ، الصفاء ، الصدق ، الكرم ، الإباء ،
الوفاء ، العفة ، الحكمة ...] .

إضافة إلى جملة قوالب تعبيرية مثل : [سليم الطوية ، زكاء الضمير ، عف
الضمير ، عظيم الفكر ، طيب النية ، لطف الشعور ...]

كما تبدو بعض الألفاظ رقيقة ، وتعبّر عن الاحترام والتقدير للممدوح . وأحياناً تظهر
أبياته على درجة من السطحية والتجريد ، وأكثر ماتجىء السطحية والأسلوب الضعيف
في ذلك اللون من (التطريز) الذي اختص - عادة - بشعر المناسبات هذه من مديح
واخوانيات ، وهو استفتاح الأبيات بالأحرف المكونة لاسم ممدوحه على نحو ما هو معهود
من شعر أواخر العهد الوسيط . وبهذه الطريقة يضعف روح الشعر وتقل حرارة العاطفة ،
لأن الشاعر يقيد نفسه بتلك البدايات فيضيع الانفعال . ومما يدل على ولعه باللازمة انه قد
ينهي قصيدته بشرط ختامي لا يدخل في (التطريز) كما في قوله يمدح الأديب (حسين
عرب) فأخر حرف (الباء) يقول :

بكى سروراً وغنى مثنياً طرياً وأنت في فكره .. في حسه العربي

والقلب يدعو بخفق دائم الطرب^(١)

* * *

٢ - الرثاء : وهو من ألق الفنون التقليدية بالوجدان ، ويعد فناً له سمة
خاصة ، يترجم الحزن والاكتماء واللوعة . وكان قدامة بن جعفر يقول :

« ليس بين المرثية والمدحه فصل الا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهاك ،
مثل : كان ، وتولى ، وقضى نحبه ، وما أشبه ذلك . وهذا ليس يزيد المعنى ولا ينقص
منه » (٢) .

وقد نقض (طه حسين) هذا الرأي بأن العواطف التي تبعث على الرثاء غير
العواطف التي تبعث على المدح ، قوام تلك الحزن واليأس وقوام هذه البهجة والرجاء ،
والاعجاب مشترك بينهما .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٦٠١ ، وانظر الأريعون : ص ١١٦ .

(٢) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق وتعليق د . محمد عبد المنعم خفاجي : ص ١١٨ .

والرثاء يتميز بعنصر آخر هام يفصل بينه وبين المديح وهو عنصر الوفاء مع انقطاع الأمل . بالاضافة إلى إظهار الحسرة والألم ، وهو الجانب الحزين من حياة الإنسانية .
سئل اعرابي : لماذا تعدون الرثاء أصدق أشعاركم ؟ فقال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة .

ولعبد السلام عدة قصائد في رثاء الأهل والأصدقاء تقطر حزناً وألماً وتعبر عن حرقه القلب والفجيرة بالخطب المؤلم . وهي في مجموعها تتبع النمط التقليدي في الأفكار والمعاني التي تتردد كثيراً في موضوع الرثاء :
المضي إلى دنيا الخلود ، المرثي نجم هوى ، الاكتواء بالخطب العتيد ،
تأبين الميت بذكر خصاله ومآثره ، التفكير في نهاية أهل الحياة والتعجب من مشيئة القدر
الدعاء للميت بالجنة والخلود والغفران . . . الخ
وهذا وأمثاله غالباً ما يكون قوام قصيدة الرثاء في التراث يقول معبراً عن فجيعة في موت عمه :

أما حقاً ؟ وكدنا لانصدقه نعيّاً تطيش به الألباب في الظلم
ثم يصف لوعة البعد :
لكنها لوعة البعد الطويل وما أبقاه فقدك في الأكباد من ألم

ثم يذكر صفاته الجليلة ، وأخيراً يطلب له الرحمة والغفران :

نم هانئاً راضياً في الخلد مبتهجاً في رحمة الله . . في غفرانه العمم^(١)

ويظهر ثمة فرق في رثائه لشخصية عامة وشخصية خاصة ، فكلما اقتربت صلته بالمرثي ظهرت مرآثيه أشد حزناً وحرقه ويصبح الموت فجيرة تؤله وتسحق رأسه يقول باكياً أخته :

أواه يا قلبي لنقلبي روعت في أهليك بالنوب
قالوا مضت اختاه وأرتفعت بالروح تنشد عالم الصجب
فعييت بالأفكار تسحقني كيف الشباب يهيم بالنوب^(٢)

والفرق بين التعبير عن الحزن على شخصية عامة وشخصية خاصة ، أن الشخصية

(١) الاعمال الشعرية : ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

(٢) الأربعون : ص ١٥٩ .

الخاصة ينطلق التعبير عن الحزن فيها على النفس ، أما الشخصية العامة فلا تقتصر على نفسه وأهله إنما تعم المجتمع بل العالم الاسلامي - أحياناً - ودور الشاعر هنا المشاركة في التعبير عن الحزن يقول في رثاء الفيصل (رحمه الله) :

- هذي السعودية الخضراء لفعها حزن عميق لشؤم البرق والخبر
سرى النعي على الدنيا يزلزلها والخطب اذهلنا .. أشقى رؤى البشر
- فالعالم اليوم يبكي فيك ظلته ينعيك للمجد للتاريخ للعبير (١)

وقد تكون الشخصية أدبية فيعبر عن أثر فقدانها في المنتديات الأدبية . كقوله يرثي الأديب محمد سعيد دفتردار مشيراً إلى مؤلفه الكبير [أعلام المدينة المنورة] :

نجمك الهاوي أصاب القلب سهماً راع احساساتنا وأندك همأ
إلفنا المفضال غادرت النوادي وهي تبكي فيك إنساناً مهما
يا أديباً شاعراً فذاً وفياً عشت إبداعاً وترنيماً ونظماً
لم يمت من قدم الأعلام تحيا في مدى الأزمان إعجازاً وعلماً (٢)

ومعظم تعبيرات الرثاء لديه من مدخور التراث ؛ صور قديمة وألفاظ وتعبيرات

متداولة ، فالمرثي بنيان قوم تهديما :

وإني أحس بركن ركين تهدم في منزل ضم صحبي (٣)

وهو نجم مضى وأفل :

قد مضى النجم الذي غال الدياجي لكن السر المضيوي لن ينوباً (٤)

وقوله : عماه .. إنا نعزي فيك أنفسنا يابسة ساقها الإعصار للقمم (٥)

ويتدبر حكمة الله في خلقه ، ويتفكر في نهاية الإنسان ومشية الله في قبض

الأرواح ، فلا فرق بين الصغير والكبير وبين المريض والسليم ، فله مقطوعة في الرثاء هي

(١) عبير الشرق : ص ٩٨ ، ص ١٠١ .

(٢) الأريعون : ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) ترانيم الصباح : ص ١٥٨ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٤٨٨ .

(٥) السابق " ص ٤٨٦ .

إلى باب التأمل أقرب ، نظمها في صديق له يقول فيها :

فتى كله فورة وانطلاق وفي جانبيه أمان كبيرة
فتى ماؤه الوعي جم الذكاء يحب الوجود ويرجو سروره
وفي غفلة ضمه الصمت بين الحفر
وأخر ابن الثلاثين يهوى مجاني الربيع ويسقى عبيره
وللوالدين وحيد وحلم له سبع ولد : نفوس غريره
وفوجيء بالحق يطويه طي الخبر
وثالث بين بنيه وزوجه يساقيهم الشاي قبل الظهيرة
ورابع - في غبطة بالطفولة وخامس يسعى ويبني قصوره
فجاء لهم طائف الموت يخفي الأثر
ومن مخبري سر هذي الحياة وأعجوبة الموت تأتي مثيرة
يجاوز عمَّن يؤمل فيه ويبغت ناساً بلقيا أخيره
فسبحان ربي له الغيب .. مجرى القدر
بتصريفه الروح .. يأتي ويمضي البشر (١)

فهذه مقطوعة تأملية في رحلة الإنسان الأخيرة ، وفق الشاعر في استتارة مشاعر الآخرين بها ، فهي تنبه الاحساس ، وتوقظ المشاعر ، وقد صاغها من المتقارب على الخمس الشطرة الخامسة من خمس تفعيلات وأضاف شطراً ختامياً في آخرها . وأستطاع أن يجمع صوراً حية من واقع الحياة في صورة مركزة مختصرة تعطي الفكرة وتبعد عن الملل والتكرار ، وتحمل معاني تأملية تدعو إلى التفكير والعبرة في هذا المصير المحتوم . وفي قوله : (يجاوز عمَّن يؤمل فيه ...) إشارة إلى نفسه التي تتوق إلى الهروب من الحياة بتمني الموت - وهو ما أشير اليه سابقاً - وقد عبر عن ذلك صراحة في رثائه لصديقه الأديب (محمد سعيد دفتردار) حين وصف خيبة الظن في بقائه ليرثيه بعد مماته :

أيها الماضي إلى دنيا الخلود رحلة الأبرار في الركب المجيد
خانني ظني وحسباني وحظي أن تظل اليوم في عمر مديد
حيث أمضي .. ثم ترثيني وتبقى في حديث الصحب ذكرى من وجودي
لكن الأقدار شاعت واعتبرنا واكتوى الوجدان بالخطب العتيد (٢)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٦١٢ ، ٦١٣ .

(٢) الأربعون : ص ١٥٧ .

وهذه عادة الشاعر في رؤيته الخاصة لقضية الحياة والموت ، فلا يرى في الحياة الا
المتاه ، فلم يُحبها ؟

وقد وصف ذلك عاقداً صلة بين نهاية الحياة بالموت مع عدم الحب في البقاء :

أهذي نهاية أهل الحياة وقد زينوها بصهر الحصاه
وكيف لنا أن نحب البقاء وهذا الوجود بريد المتاه^(١)

- أعطى الشاعر صورة جديدة للرتاء عن طريق الرمز المألوف ، فقد رثى والده
بقصيدة عنوانها (الفجر الراقص) ومنها أخذ اسم الديوان . وأعتمد على كلمة (الفجر)
في بنائها ، وتتميز القصيدة بخيال واسع خصب وعاطفة جياشة ، وكلمة الفجر بما
تحمله من ظلال وإيحاءات لا يظهر مدلولها جلياً ، فقد أسند اليه الفعل (كان) و (كنت) .
والاحتمالات الواردة أن يكون أراد بالفجر أباه الذي مضى وخلف بعده الليل والشقاء ، أو
أنه فجر حالم خيالي تخيل فيه والده فذابت نفسه شوقاً إلى طيفه (الأثيري) وربما فجر
اليوم الذي توفى فيه أبوه فأوحت له شاعريته أن يصفه ، وأياً كان الاحتمال فإن القصيدة
تفيض حزناً وشوقاً إلى هذا الفجر المنتظر الذي ربما هو ملجأ للشاعر من همومه ، ولكنه
أخيراً وجده فجراً خيالياً حين أدرك أن الفجر قد أصبح رفاتاً من نشيد :

لم يكن فجر الجمال العذب الا رؤية تزهو حيالي
داعبت حسيّ وذابت في شعوري بالصبا الشادي المثالي
وانتبهت .. لم أجد إلا رفاتاً من نشيد .. من دوالي
من بقايا ليلة شتوية ضاعت بها ذكرى غوالي^(٢)

والمقطوعة عبارة عن صور وأحلام كان يتمناها ، وقد أفضى بكل ما يعتلج به صدره
تنقيساً وشكوى من آلام حياته . وكان صادق المشاعر والانفعال ، فهو لم يرث أباه رثاءً
طبيعياً لأنه لم يدرك فراقه وإنما أقام قصيدة رثائية لذكراه واشتياقه اليه ، وأعطى
نموذجاً لاحساسه بالفقد ورسم صوراً حزينة صادقة عن واقع لم يعيشه ، وربط هذا كله
بالشكوى من حياته المؤلمة ، وهي أشبه برسالة يبعثها اليه لعل ذلك يخفف مابه من آلام
بحنان الأبوة الذي فقده . وهذا غاية في الصدق الفني والصدق الشعوري .

(١) ترانيم الصباح : ص ١٥٥ .

(٢) الأعمال الشعرية : ٥١٤ .

مامضى كان وصفاً لقضية الموت ، وتعبيراً عن الاحساس بالفقد والفجيرة ، وقد عبر الشاعر عن هذا الاحساس بأسلوب - في أكثره - تقليدي ، وبلغه أثارت المشاعر وهزت الوجدان الا أنها لم تنطلق إلى رحاب أوسع من التجاوب الانساني ، بل ظلت في حوزة التجربة الذاتية ، وإن أثرت في النفس فذلك لطبيعة الموضوع نفسه . ولكن الشاعر نظم مقطوعة في رثاء نفسه عنوانها (جلجلة الصمت) وهي من أصدق شعره وأدقها تعبيراً ، فليس أحر من رثاء الشاعر نفسه وهو يحس أنه بات ميتاً . وهي تجربة ذاتية عاشها الشاعر وقد تخيل أنه مات ودفن ، فإذا به يطل من قبره ولسان حاله يشرع ماضيه الشقي وحظه العاثر في الحياة ، يقول فيها :-

لو لم أمت بالأمس أو يومي الذي القاه بالجهد المرير
فغدأ سأمضي لولياً صدناً براه القيد والنظر الحرور
ومع الغد الثلجي ينتحب الخريف ويسكت الأمل الكبير
ويذوب شمع الأمسيات الخضرف في كفن الملاحة والحبور
وعلى الدروب تسيل صفرة شمسي الزرقاء في رجب الحرير
ويُف في النعش المدلل صامت . . في حضنه حلم القبور
ويروحه شوق يسابقه إلى كنز يحد من المسير
هاقد رحلت بعنصري ، ويمسمعي ندب الصغار على الأثير
وتركت قُبْرَتي وخلوة مكتبي وبدأ تخط لها المصير
ولسوف أمضي ساعياً كالعاديات إلى قناديلي أطير
والموت يصحبني رفيقاً واعياً . . للرب يمنعني الهجير
وأنام بعد الصحو والألم العنيف وماملاني من هدير
حسبي انتهيت : وفي ضميري نيزك جبار يخترق القصور (١)

نبرة رومانتيكية عالية ، إنه رثاء النفس مع أنه حي يرزق ، فليس هناك موت أو فناء
إنما هناك انفعال صادق ولغة وتعبيرات تخترق كوامن الاحساس وتثير المشاعر .

وتتكون المقطوعة من ثلاثة وثلاثين بيتاً من الكامل مدوراً ، واتصال البيت ببعضه
كجملة متصلة فيه مشقة وعناء ، وهو يعبر عن نفس طويل وأهات تتدفق في مرارة وأسى ،
وتكاد لغته تلامس الحقيقة والواقع الذي رسمه بألفاظ غير متكلفة أو مبتذلة ، لقد أدت

المعنى وطافت بالخيال ، وخرج بها عن دائرة التقليد والذاتية إلى عالم التجديد والانطلاق في مجال أرحب من المشاعر الإنسانية . وأشار الدكتور : بكري شيخ أمين إلى أن الشاعر (محمد حسن فقي) الوحيد في المملكة الذي رثى نفسه ، وأنه سد مسد الجميع (١) . ولعله لم يطلع على هذه المقطوعة بالرغم من أنها نشرت في الديوان قبل نشر كتابه بعدة سنوات . وفي رأبي أن قصيدة عبد السلام هذه تفوق قصيدة محمد حسن فقي التي عرضها الدكتور بكري أمين في كتابه ، فالأبيات التي استشهد بها من قصيدته : (المقبرة الحانية) والتي يقول فيها : -

مقبرتي . يبكي الورى غفلة	موتاهمو - مثلي - فيا للغباء
وكيف يبكي من عداه الردى	من ناله .. كيف استحق البكاء
أيهما أولى بهذا الأسى	ينصب في الدمع .. وهذا الرثاء
هل هو هذا الميت رهن البلى	أم هو هذا الحي رهن البقاء (٢)

لاتبدو فيها ملامح الرثاء واضحة ، لأنه يقف على مقبرته يحادثها ويفلسف نظرة البشر في الحياة والموت ، كما أن هذه التساؤلات الكثيرة أضاعت الانفعال وأصبحت الأبيات تميل إلى الفكر أكثر من ميلها إلى الوجدان .

أما عبد السلام فقد بدا يرثى نفسه حقيقة ، وتخلط مشاعره نحو الموت فهو يتمناه ويعتقد يقيناً أنه ملاقيه ، ومن ثم يرثى نفسه متخيلاً أنه مات حقاً ، وتنساب ألفاظه وتعبيراته بسيولة وتدفق عاطفي شديد ، وهو ما يدل عليه قوله :

(لو لم أمت بالأمس أو يومي ... فغدا سأمضي لولياً صدئاً ... يسكت الأمل الكبير في حضنه حلم القبور ... وبروحه شوق يسابقه إلى كنز ... الموت يصحبني رفيقا ...) .

هذه جملة تعبيرات تشي بتمني الموت والرغبة فيه ، بل لقد وصفه بـ (الكنز) وعقد بينهما صحبة ورفقة . ثم انه متيقن من إتيانه ، وكلمة (صامت) التي وردت في قوله :

(١) الحركة الادبية : ص ٢٦٤ .

(٢) السابق : ص ٢٦٥ .

(ويُلَفُّ في النعش المدلل صامت ٠٠) تعبير فيه كثير من الإيحاء والظلال ، ظاهره صمت الميت الطبيعي ، وباطنه صمته رضاء واستسلاماً ، بل إنها تدل على الفرحة بعد الهدير والألم ويؤكد ألفاظه وتعبيراته :

(النعش المدلل ٠٠٠ حضنه حلم ٠٠٠ بروحه شوق ٠٠ أنام بعد الصحو ٠٠
حسبي انتهت ٠٠٠) .

وأخيراً يرثى نفسه : (هاقد رحلت بعنصري ٠٠٠ وتركت قبرتي وخلوة مكثي وبدأ ٠٠ الخ)

لقد استطاع الشاعر بتعبيراته وألفاظه إيصال الفكرة والتجربة بصدق وقوة يبعثان المشاعر والأحاسيس فتجاوب معه وتصبح تجربة إنسانية عامة لاذاتية خاصة .

وكلمة أخيرة : فان الشاعر نظم في رثاء أقاربه وأصدقائه وبعض الشخصيات فكان أسلوبه يتفاوت في المستوى من قصيدة لأخرى ، الا أنها - في الغالب - تقوم على أفكار وتعبيرات وصور تقليدية ، مع محاولة تجديدية في شعر رثاء النفس والتعبير بالرمز والإيحاء . وقد اقترن الرثاء عند الشاعر بنفسيته إقتراناً قوياً بحيث يأتي في مراثيه حديث القلب المتوجع الذي زادت الفجعة ألماً ، ويدخل إلى عالمه الخاص فيشكو ويتألم من أحوال الدنيا مشيراً إلى نفسه وبقائها رغم ما هو عليه من معاناة ، كوجه للهروب والانعقاد إلى العالم الآخر .

وفي كل الأحوال يصدر عن عاطفة مشبوبة وقلب مخلص محب وفي ، كما أنه يتميز بالرضا والاستسلام وعدم المبالغة ولا يصل إلى الجزع الشديد .

وفي الوقت الذي تتسامى فيه بعض التعبيرات واللغة ، يبدو في أحيان أميل إلى تقريرية مباشرة ونثرية واضحة كقوله :

أبكي على خير الرجال أتت له عصراً منيته ، وقد صلى وتاب
ومع الصيام بهم يسلم جسمه للنوم ٠٠ فانتهى إلى صمت وغاب^(١)

وعلى ذلك فالرثاء لديه شجي حزين ، منه القطعي ومنه القصدي .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤٩١ .

٣ - الاخوانيات : وهي كل ما نظمه في إعجاب أو تقدير أو تهنئة بمولود أو بزواج أو اهداء أو شكر أو عتاب . . . الخ

وهي لاتعد فناً متميزاً ، إنما هي مناسبات حينية وقتية ، دفعته إلى النظم في شكل رسائل إعجاب أو تهنئة .

ومعظمها من القطع الصغيرة ما بين البيتين والثمانية ولاتضيف شيئاً في ميزان شعره .

ويلفت النظر في هذه المناسبات أنها - في معظمها - تختص بفتيات ، كأن تكون عروساً يهنئها وأهلها وزوجها ، أو مولودة يهنئ أباه ، أو شاعرة أو ممرضة أو مغنية ، يهدي ويشكر ويعجب . وتمتاز بشيء من الاحترام والتقدير والاعجاب والعرفان . كقوله في توشيح يمدح شاعرة ناشئة بمناسبة إهدائها أبياتاً تحببها فيها :

هَلْ الرِّيبِعِ بِثُوبِ الجِمالِ في الورود

وَأنتَشَى يَضاحِك سحر الدلال في الخدود

والشذا يعانق فيها رواه

والهزار ردد نجوى الزمن هوى السعيد

والندى ترقرق دمعاً هتن بكى العميد

كان أمس يخفق غر الحياة (١)

وهو هنا يرمز بالربيع للشاعرة الناشئة ، أي أنها في ربيع شعرها ، وقد أشار إلى جمال الربيع الحقيقي من نسيم وطيور وندى وغيره ليكمل صورة الربيع رمزاً لها ، والأبيات أقرب إلى النشيد منها إلى القصيد الشعري .

ولقد قدم مقطوعة شكر للممرضات اللاتي كن في المستشفى يعالجه يقول فيها وهي

عبارة عن ثمانية أبيات رباعية تقفيتها [أ ب أ ب] : -

(١) وحي وقلب والحان : ص ٢٢٢ .

عليكن أعمال برّ الحياة ولقاكمو طيب نياً تكنه
لعمري وأنتن نور النجاة تقدسُ حتما فعلا تكنه^(١)
وعند التهئة يخرج إلى أسلوب التأمل ، فقد وصف - في مقطوعته - حيرة أهل
المولودة في اختيار اسمها ومن هنا بدأ يتساعل :

- وتساعلت ذاتي : ترى من ذا تكونين الغداة كسائرة
من أول الأيام في مـيـلادك الزاهي رأينا بادرة
فتداولوا وتخيروا إسماً يجوب بك الوجود وخاطره
- فليهنهم بك يا (رها) الصغرى .. فدورك لم يزل حلو العهد^(٢)

وهو في مناسباته هذه يتعمد وضع الأسماء لتكون كبطاقة تهئة .

كما أنه في إعجابه بأَم كلثوم - مثلاً - يحشو الأبيات بأسماء أغانيها وبعض مقاطع
منها . ويحاول أن يتخير الألفاظ والعبارات التي تليق با لشخص وتبدو ليست قوية الانفعال
كشعره الأسري . ولكنها قليلة العدد لا يمكن الحكم عليها بمفردها .

وإجمالاً فقد سبق في هذا الفصل ما يخص المناسبات الاجتماعية سواء الأسرية منها
أو الاخوانية . وقد اتضح مما سبق تميز شعره الأسري بصدق العاطفة وقوة الانفعال لما
له من صلة عميقة بنفسه وجدانه . وقدرة الشاعر في شتى الأغراض التقليدية على
صوغ أشكال مختلفة للتعبير عن خلجات قلبه . فكان ثمة تجديد وتجربة خرجت إلى
نطاق التجارب الإنسانية ، على أن كثيراً منها ظلت في قالب تراثي في معناها ومبناها
كما تأتي هذه على نظام القصيد موحدة التقفية ، ولعل ذلك - أيضاً - رغبة من الشاعر
في الحفاظ على هذه الأشكال بصورتها التقليدية ، وقد تحدث عن ذلك الدكتور
عبدالرحيم أبو بكر مشيراً إلى أن ذلك ميزة كثير من شعرائنا المعاصرين فيقول :
« .. إنهم حينما ينظمون في فنون تقليدية كالمديح أو الرثاء مثلاً تجدهم يلتزمون رويًا
واحدًا في القصيدة على طريقة الشكل القديم ، ولعل السبب في ذلك هو الشعور القوي
بضرورة الحفاظ على التقاليد في هذين الفنين بخاصة »^(٣) .

(١) وحي وقلب والحان : ص ٢٢٢ .

(٢) ترانيم الصباح : ١٥٢ ، ١٥٤ .

(٣) الشعر الحديث في الحجاز : ص ٢٢٩ .

فهذه الأشكال بالخصوص يكثر فيها نظام القصيد ، بينما بقية شعره الوجداني والذاتي تأخذ بالأشكال الجديدة من مقطعات وموشحات وشعر حر .

وفي هذا يقول الدكتور بكري شيخ أمين : « . . فإن بعض المحدثين ينظم على طريقة القدماء في موضوعات يغلب عليها التقليد كالمديح - وهو قليل - والرثاء ، والاصلاح ، وما أشبه ذلك . أما اذا أراد أن يعبر عن آلامه وخلجات قلبه ، فإنه يركب المركب الجديد ، وينطلق به » (١) .

ويلاحظ لجوء الشاعر في بعض هذه المناسبات الاجتماعية إلى التصنع الذي يحاول أن يبرز فيه مهارة أو جدارة فنية ، كما في أسلوب (التطريز) الذي استخدمه في مناسباته ، وهي مختصة بهذه الاجتماعيات فقط . وهو من الشعر المتكلف الذي يضعف العاطفة ، وقد أكثر منه في المديح خاصة ، وكذلك تكلفه نظم أبيات تجمع حروف الهجاء جميعها فتخرج من الشعر إلى النظم المتكلف (من الالف إلى الياء) يقول:

إليك عذاري الفنون اللطاف تهادى الجمال الوثير
يقبل شمساً صحت في الظلال زهت في الغدير الخضير (٢)

فهذان بيتان لا مراد منهما ولا هدف جارى فيها بعض الشعراء القدماء في عصور الضعف فراح يتلاعب بالألفاظ لإظهار البراعة في النظم .

وشعره الأسري بخاصة ينبض بالحياة والحركة ، ويتدفق حناناً ووفاءً وصدق شعور ، وخوض الشاعر في هذه المناسبات لاتخرجه عن كونه شاعراً مجدداً ، فقد جدد فيها على قلبها عنده ، فضلاً عن أن كثيراً منها عبارة عن قطع صغيرة لاتتجاوز تسعة أبيات وأقل من ذلك .

* * *

(١) الحركة الادبية : ص ٣٨٨ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٤٣٦ .

الفصل الخامس

الشعر الوطني

الشعر الوطني

الشعر الوطني : وجه من وجوه الشعر الواقعي الذي ينحوي به الشاعر منحى يخالف فيه أو يختلف عن الوجداني الذي درج عليه ، وهو نقلة من الوجدانية إلى الواقعية ومن الحديث عن الذات إلى الانشغال بهموم الغير ... وإن كان ما يزال متصلاً بالشعر الذاتي أو الغنائي شكلاً أو مضموناً .

والمراد بشعره الوطني : الوطن الخاص ، الوطن العام (الأم)

وكلا القسمين أكثر الشعراء منهما وكان له فيهما موقف بارز ووطنية غالبة .

وقد نظم أربعة دواوين كاملة في التغني بالوطن وهي :

- ١ - كلمات حب إلى المدينة المنورة ، ديوان بحجم صغير جداً وهو عبارة عن تساعيات يشيد فيها بالمدينة المنورة ومكانتها الدينية والتاريخية ويصور مدى حبه لها وتعلقه بها
- ٢ - صواريخ ضد الظلم والاستعمار ، وقد أطلق صواريخه في وجه كل مستبد غاصب .
- ٣ - أغنيات الدم والسلام ، خص به قضية فلسطين .
- ٤ - عبير الشرق ، وهو نفحات عبير تعبر عن مدى تعاطف الشاعر مع هموم أمته وانشغاله بقضاياها ...

هذا وهناك متفرقات في دواوين أخرى مثل (ترانيم الصباح) و (أضواء ونغم)

... وغيرهما .

وسوف يرد الحديث عن الوطن مفصلاً ، وطنه الخاص أولاً . ثم انشغاله بهموم أمته ومشاكلها ثانياً .

* * *

الوطن الخاص : مسقط رأس الشاعر ، الذي تربى فيه وتشرب حبه طفلاً :

ولدتُ فيك .. فأرضعت الهوى كيدي شربتُ حبك طفلاً يشتهي بغم (١)

أحب الشاعر وطنه حباً عميقاً ، ترجمه في شعره ، فظهر وكأنه جزء من حياته لا يستطيع السلو عنه ؛ يتلوع في بعده ويتوق حنيناً اليه ويتمنى العودة اليه ، وقد كان بعده عن المدينة المنورة أربع سنوات متواصلة للعلاج في مصر ، سبباً لاشعال روح الانتماء عنده وتفجير الحب الكائن داخله حباً جارفاً صوره في شعره ، فالغربة الجسدية في البعد عن الوطن كانت نموذجاً حياً في شعره الشاكي :

أنا لست وحدي في الحياة أعذب كل الوجود تألم وتغرب
عام مضى ووجدته أقسى السنين في بعدنا عن طيبة الحب المكين
لم يسلني عنها بمصر مناظر أبداً تمر فلا أرى الا الحنين (٢)

وهذه الأبيات الثنائية من مقطوعة (مغترب) وهي من أجمل شعره في الحنين .

ومجمل شعره الوطني ، يُحس فيه بنغمة العشق لهذا الوطن ، كما أن فيه نغمة أسى ومرارة من تلك الظروف التي اضطرت له لمغادرة بلده . وقد نظم ثلاث مقطوعات متتالية تحت عنوان واحد أسماه [ترانيم العودة] (٣) هن على التوالي : (في أرض الكنانة) (على متن السحاب) (في رحاب الرسول) مترابطة في موضوعها ، تصف شوقه وحنينه إلى بلده ، ثم فرحته بالعودة ثم وصوله حقاً . وفيها تصوير بديع لشعوره نحوها وإشارة إلى قدسيته ومكانتها الدينية والتاريخية ومشاهدها النورانية وما تتضمنه من معان إسلامية تملأ جوارحه فيستكن في جوها الإيماني الحبيب ، وقد نظم المقطوعات الثلاث من الكامل بخمس تفعيلات الأولى بروي العين وهاء الوصل ، والثانية بالهمز ، والثالثة باللام ، وهن من أصدق شعره وأجمله تفيض مشاعره فيهن وتنضح تعبيراته وألفاظه بعاطفة جياشة .

يقول في « أرض الكنانة » :

- وطني هنا ؟ وهناك في أرض الحجاز سماؤه ومطالعه
جسمي هنا .. لكن روحي بالمدينة داره ومضاجعه

(١) كلمات حب إلى المدينة المنورة : ص ٩ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٩٦ .

(٣) ترانيم الصباح : ١٥ ، ١٧ ، ١٩ .

- جئت الكنانة ، والرجا أن تستجم وتستظل روائعه
متطيباً ومكافحاً .. والعلم غايات تسود مطامعه
- لكنه وطني الحجازي العظيم تشدُّ في أصابعه
لأعود حيث توالد الإحساس للدنيا وصحصح سامعه
- متعلقاً في موطن الأنوار حباً لا تریم دوافعه
كل الديار حبيبة .. وهواي طيبة : سره ومرابعه
عام وآخر .. بل ورابع .. والفؤاد له تضج مواجعه
وأرابني .. حتى لقد خلت البعاد تكون فيه مصارعه
- وحزمت أمري للرحيل .. وموطني نصب العيون ودائعه^(١)

لقد استطاع الشاعر بشيء من التصوير وتخير الألفاظ ، التعبير عن تعلقه الشديد بوطنه ، تعلقاً ملك عليه روحه وحياته حتى لقد قال في بعباده عنه يكون مصرعه ، لذلك حزم أمره على الرحيل إليه .

أما البيت الأول والثاني ففيهما مجاز رائع ، لقد جعل مصر الوطن الأرض لكن سماءها أرض الحجاز ، فهذه ثقله وتلك تظله فجمع بين حب بلده وحب مصر معاً ، والبيت الثاني أقوى في التعبير ، فبينما جسمه في مصر ، فإن المدينة هي مضجع روحه . والبيت الخامس صورة رائعة - أيضاً - (وطني ... تشدُّ في أصابعه) تشبث شديد بأرض الوطن جعل له أيادي لا تنفك تشده إليه كوسيلة للالتحام والامتزاج فروحه متعلقة بوطنه . وإن كانت كل البلاد حبيبة ، إلا أن حب طيبة سر هواه .

والمقطوعة الثانية (على متن السحاب) نظمها وهو في طريقه على الطائرة وقد لاحت له أنوار المدينة المنورة وظهرت معالمها الإيمانية الشاهقة . فلم يتمهل حتى يصل ، فنظم وهو معلق في السماء يصف فرحته ورجوعه . وتميزت هذه المقطوعة بشيء من الوصف يقول فيها :-

- بالليل طارت كالبساط بنا (محلقة) تعربد في الجواء
وأزيها بضراوة الأشواق يفتح الطريق إلى السماء
فوق الغيوم وتحت أفنان النجوم وبين أجواز الفضاء
- نمضي على كتل القطيفة مسهاً النور البهي من العلاء
وكأنما نمشي على درب من الديباج لونه السناء
هذي مشاهد للطبيعة فذة الألوان خالعة الرداء

(١) ترانيم الصباح : ص ١٥ - ١٧ والإستفهام في البيت الأول ليس له مكان ، لأنه يغير المعنى الجميل في البيت .

هذا الوصف المحلق في أجواء السماء ليس فيه معنى جديد (كاللبساط .. محلقة ،
فوق الغيوم ، تحت النجوم ، كتل القطيفة ، درب من الديباج .. خالعة الرداء) ، ولكنه
يدخل القلب والعقل معاً لصدوره عنهما .

يقول بعدها : - حتى اقتربنا من حمى الآمال .. والأنوار تدفق بالنداء
- وبدت معالمها تلوح كراية الإيمان تخفق للعلاء
- هذي طلائع طيبة الزهراء رفت بالحياة وبالرداء
هذي مآذنها الوضيئة شامخات تشرئب إلى السماء
هذي القباب الشاهقات من المساجد بالجلال وبالصفاء
يا هذه الأجواء جننا لهفة وحنين يرتخص الفداء

تعبيرات شوق وحنين إلى بلد النور والإيمان حيث يلوح للرأي منها القباب الشاهقات
من المساجد والمآذن الوضيئة تخفق (كراية الإيمان) . والمقطوعة الثالثة (في رحاب
الرسول) تفيض بهذه المعاني الروحية والتعبيرات الإيمانية التي تصف - حقيقة - تعلق
الشاعر ببلدته الحبيبة ، فقد بدأها بقوله (أب) وكأنه يتنفس الصعداء حين نزل أرض بلاده
كالطير المهاجر الغريب عندما يؤوب إلى عشه :

- أب الغريب إلى مرابعه ومنتجع الجوانح والأمل
وإلى نداء الروح : حي على الصلاة على الكفاح على العمل
فهنا أمتزجت بأرض أجدادي ودين نبينا أسمى الرسل
- وهنا رضعت من المحبة والقداسة وأنتصرت على الملل
ورويت من نبع الصفاء ونشوة عزت على الناس الأول
وهنا مجال الطهر : والأصوات تصعد للسماء بما نزل
- مهد السلام ومرقد المحبوب سيدنا الوحيد بلا جدل
- عود على بدء لنا أن نستقيم هنا ونرقل في الطل (١)
وأظل جار الله أنتهل الحقيقة .. لا اغتراب ولا وجل

هنا يتوق الشاعر إلى الجو الإيماني في مدينته الفاضلة حيث مرقد الرسول ﷺ
ومهبط الوحي .

ويفتخر بطيبة أنها مسقط رأسه ومهد أسرته :

هناك مسقط رأسي .. حيث أسرتنا من آل حافظ .. من أحفاد عدنان (٢)

(١) ترانيم الصباح : ص ١٩ - ٢١ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٩٤ .

وديوان (كلمات حب إلى المدينة المنورة) ديوان كامل عنها يعبر عن حبه وتعلقه بها ويتكون من ثلاث وعشرين قطعة صغيرة تساعية الاشطر يبدأها بكلمة (مدينتي) أو (حبيبتي) كل مجموعة تحمل فكرة تنتهي عند الشطر التاسع ليبدأ بفكرة جديدة في المقطع الثاني وهكذا ، وفيه ينوه بمكانتها الدينية والتاريخية ، وقد بناه من البسيط تتفق قوافي الأبيات في كل مقطع كقوله فيها : -

حبيبتي ٠٠ مهد ميلادي هنا أمرع
في هذه البيد خطوي كان مرتعشاً
نشأت في حضنك الهاني فلا أجزع
وعلى ذراها مشيناها خطأ أسرع
أنا ابنك الفذ رواني وأمتعني
رياك أنت بمخضل الرؤى أروع
هذي معاهد وجداني ومنتجعي
الله كرمها ٠٠ في فضلها أبدع
فأنت نور حياتي والصدى الممرع (١)

مدينتي يارؤى عيني وإيناسي
وأنت يازهرة الدنيا وظلتها
ونعمة الوجد في لحي وأنفاسي
لإمتاع روحي وأحبابي وجلاسي
أراك أصفى ينابيع السنأ عزفت
بروضة الفن أنغامي على كاسي
ويرقص الورد في أجواء أيكتنا
بنشرك الحلو ياشدري وإيناسي
حسبي بظلك يحيا فيه احساسي (٢)

ويتميز الديوان باللغة البسيطة الواضحة ، وفي بعض مقاطعها تأخذ سمة التسلسل السردى لأحداث التاريخ متمثلاً في هجرة محمد عليه السلام إلى المدينة والأحداث التي جرت أثناء هجرته ثم ذكر القادة من الخلفاء والصحابة .

- وهكذا صاغ الشاعر شعراً عذباً سلسلاً جميلاً ليعبر عن حبه وتعلقه بمدينة النور والإيمان ، فكانت عاطفته حارة متدفقة ، وألفاظه سهلة بسيطة ، وموسيقاه طيبة ، وقد استخدم لذلك الكامل والبسيط - في الغالب - على نظام شعر القصيد والشعر المقطعي والتعبير فيها مباشر في أكثره . فهو إنما يعبر هنا عن عاطفة حب الوطن والشوق له ، لذا جاءت تعبيراته مبسطة تكاد تخلو من التصوير ، الا أنها تمتليء انفعالاً وعاطفة قوية ، وألفاظاً مليئة بمعاني الحب والشوق ، وهذا بدوره يؤثر في النفس ويعطي انطباعاً قوياً عن عاطفة الشاعر ، ولهذا يأتي شعره الوطني أجمل وأصدق من شعره الوجداني.

(١) كلمات حب إلى المدينة المنورة : ص ٢٨ .

(٢) السابق : ص ٢٩ .

وكما يشارك في المناسبات الوطنية ، كاليوم الوطني الذي عبر فيه عن الفرحة العامة ، وله عدة أناشيد سعودية يتغنى فيها بأمجاد البلاد ورجالاتها ، معبراً عما يتحلون به من مبادئ وقيم تقوم على الإيمان ، وتكريم الأجداد وصنع الأمجاد ، ومجاهدة العدو وبناء الأوطان .

ومن ذلك قوله في (النشيد السعودي) :

- نحن السعود عروية وأمان
دستورنا الاسلام والقرآن
نحن السعود سلاحنا الإيمان
وحياتنا يرقى بها الشجعان
- نحن السعود نكرم الأجدادا
ملك وشعب نصنع الأمجادا
نعلو بها ونجدد الأعيادا
ولنا بكل فضيلة ميدان
نحن السعود عروية وأمان
دستورنا الاسلام والقرآن^(١)

ويلتزم في كل مقطع ترديد الشطرين الأخيرين .

* * *

الوطن الأم :

شغل الشاعر بهوم أمته وقومه ، واعتبر ذلك جزءاً من همومه فكثيراً ما عقد رباطاً بين ألامه وآلام أمته ليخرج بمعاناة عامة يحسها وجدانه .

وقد ألفت إلى قضاياها مشاركاً ، وكانت له مواقف مشرفة في ذلك ، تكشف عن وطنية غلبة واحساس مرهف جياش .

ومن أهم القضايا التي أثارت قلمه واحساسه ، قضية فلسطين ، ثم نكبة الجزائر وأحداث مصر ومأساة لبنان . ولم يكثر من الثلاث الأخيرات بقدر ما أكثر من الحديث عن فلسطين ، فلم يدع حادثة كبرى الا وتحدث عنها . وقد خصص لها

ديوانه (أغنيات الدم والسلام) ومهد له بمقدمة تحدث فيها عن دور الشعر في اشعال الهمم وانكاء الشعور . كما تحدث عن قضية الإنسان العربي ومأساته و عما ابتليت به الأمة من ضعف وتأخر بحيث أصبحت نهبة للتسلط والاستعمار الذي استنزف خيراتها وشرد أهلها وتعدى على مقدساتها وخصائصها . . . الخ .

وقد ذكر الشاعر في المقدمة أن سبب نظم هذا الديوان هو حرب الأيام الستة ، وسيطرة العدو على المسجد الأقصى ، فجعل منه أغنيات وطنية ملتهبة ، و ناراً تحرق وجدان الغاصب وثورة تنتصر لكل مظلوم وتبدد الظلمات التي حاقت به ويعالمة حيث كان . . . (١) . وقد أهدى ديوانه إلى فلسطين وإلى الأشقاء المجاهدين للعدو .

هذا وللشاعر عدة قصائد ومقطوعات أخرى عن فلسطين وأحداثها في غير هذا الديوان . مثل : (عبير الشرق) (صواريخ ضد الظلم والاستعمار) (أضواء ونغم) وغيرها .

وتتضمن قصائده هذه المشاركة في التعبير عن هموم الأمة ، والتضامن مع شعوبها، والتنديد بالاستعمار ، والدعوة إلى التماسك والتغني بالحرية ، والتعبير عن التألم للمآسي المشردين واللاجئين واستنهاض همم الرجال للزود عن الوطن والجهاد ضد الاستعمار الذي نهب وسلب خيرات الأمة : -

ياقوم في تونس الأشرار قد عبثوا	وفي الجزائر ساموا الشعب عدوانا
وفي فلسطين لازالت جوارحنا	تدمي لتاريخها المثلوم أزمانا
ياقوم هبوا فأخذ الحق مكرمة	وحسبنا ماعرانا من شكواوانا (٢)

وقد وصف المعارك ورثى الشهداء ، وبعث التحايا إلى المناضلين ، ووجه خطاباته إلى القادة والمسؤولين ، وخاطب الضمير الإنساني العالمي ، بلسان فلسطين نفسها في قوله :

- شعبي تشرد يا ضمير العالم	أيقظ دعاء السلم من سكراتهم
قل للذين تعاطفوا بالظالم	الويل ينتظر الجناة بساحهم
- يا أيها الإنسان انظر أرضنا	كيف ارتدت ثوب الخريف على الطلل

(١) مقدمة أغنيات الدم والسلام : ص ٦ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٢٨٥ .

صرخاتها أهوال ليل أزمتنا ونعيب بوم والصدى الداوي الممل
يا أيها الإنسان خذ لي موضعي قد طال تشريدي بأفاق الضياع
صلبت ضلوعي وأستكان بدموعي لهب يغشي ناظري ٠٠ ينكي الصراع (١)

استطاع بمجموعة صور جميلة أن يصور حقيقة الوضع المأساوي في فلسطين ، وأن
يثير كوامن الشعور .

ويشارك الشاعر في التعبير عن مناسبات الدول المختلفة كما في (معجزة العصر في
أسوان) يشارك اخوته المصريين فرحتهم بإنشاء السد العالي ، وفي (مصر في عهدنا
الجديد) يتغنى بمصر ويشارك فرحتها بالجلء ، وانتصارها على العدوان الثلاثي ، كما
يصف حضارتها العريقة .

كما أنه يشارك في التعبير عن آلام مجتمعه الكبير متمثلاً في التعبير عن مأساة
لبنان، وثورة الجزائر ، ونكبة فلسطين ، ورتاء الشهداء وتحية المناضلين ٠٠٠ الخ .
ويتغنى الشاعر أيضاً بعدة معان كبرى :

الحرية ، الوحدة العربية ، التضامن الاسلامي .

- الحرية تلك التي يحلم بها كل مسلم حرُّ بأن ينقذ من قيود الظلم والإستبداد :

حطمت قيدي لم أعد ذاك الجبان ومسحت عن عيني أثار الهوان (٢)

ويقول في رباعية (مع الحرية) : -

ماكنت أرضى بالقيود تحوطني وأنا الطليق بأيكتي وعمومي
طيراً أغرد والرياض تضميني عطراً وانساماً ٠٠ أعيش كهائم
وأريدها حرية تسقي الشعوب معنى الحياة وخير أرضهم الحنون
لابغي لا استعباد يفرضه الغريب الكل يحظى بالكرامة والمعين (٣)

- والوحدة العربية ، التي تنادي بتجمع العرب والمسلمين ، أخوة ويداُ واحدة تشد

أزرهم ، وتقوي شوكتهم في مواجهة أعدائهم ، ولهذا يكثر الخطاب الجماعي :

(يا شرق ، يا أمتي ، يا أخي المسلم ، يا قومي ، يا وطني ٠٠٠)

(١) أغنيات الدم والسلام : ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) السابق : ص ٨٢ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٢٨ ، وانظر عبير الشرق : ص ٤٧ .

وفي قصيدته (حرب على الاستعمار) ذكر دولاً كثيرة منها (اليمن ، الجزائر ،
المغرب ، القدس ، الكويت ، تركيا ، باكستان ، سوريا ، مصر ، ليبيا ٠٠٠)
ليصف الوحدة التي تجمعهم في قوله : -

هي وحدة في كل شيء بيننا في الرأى في الآمال في جم الرغاب
وجراحنا صاروخ يجأر في الدنيا الثورة الكبرى سيعلنها الشباب
ونخوض في أعماقنا حمر الحراب (١)

- أما التضامن الاسلامي الذي دعا اليه الفيصل - يرحمه الله - فقد باركه وحيًا
الفيصل على صنيعة : -

- فيصل الآمال هذي معطياتك للغد المرقوب .. للنصر المؤات
- يامليك السؤدد الشادي المظفر حولك الحكام عادوا للتضامن (٢)

- كما يتغنى الشاعر بأمجاد أمته وتاريخها العريق ، ويعقد صلة بين ماضيها
وحاضرها ، وبين قوة المسلمين في الماضي وتخاذلهم اليوم ، ويحاول أن يفسر سبب
ضياح الأمة وهوانها اليوم ؛ الإنخداع بالبهرج المزيف والتقاعس ، وضعف الوازع الدين،
يقول عن الإنسان العربي :

« كانت تبهره تلك الصور كظامىء في جوف الصحراء .. يتلألاً أمامه السراب
فيركض في لهفة .. يأخذ ببعضها .. ويعجب بالبعض الآخر .. وهو بين التأثر بها
والإنخداع ببهرجها الزائف يلتمس الطريق .. ولا من طريق .. حدث ذلك ، وفي النفوس
ضعف .. وفي العقيدة ضعف ... » (٣)
لهذا فهو يدعو إلى الرجوع إلى الحق إلى دين الله ، يقول : -

يابني قومي تقاعسنا زماناً واستهان الناس بالدين العظيم
وافترقنا لانرى يوماً أماناً كل حزب في طريق يستهيم
بينما القرآن دستور عريق في الكمال
هدينا في الدين والدنيا وفي يوم المال (٤)

(١) الأعمال الشعرية : ص ١٨٩ .

(٢) عبير الشرق : ص ٩٠ - ٩٢ .

(٣) مقدمة أغنيات الدم والسلام : ص ١٤ .

(٤) السابق : ص ٧٢ ، ٧٣ .

نظم الشاعر مقطوعة في الشعر الوطني هي أميل إلى الرومانسية منها إلى الواقعية،
إسمها (دققات حب إلى الأندلس) (١) .

يتغنى فيها بأمجاد ماضيها العريق ، ويشيد بتراثها وجمالها التاريخي .

وقد قسمها إلى ستة أقسام ، كل قسم عبارة عن عدة أبيات :

القسم الأول : فيه ثماني رباعيات نظام قافيتها أ ب أ ب ، تحدث فيها عن
صحوة شعوره ، وفتح احساسه في صباح مشرق جدد له عهد الحب الأندلسي الذي
يذكره بالزهراء ويمن سبقوه من المحبين .

القسم الثاني : أربعة أبيات بقافية واحدة ، وصف فيها حقيقة الحب الذي شغله
في الأندلس .

القسم الثالث : ستة أبيات بقافية ، عبر فيها عن توهج الحب عنده وهيامه بها :

أحببت أندلساً وهمت بأرضها وخشيت بأسرني هناك نشيدها (٢)

القسم الرابع : ثلاث رباعيات قافيتها أ ب أ ب ، ثم ثلاثة أبيات منفردة بقافية
واحدة ، يخاطبها كفتاة ويناجيها مناجاة عذبة ثم يعاتبها بما يشبه العتاب .

القسم الخامس : تسعة أبيات بقافية واحدة ، يتغنى بقرطبة وجمالها العريق ..

القسم السادس : ستة مقاطع أكثرها من الخماسي ، تحدث فيه عن تمنيه لقيها

يجمعهما حب عريق ، ويشتهبه في هذا الفصل هل يحدث فتاة أم يحدث مدينة من مدنها
وقد سماه (ابنة الأندلس) يقول فيه :

- قلبي يعانق فيك الخطو خافقة ظمأن للشعر والذكرى وللحلم
والزهرة على مراك طالع حياً الجمال وضم الخصر بالنغم
يا بنت أندلس أدعوك للقمم

وقوله : - إنسانة أنت أخرى .. أنت بسمتها فيك التقى شبح الماضي مع النسم
جاءت تبادلني همسي .. وفتنتها تطوى الجناح على كبدي وبالهمم (٣)

(١) الأريعون : ص ١٧ - ٢٥ .

(٢) السابق نفسه : ص ٢٠ .

(٣) السابق : ٢٣ ، ٢٤ .

وأكبر الظن أنه يقصد مدينة من مدنها ، وهذه المقطوعة تبدو من نسج الخيال ، فلا حب ولا هيام ، إنما هي في الخيال :

(١) خذ بالشذا الرفاف من روضاتنا فالحب شاغلنا .. تجدد بالخيال

وهذه الدفقات .. قضية وطنية يعالجها معالجة رومانتيكية مغرقة في الخيال تختلط فيها الرؤى ، وتمتزج الأحاسيس السعيدة بالماضي العريق والحاضر المؤلم .

ويشوب المقطوعة تفكك واضح ، فلا اتصال بين اجزائها ، إذ أنه لامبرر لفصل أبياتها تحت مجاميع كل مجموعة تحت عنوان ما . وتبدو الفكرة نفسها عند على محمود طه فله مقطوعة أندلسية يقول في بدايتها :

حسنك النشوان والكأس الروية جددا عهد شبابي فسكرت

أه هاتي قربي الكأس اليه

(٢) واسقنيها أنت يا أندلسية

وهي مشابهة لبعض مقاطع قصيدة عبد السلام :

يابنت أندلس .. أنت التي عبرت حساً وقلباً تغنينا ملاحظتها

وأنت مشعلها الوضاء .. بسمتها

يابنت روعي .. ويانفسي وبهجتها (٣)

ولعله متأثر به في بعض أفكارها وألفاظها . وبهذا يزواج الشاعر بين النظرة الرومانتيكية والواقعية في وطنياته - أحياناً - فهو ما يزال أسير الغنائية الوجدانية :

(٤) ماعاد لي وطن إن لم أغنيه وأحمل العبء عن أهلي وأقديه

فالغناء والفداء ، وجهان معاكسان ، الأول وجداني والثاني واقعي وهذه المزوجة بين

الرومانتيكية والواقعية ، منحت شعره عنوية وحماسة معاً ، وأضفت عليه روعة وجمالاً .

(١) الأربعةون : ص ٢٠ .

(٢) ديوان على محمود طه : ص ٢٧٠ .

(٣) الأربعةون : ص ٢٤ .

(٤) أغنيات الدم والسلام : ص ١٠٠ (والقصيح في أغنية جزمه « أغنه ») .

خصائص شعره الوطني :

ونكشف فيما يلي عن خصائص ومميزات شعره الوطني .

أول ما يلاحظ في وطنياته قوة الانفعال وسريانه في القصيدة أو المقطوعة بأكملها لايهن ولا يخفت بل يتعاطم ويتنامى ، وذلك نتيجة لتفاعل الشاعر مع الأحداث التي جرت وتجري على الساحة السياسية وشدة تأثره بها .

وهذا هو صدق الشعور ، وهو يغلب أكثر شعره الوطني . ولكنه - في أحيان قليلة - لا يستطيع أن يترجم هول الحادثة نتيجة لصدمة الشعور بالحدث ، ومن ثم لا يستطيع أن ينظم قصيدة ويرجىء ذلك إلى ما بعد ، فتصبح القصيدة مجرد سرد للأحداث وتميل إلى المعاني التأملية وتخاطب العقل لا الاحساس والشاعر .

ومن هنا يمكن الحكم على أن الأولى أكثر شاعرية وإثارة ، والثانية أكثر إقناعاً ، ويمكن التمثيل لذلك بقطعتين هما :

(حرب على الاستعمار) (١) ، و (غضبة الثأر) (٢)

فالأولى خماسية من الكامل ، والثانية قصيدة من البسيط .

يقول في الأولى :

- يا أرض ثوري واصخبي وتزلزلي فالله لاترضيه غاشية الظلم
ضجى بأحقاد القرون ولولوي وتنفسي بالعاصفات من النقم
حتى يظل الكون ينفث بالصمم

- في كل قطر لوئته يد العدا وغدا به المستعمرون يهادنون
لا بد نعلنها على دنيا الدجى ثورات حق تستبيح العابثين
وتبيد أشباح الردى والغاصبين (٣)

فهذه المقطوعة بكل ما فيها من ألفاظ قوية وروح حماسية وثورة . . . تعبر عن انفعال شديد وعاطفة جياشة وغضبة على المستعمر ، وقد زاوج فيها بين السالم والمذال في قافيتها ، وإن الجمل الطليية الأمرية (ثوري - اصخبي - تزلزلي - ضجى - ولولوي

(١) (صواريخ ضد الظلم والاستعمار) الأعمال الشعرية : ص ١٨٧ .

(٢) أغنيات الدم والسلام : ص ٢٥ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ١٨٧ - ١٩٠ .

- تنفسي ٠٠٠) فيها إلاح على التحرك (النهوض) وانتزاع النصر والانتقام من المستعمر الغاصب ، وهي صورة مثلى لشعره الوطني الملهب العاطفة المتأثر بالأحداث .
ويمكن مقارنة هذه المعاني الثائرة الحماسية بقصيدته الأخرى (غضبة الثأر) التي نظمها سنة ١٣٨٧ هـ ، يقول فيها : -

- يوم له الروح والأعمار تبتذل يوم لتاريخنا المشهود يشتعل
انا أردناه تفجيراً لثورتنا على الغزاة وقد طالت بنا السبل
الحرب للحق تقديس لغايتنا تزول صهيون والاجرام والعلل
خضنا بها العمر تصحيحاً لما زعموا فينجلي الليل والطاغوت والدجل
مالت بنا كفة التقدير وانحسرت أمام غدرهم موجاتنا الاول
لأنهم باغتونا في تحزبهم عصابة الحقد : اسرائيل والهبل
وجدوه ثلاثياً تأمرهمم يعظم ما اقترفوا ياشر مافعلوا
هبت علينا تهاويلاً قنابلهم بالقدس ، والمسجد الاقصى به نزلوا
- لا بالصوص الحمى .. حكامنا انتهبوا شعوبنا هدرت : لن ينحني البطل
- فكلنا وحدة في الحق يجمعنا دين الهدى ولنا الامجاد والمثل^(١)

هذه بعض أبيات من قصيدته الطويلة التي تتكون من خمسين بيتاً بقافية اللام .

ومن هذه الأبيات اتضح الفرق بينها وبين سابقتها فالأحداث تقادم ببعضها العهد فقد أصبحت الآن عند الشاعر ذكرى مؤلمة ، بعد أن أخذت نفسه تألفها ، وأصبح ينظر إليها نظرة تأملية يخاطب فيها العقل لا الاحساس . فمن البيت الخامس إلى الثامن كلها نظرات فلسفية فيما مضى وحدث . وتبدو العاطفة أقل توهجاً من الأولى ، والانفعال خبت به روح التقريرية إلى حد كبير . ولا يعني ذلك إهدار قيمتها الفنية ، بل إن القصيدة تحمل معاني وطنية رائعة بما تضمنته من أهداف سامية كما في قوله :

(الحرب للحق تقديس ٠٠٠ كلنا وحدة في الحق يجمعنا دين الله ، إيماننا انطلاق نحو شرعتنا ، فالنصر منتظر على درب الكفاح ، يخوضها مؤمناً بالموت ، الله ناصركم، كرامة العيش نحيا لها ٠٠٠٠) هذه معانٍ سامية وأهداف عالية .
وإنما الحكم هنا على قوة الانفعال وصدق العاطفة . وقد أشاد بتلك المعاني

الدكتور إبراهيم الفوزان بعد أن عرض عدة أبيات منها فقال : « حاولت أن أثبت أكبر قدر ممكن من هذه القصيدة القومية الرائعة لما تضمنته من أهداف سامية ومعان قوية مؤثرة وألفاظ عذبة أدت إلينا المعنى كأحسن ما يكون الأداء في الصور بين الحسية والعقلية ، وتدرج في عرض أفكار هذه القضية التي التقت فيه الأسباب بالنتائج وهكذا تبدو مقدرة الفنان في إتقان صنعته عندما يكون صادقاً مع نفسه .. » (١) .

وحقيقة إن ضعف الانفعال هذا عبر عنه ألفاظه وضعف أسلوبه فيها كما في أسلوب التعليل في البيت السادس ، وكذلك الإستثناء في قوله :

الاندأ عن أوطاننا خطرا
.....

فضلاً عن القافية المحشورة على بعض أبيات القصيدة .

ومعظم قوافيه تأتي معطوفات [الإجرام والعلل ، الطاغوت والدجل ، اسرائيل والهبل ، الأمجاد والمثل ، العلم والعمل ، العمر والشغل ، الأهواء والخطل ... الخ] .

وهي تأتي متممة للبيت لاغير ، وأخيراً فإن الشاعر اعترف بعدم قدرته على النظم من أثر الصدمة الكبرى التي نشأت من حرب الأيام الستة على المسجد الأقصى حيث قال : « كان لي صدمة كبرى للحس وللمشاعر بحيث تبدل الذهن عن أن يكتب شيئاً أو يقول سوى (لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم) أجل فقد غاض كل احساس تسجيلي ولم استطع كتابة بيت واحد من الشعر حتى بعد مضي شهرين عندما بدأت بقصيدة (غضبة الثأر) .. » (٢) .

وهذا مما أضعف قوة الانفعال وافقدها الصلة المباشرة بالحدث نفسه .

أما الشكل الذي صيغت فيه القصيدة فليس عيباً ولاينقص من قيمتها ، لأن ذلك يرجع إلى مقدرة الفنان في عرض موضوعه مرة بأسلوب الشكل القديم ومرة بالتشكيل الجديد ، وكما يقول الدكتور الفوزان : « وهكذا تبدو الأصالة في الارتباط مرة بأسلوب الاتباع ومرة بأسلوب الخلق والإبداع ، وهذا هو التحدي المسكت في نظر رواد التجديد ممن يؤمنون بالتنوع ... » (٣) .

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد : ص ٩٧٠ .

(٢) من ثمرات الكتب بين النقد والتحليل (في محراب الفكر) ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٣) الأدب الحجازي : ص ٩٧١ .

والشاعر نظم على الشكل القديم وكانت أفكاره وعاطفته جيدة ومعانيه رائعة ، ولم يقف الشكل عقبة أمام الإنفعال .

وشعره الوطني عبارة عن عواطف صادقة حارة متوهجة تنفث بالحمم في وجه المستعمر المستبد . وهذه العواطف الصادقة تنبع من معين وجداني اكتوى بمرارة التجربة ، معبراً بأسلوب - في أكثره - مباشر تلقائي يعرض المآسي والأوجاع ويصف الألم والمرارة ، ويلجأ فيه الشاعر إلى الألفاظ الموحية بهذا الغرض .

أما الخيال والتصوير فذلك قليل في شعره الوطني . لأنه لا مجال هنا للغوص في غمار التخيل وأنواع المجازات الا بما يأتي مطابقاً لمعنى محدد .

فقد رمز للحرية بحورية اغتسلت في نهر الحياة وطالعت بروعتها ، ومن هنا أدار الحديث عن نفسه ومرضه وفاتنته الحورية تلك يقول :

أيا وجهه فاتنتي بالرواء	-	عليل الهوى أين يرجو الدواء ؟
أتأتي تمرضه في الشقاء		وتسرعفه إن أصيب بداء ؟
أيا ويحه ان تمنى الحياة	-	ولم ينضح حوه بتلك العيون
ويا ويحها ان تناست هواه		ولم تقضي دينا لرب الفنون
الامن يطب فؤادي المروع		ويمنحه من عزاء الحبيب
فقد أسرف الداء بين الضلوع		وراع الكيان ضلال الوجيب
كما راع اوطاننا الغاصبون	-	وأسرف أحفادهم في الشرور
طغى الداء في الشرق بالعاثين		وأرض العسوية تشكو الدهور (١)

لقد دخل إلى القصيدة الوطنية بعد مقدمة عن نفسه ساعده على ذلك تخيله الحرية فتاة جميلة أراد أن ينسى أوجاعه بجمالها .

أما التصوير والتجسيم فلا يلجأ اليه كثيراً ، الا في بعض الصور الاستعارية كقوله:

يا أيها الإنسان أنظر أرضنا	كيف ارتدت ثوب الخريف على الطلل
صرخاتها أهوال ليل أزمننا	ونعيب يوم والصدى الداوي الممل (٢)

(١) صواريخ ، الأعمال الشعرية : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) أغنيات : ص ١١٩ .

وقوله جامعاً صوراً عديدة ليصف بها هول الاستعمار على الشرق : -

قد ثار في الكون الضياع وتطيرت نجم السماء
والشمس تبرز كالقضاء والبدر يصرخ بالمساء
حتى غدا الفلك المضاء يهوى بأحقاد العدا
ويبعثر الاشلاء في أيدي المنون
والرياح تزار في الفلا تدعو إلى وأد العدا
وتهب بالنقم الصببا تجتاح أسباب الضنى
والزهري ينضح بالردى بمرارة تدمى الريا
حتى تقض مضاجع المستعمرين^(١)

وله عدة صور استعارية بليغة منها : (يابلادي جرحك الدامي سيبراً) (وطني الجريح) (ومضى الظلام وأشرق شمس الجهاد) (ليلنا الأيكم) ...
هذه الصور والمجازات أراد بها الشاعر أن يستثير كوامن الشعور ، فلم يعد الإنسان يثور وحده بل إن الكون بما فيه من فلك ونجوم وشمس وبدر ورياح وزهر ...
تأثر .

ويخاطب الجمادات ليثير الحماس والثورة في النفس ، وخاصة الأرض التي تحمل على تراها ألواناً من الناس ، كما في مقطوعته :
(أرض العبيد) والتي بدأها بقوله : « صمت أذان الإنسانية .. فلتكن هذه الصرخة للأرض الأم .. ! » وقد نظمها من المتدارك خماسي الأشطر ، الشطر الخامس من مجزوء البحر بست تفعيلات يقول فيها : -

أنت يا أرض للناس أم رؤوم أم تخذت الدنى للأسى والهموم ؟
هذه الكائنات التي استعبدت للضنى فوق جنبك ماذا تروم ؟
بين باكٍ وشاكٍ وسالٍ وراجي المنى في سهوم
يرتدي العربي والبرد في نومه لاطعام يقويه ولا من أديم
والمصابون في علّة أو شجى مبعث البؤس - والبؤس شر الهموم
هم شقاء الوجود ولاؤؤه والبقاء الوخيم^(٢)

(١) صواريخ ، الأعمال الشعرية : ص ٢٤٤ .

(٢) السابق : ص ٢١٣ .

وهذه المقطوعة رائعة المعاني قوية الأسلوب فيها شيء من التجسيم والمجاز كقوله :

(يرتدي العري والبرد في نومه) وقوله في غيرها من الأبيات :

(إبتسام الغيوم) (أشربوا الذل من نبعه . . واستكانوا كنبت الوجوم)

(الرموس لهم جنة أقفرت من بلاء . . . يحلم الصمت فيها . . .) الخ .

وبهذا الأسلوب من المجازات والتصوير أستطاع الشاعر أن يرقى بشعره الوطني إلى درجة من التجاوب الإنساني ، فهذه (أرض العبيد) ليست وطنية فقط بل إنسانية عامة يتعاطف فيها مع البشرية في آلامها ومآسيها ، وهذه وقفة إنسانية رائعة منه ، إلا أن ذلك لا يتكرر كثيراً عنده .

أما عن أسلوبه ومعجم ألفاظه فمن الطبيعي أن تكون ألفاظ الشعر الوطني حماسية جزلة واضحة قادرة على صوغ التجربة والانفعال كأحسن ما يكون .

وتأتي تلك الألفاظ - أحياناً - بطريق الهمس الهادئ ، و - أحياناً - تأتي خطابية جهورية ، والشاعر أميل إلى الثانية ، إذ يتميز شعره بالخطابية والنداء والجميل الطلبي ، ولا تقل هذه الصفة الخطابية من قيمة شعره ، فهذه المواقف تستلزم المشاركة بلغة خطابية لشدة الحماس والدفعة الوطنية . ومن شعره المهموس الهادئ الذي يدق على وتر الوجدان مقطوعة (رفض للمأساة) (١) يقول فيها :

العشق للقدس المضيّع أوقا

في سجن أيامي . . ودمدم محنقا

نار تزمجر في دمي . . بتلوعي

يانار كان الليل فيك ممزقاً

كان التاكل في العدو محققا

وصحوت أعطي للتمزق مقودي

باعوا ديارى واستحلوا مزودي

وحملت عبء السخط إيماناً به

بغدي الشموخ وثورتي وتجددي

رغم السلاسل لاتلين سائقتي (٢)

(١) عبير الشرق : ص ٧ .

(٢) السابق : ص ٧ ، ٨ .

فهذه الأبيات الخماسية فيها شيء من الهدوء والهمس بعيداً عما يلمس في وطنياته
- عادة - وفيها يمتزج الشاعر بوطنه الأم امتزاجاً جميلاً بالألفاظ عذبة ، ومثل هذا قليل
جداً .

أما الجانب الآخر ، عالي النبرة ، ويمتاز بالموسيقى الحماسية في أكثره وخاصة
عندما ينظم من المربع أو الخمس بقوافي متساوية كقوله :-

صنع الزمان منا جمي ومغاوري
فرميت في أيدي الردي بمناحري
أنا صامد بمبادئي وشعائري
وطني هو الإيمان يمالنا ظري
ويقول :
ياسائلاً عم من أكون ومن أنا ؟
أنا ابن من تركوا الديار بأمننا
هرباً من الأشرار غالوا أرضنا
واستعمروها واستحلوا بيوتنا^(١)

هذا نموذج للقائد الوطنية الحماسية القوية ، وهي عبارة عن أناشيد متأججة
تحمل ألفاظاً قوية : (صنع الزمان ، منا جمي ، مغاوري ، الردي ، مناحري ،
النضال ، كلي صواريخ ٠٠٠ الخ) وتزداد هذه الألفاظ حدة عندما تصاغ في أسلوب
الجمال الخطابية الطلبة من أمر ونهي امثال : (غرد ، قم ، ارفع ، خذ ، اقذف ،
ادفع ، حطّم ، اكتب ، كبير ، انطلق ، فجر ، ازحف ٠٠٠ الخ)
كقوله :

يا أخي ثر للضمير المستباح اليوم في أوطاننا وارفع نداءك
خذ سلاح الوحدة الجبار واقذف في صدور الشؤم وادفع من غزلك
حطّم الإغلال عن تاريخ هذي الأرض وأكتبها حروفاً من ضيالك^(٢)

وقد احتوت هذه القصيدة على أفعال طلبية أمرية كثيرة يريد منها الشاعر استنهاض
همم الرجال للأخذ بالثأر ، كما يستخدم أسلوب النداء : [يا أخي] و [يا بني قومي]

(١) أغنيات الدم والسلام : ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) السابق : ص ٢١ .

و [يشرق] و [ياعرب] . . كقوله :

بني العرب هبوا لنيل العلا لحطم القيود لسحق العدا
بني العرب هيا لركب النضال نعيد الكرامة والسؤدا (١)
ويكثر من الصفات المتتابعة التي يلحقها بالعدو مثل : (الطاغي ، الطامعين ،
الناهين ، الغاصبين ، العدو المستبد ، الخصم الالذ . . الخ) .

وقد جمع عدة صفات متتالية في بيت واحد في قوله :

هؤلاء العابثين الشامتين الساخطين الغادرين الخادعين (٢)

وكثرة هذه الصفات والمعطوفات يرجع إلى اعتماد الشاعر على قوة الألفاظ وإيحاءاتها ، أكثر من الاعتماد على الخيال والتصوير ، مما جلب علو النبره وأسلوب التقريرية الذي اتسم به جانب كبير من شعره الوطني ، وهو في الوقت نفسه ليس بغريب عن الشاعر فقد أشير إلى اعتماده ذلك في شعره الوجداني أيضاً للدلالة على التدفق العاطفي .

وتظهر هذه الميزة عند علي محمود طه ، والشاعر متأثر به هنا في هذه القطعة خاصة وفي الموضوع نفسه .

ولكنه يحاول أن يخرج عن الصفة الخطابية بأساليب عدة ، كأن يتحدث بلسان الفلسطيني المشرذ أو ابن من أبناء العروبة المعذب ، أو بلسان امرأة فلسطينية تصف مأساة شعبها لطفلها لتغرس فيه كره الأعداء . . كقوله على لسان الفلسطيني المشرذ :

لم يعد لي موطن أوي بظله لا ولا دار ولا نكـرى مـطـله
غير ألام تساقيني المذلة من ضياعي واحتضاني كل علة
في عراء الارض عشت العمر كله (٣)

وهذه الأساليب فيها كثير من الإيحاء والتصوير وتثير كوامن الشعور ، وبها يستثير حمية بني قومه للأخذ بالثأر واسترداد الكرامة والدفاع عن الأوطان .

(١) صواريخ ، الأعمال الشعرية : ص ٢٧٧ - ٢٧٩ .

(٢) أغنيات : ص ٢٣ .

(٣) السابق : ص ٤٦ .

ومما يزيد الأسلوب إثارة وحيوية مشاركة الشاعر نفسه بلسان حاله هو كعضوٍ من الأمة يصف حزنها ويشارك في التعبير عن آلامها بأروع المشاعر وأدق الأحاسيس ، وهو حديث خاص يعتمد على ضمير المتكلم ، ويتمثل ذلك في عدة قصائد ومقطوعات مثل :

(على مشارف طيبة) (أما لهذا الليل من آخر) (العيد الخالد) (من المدينة المنورة ٠٠ إلى القدس) (وطني الأبقى) (الجبار الصغير) ٠٠٠ الخ .

هذه القصائد والمقطوعات يعقد الشاعر فيها علاقة بينه وبين الأحداث كأن يمتزج بها أو يمزج آلامه بآلامها ، أو يعبر عن شعوره الذاتي بها كقوله :

من أجلكم يارفتي صلي الفؤاد
قام الليالي السود ٠٠ بل هجر الوساد
من أجلكم صلي وصام مع السهاد
وتطلعت أعماما قهرا درب العناد
في المسجد النبوي - قال وفي ائتاد :
رياه من للمسجد الأقصى سناد ؟
رياه أنت ملاذنا ورجاؤه يوم الجهاد (١)

والمقطوعة كلها بث لأشجان الشاعر إلى إخوته الأشقاء في القدس ، سباعية الأشطر من الكامل الشطر السابع بأربع تفعيلات وتتوحد القافية في كل مقطع .

ويشكو حزنه على فلسطين للمدينة المنورة في قوله :

ربا الإيمان ٠٠ إن القلب بيكي حسرة والنفس مقهورة
على تلك الديار الزهر ٠٠ هل ضاعت علينا وهي مذعورة ؟ (٢)

وفي (أما لهذا الليل من آخر) (٣) . لا يحس الشاعر بطعم العيد وحاضره المشنوم سليب الدار .

لقد وصف أسباب شقائه التي منها حال الأمة ، يقول فيها بعد أن اتخذ بيت المتنبي قاعدة :

(١) أغنيات : ص ٧٧ .

(٢) السابق نفسه : ص ٣٥ .

(٣) السابق : ص ١١٢ .

قد عيّد الناس الامهجة هزئت من مطلع العيد .. هاجتها الأناشيد
رأت بحاضرها المشئوم طالعتها عام وأخر لم يبسم لها عيد
ماذا يحس سليب الدار من بهج ؟ وما يفيد إذا ذاعت أغاريد ؟
تعددت في الدنا أسباب شقوته الروح يشكو الأسى والقلب مفؤود
حال المعذب في نفس وفي وطن واللاجئون لهم في التيه تشريد (١)

وهكذا يظهر الشاعر حزينا متألماً على حال أمته وشعبه المسلم وهي مشاركة وجدانية حميمة فلا يجد طعماً للعيد وهذه الحال قائمة ، بل لا يجد العيد الا في النصر على الأعداء (٢) . وتحريّر الأوطان .

وهذا مجال للنفاذ من المعاني القائمة إلى الآمال وتحقيقها ، فإنه يحمل قلباً محباً للجهاد والتحرير ويتمنى تحقيق ذلك ليحس بالعيد والسعادة ، لذلك فانه في أكثر من موضع يحاول التسامي على متع الدنيا ليبذل روحه وحياته فداءً لوطنه . وقد عبر في (الجبار الصغير) عن محاولة أمه أن تجعله يهنأ ويستقر في حياة زوجية سعيدة لكنه يرفض معللاً ذلك بقوله :

أنا لست عبداً للحياة
أنا ما خلقت لهذه الدنيا الموات
أنا قد وجدت أصرار الكون الغريب
وأناضل الأيام للحق المضاع (٣)

وقوله : - ويا أم لاتسرفي في الوداد وحسبك أني فتى العاصفات
- أيا أم كيف نروم الحياة وأعداؤنا في ضلال مشين
أيرضى الضمير .. أيرضى الاله ويستعبد الأرض أهل المجون (٤)

مشاعر مليئة بالوطنية والصمود والعزيمة وقوة الإنفعال ، لا يتأتى ذلك في جملة أبيات فقط ، بل إن الملاحظ أن هذا الشعور يطرد على طول القصيدة ، وهذا ما يدل على رقة قلبه وإيمانه بمسئولية الإنسان المسلم المتضامن مع اخوته في الدين .

(١) أغنيات : ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) انظر الأعمال الشعرية : ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ١١٦ .

(٤) صواريخ الأعمال الشعرية : ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ -

وهذا الشعور يقود إلى أمر هام خاص بشعره الوطني وهو ظهور نغمة التفاؤل والأمل
بنصر مؤزر وحياة كريمة ، فمع القهر والظلم الذي استخدمه العدو الاسرائيلي ومدى تأثيره
في نفوس المسلمين ، فإن قوة العزيمة والإقدام والتفاؤل قائم في وجدان الشاعر ويغلب على
أكثر شعره الوطني ، بل كله :

إذا عاد أهل فلسطين للدار إني سأبقى
أغرد حراً .. ويهناً قلب لنا ليس يشقى (١)

وإن كان هذا أمراً طبيعياً في المواقف الوطنية الا أنها عند الشاعر تبدو سمة
حسنة ، لأننا نفتقد ذلك في شعره الآخر ، وقد وصل تفاؤله إلى أن تخيل أن فلسطين ردت
إلى المسلمين فعلاً فنظم بيتاً واحداً أسماه (أفراح العودة) يقول فيه : -

عدنا نرغرد يا أيام ناجينا ؟ ويا فلسطين بالأخضران رويانا ؟

ثم قال بعدها : « وغص الإحساس والقلم ، كعلامات إستفهام : عدنا ؟ متى ؟

متى ؟ عدنا ؟ متى ؟ وفي خشوع لله الذي ينصر من ينصره .. كانت المشاعر تردد ،
قريباً إن شاء الله .. إن شاء الله .. » (٢) .

ثم قال : وعند العودة تتم القصيدة (إن شاء الله ..) ، لقد استبق أحداث

الزمن لشدة شعوره وإحساسه بفرحة النصر والعودة .

- وأحياناً ما يستهل قصائده الوطنية بمقدمة غزلية ، ومن تلك القصائد : (الثورة

في كل مكان) (٣) (العيد الخالد) (٤) (الحب والحرب) (٥) (وطني الأبقى) (٦)
(الجبار الصغير) (٧) (الجزيرة العربية) (٨) .

(١) أغنيات : ص ١١١ .

(٢) السابق ١٢٢ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٢٤١ .

(٤) السابق نفسه : ص ٢٥٣ .

(٥) السابق : ص ٢٨٠ .

(٦) أغنيات الدم والسلام : ص ١٠٨ .

(٧) وحي وقلب والحان : ص ١١ .

(٨) عيبير الشرق : ص ١٤ .

ففي قصيدته (الحب والحرب) يظهر من العنوان أنه يتحدث عن خاطرين : الحب والحرب ، أما الحب فقد استهل به القصيدة في سبعة عشر بيتا تطل منها الفرحة والسرور وسر سروره لقاءه بليلاه . أما الحرب فقد عبر عن ثورته النفسية على الأوضاع المؤلمة في مصر ، وبعث زفرته عنواناً وثورة على المستعمر ، ثم تحدث عن أبطال مصر وشعبها المكافح وعن التحرير وفلسطين . . . الخ .

ثم يختم قصيدته بحوار لطيف بينه وبين ليلاه ختمه بقوله :

أنت التي بددت في غربتي أملي وأبدعت في حقول العمر بستانا
أنت الغرام ونأي الشعر شادية ياقلب غن وردد سر نجوانا

وفي (وطني الأبقى) يدير حواراً بينه وبين فتاة تتمنى أن تظل موضع حبه وقربه يتغنى بها في شعره ، لكنه يبين لها انشغاله بحب وطنه يقول في بدايتها : -

تقولين بالرمش والهمس واللفتة الحائرة :
أحب السناء وأهواك يانفسي الثائر
وددت بقربك أحيا وأبقى به شاعره
وشعرك ينقلني للريا والدنا الساحره
فتاتي بعيداً أردت . . فما عدت خلّ التصابي
أحب نعم . . لكن الحب أسمى لتلك الروابي
وقلبي يرف بها ولها في اضطرار الشباب
وأرضي هي اليوم شغلي وشوقي ليوم الإياب

على أن الشاعر فيها يتغنى بحب جمال بلاده ورياضها وورودها وأطفالها ، كما بيدي تعلقه بقبلة المسلمين ومسرى الرسول عليه السلام :

أحب الجمال وأعهده في ديارى الحبيبة
جمال الرياض وزهو الورود بأرضي الخصيبة
وأطفالنا يمرحون على صدرها والشبيبة
وحسن السواعد لألاء من عرق ندى طيبه
أحب وأعشق أرضاً بها كرمتي بل وأهلي
بها قبلتي يوم صليت لله في شوق طفل

ومسرى الرسول .. إمام النبیین كان يصلي

ومعراجه للسماء .. فأعظم به من تجلى (١)

ثم يدخل من هذا الحديث إلى الحديث عن فلسطين وشعبها المغلوب وعن حلمه في

الحرية .

هذه القصائد التي يستهلها بمقدمة غزلية قليلة إذا ماقيست بكثرة شعره الوطني ،

فهو في أكثره ، يدخل إلى الموضوع من غير تمهيد عن نضاله وآلامه وعذابه أو غزلياته ،

كقوله في مقطوعة (الجزائر الثائرة) حيث دخل إلى الحديث مباشرة :

فرنسا فتكت باخواننا

بأحرارنا في الجزائر بالأبرياء

عتوت على الأمة الثائرة (٢)

* * *

أما الشكل الخارجي لشعره الوطني ، فله ميزة كبرى قد لاينفرد به الا أنه يغلب

عليه فأكثر قصائده ومقطوعاته عبارة عن أناشيد حماسية يحكمها الشكل الذي يعمد

الشاعر إلى صياغتها فيه بحيث تبدو ملحنه بأعلى الألحان وأشجاء ، ويمكن أن تؤخذ

بعضها وتغنى غناءً شجياً وحماسياً في الوقت نفسه ، لما فيها من إيقاع عال لما تتميز به

من سهولة وبساطة وطلاقة يمكن معها حفظها عن ظهر قلب . كما يتميز باتصال

أشطره غالباً ، فيصبح البيت الواحد شطراً واحداً تمتد فيه العبارة فلا يقف الا عند نهايته

سواء كان البيت تام التفعيلات أو مقصراً ، وهذا التتابع فيه دقات عاطفية كقوله مثلاً :

يا أخي يا ابن الحياة الحرة الشماء غرد للظى والعاصفات

قم معي فالمشعل النشوان في أيد عليات يغني للحياة (٣)

فهذه من الرمل بست تفعيلات مدورة بضرب دون عروض ، ورغم اتصال الشطرين

وإمتداد الجملة الطويلة بحيث ينتهي النفس قبل آخرها ، الا أن ذلك محبب في موقف

حماسي ثائر كهذا وتألفه الأنواق .

(٨) أغنيات الدم والسلام : ص ١٠٩ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٢٢٠ .

(٣) أغنيات الدم والسلام : ص ٢١ .

كما يتميز بإيقاع عال وانطلاق وتدفق وخصوصاً إذا جاء من المجزوء كقوله :

في الشرق في أقصى الديار ثورات ترمى بالدمار
تقضي على مهد الشرار وتبديد الظلم المثار
صهيون تصبح في اندثار والليل يدركه النهار
فتزل بالطغيان أقدام الجنون (١)

هذه القطعة - في الأصل - من السداسي على مجزوء الكامل التزم فيها إضافة شطر سابع من ثلاث تفعيلات حافظ فيه على وحدة قافيته فيما يشبه ما يسمى بعمود القصيدة في المسمط وعلو الإيقاع فيها يرجع - أيضاً - إلى تصريح شطريها على القافية المذالة - غالباً - (متفاعلان) التي يجتمع فيها الوقف مع الأرداف .

والشاعر طريقة خاصة في تنظيم وتنسيق الأبيات وحرصها تحت بعضها البعض أو بجانب بعضها بطريقة أو بأخرى ، وهي أشكال تختص بطرائق البناء الفني لأشعاره ، ويمكن تلمسه في شعره الوطني خاصة وفي عموم أغراضه الشعرية الأخرى .

ولعله بذلك يزيل رتابة الشكل الواحد المتكرر ، والتنوع هذا أكسب شعره الوطني جرساً غنائياً منوعاً ، كقوله وانظر الشكل الذي صاغ به أبياته (وقد جمع فيها بين الضروب) ، مما يمكن من التفنن في طرائق أدائها غناءً :

هذا أذان الفجر قد كبر
والليل ماد وأشرق الوجه الجديد
من بين قمم صحا يثار
شعب أراد النور للوطن السعيد

ويبيد أكفان الظلام السائده (٢)

فهذه من الكامل خماسية ، الشطر الخامس فيها بمثابة القرار حافظ فيه على قافيته بما يشبه القفل في التوشيح ، أما البيتان فالشطر الأول بعروض أحد (متقاً) وضرب مزال (متفاعلان) ، بخمسة مقاطع أما المقطع السادس والأخير فجاء كله على وزن القفل وقافيته ، كما جاءت أشطر واحد من الأدوار موحد حرف الروى فقط .

وهكذا يأتي الشاعر بنماذج مختلفة من الأشكال الخماسية وغيرها ، كما يلتزم

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٤٢ .

(٢) عبير الشرق : ص ٦٤ .

بالشكل الموحد للمقطوعة في أحيان كثيرة .

والذي يعيب موسيقى شعره الوطني ذلك النشاز الواضح الذي قد يكون منشؤه اتصال الأشرط بعضها ببعض ، مما يجعل الشاعر يضيف سبباً أو حركة زائدة أو أكثر . وفي ديواني (عبير الشرق) و (أغنيات الدم والسلام) أمثلة واضحة لذلك النشاز . وقد أشار الدكتور عبدالله الحامد إلى وجود النشاز الموسيقي في ديوانه (أغنيات الدم والسلام) وقال إن سببه أن الشاعر من الذين يحاولون التجديد « فتضطرب صورة الأوزان في أذهانهم » (١) . وقد شكك في أن يكون ذلك راجع إلى ضعف الطبع الشعري لديه .

ففي مقطوعة (النصر آت) (٢) من الرمل بخمس تفعيلات مزال آخرها ، يقول فيها :

إن حكماً جاهلياً عنهجياً ينتهي بالحاكمين

في مصير موحل يطويهم طي المعتدين المجرمين

فالبيت الثاني واضح النشاز ويستقيم بإبدال العتاة بالمعتدين :

في مصير موحل يطويهم طي العتاة المجرمين

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

وفي مقطوعة (سنموت وقوفاً) (٣) من الهزج بخمس تفعيلات خماسية الأبيات لكنه

خلط وشكل في عدد التفاعيل في بعض مقاطعها كقوله : -

أجل يا شعب .. ياخواننا في الدين والآمال نادتنا فلسطين

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ويأتي بعده بقوله : تهاونا طويلاً وانتظرنا .. بينما ضاعت فلسطين

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

وهكذا تمتد الشطرة وتقصر بطريق غير منظم .

ومن عيوب أساليبه في الوطني خاصة ضعف في تركيب بعض الجمل ، وتقفيه

صدر الأبيات بأفعال تضعف من المعنى وتسبب نشازاً ونفوراً - أحياناً - .

ومن تلك الأفعال التي قفى بها الصدر : -

(انطلقت ، انبعثت ، اندلعت ، انبثقت ، نضجت ... الخ)

(١) في الشعر المعاصر : ص ١٤٤ .

(٢) عبير الشرق : ص ١٤٨ .

(٣) أغنيات الدم والسلام : ص ٦٧ .

وهي في حد ذاتها ليست معيبة ، ولكن مجيئها في موضع واحد في أكثر شعره
أضعفه وأصبحت نافرة . كقوله في قصيدة (معجزة العصر في أسوان) :

وقد مضت عزيمة الآمال وانطلقت
تحررت مصر والسودان وازدهرت
من قلب وادي الحياة الثر انطلقت
وقمة العمل الجبار اندلعت
خيرات رب السماوات العلي نضجت
فانظر أفاعيل هذا العصر كم بلغت
واليوم ها هو صرح شامخ كملت
مع الطلائل أمسال وقنوان
في موطن العرب أعمال وبرهان
بشرى لمصر ، عن الخيرات إعلان
به المعارك .. حتى امتد بنيان
بالعلم .. يسعى له بالجد انسان
حتى غزا زهرة الأفلاك سلطان
فيه الحياة .. وصوت الماء الحان (١)

فهذه سبعة أبيات من قصيدة واحدة كلها تسير على هذا الأسلوب وأسوأ من ذلك
عندما تأتي هذه (الجملة) شاذة كقوله :

(اسريل) غاصبة الأوطان ابتهجت يوم اصطرعتم .. فأنتمم للدجى مسلك (٢)

ولكنها تأتي بصورة عفوية متلاحقة مع ما بعدها وما قبلها أحياناً كقوله :

طعنت فيها معاني النور وانطفأت
الحقد أعماك (اسرائيل) فانفجرت
أرواح بريئات .. فواحنزني
بك الشرور .. وفي وحشية الأفن
أسقطت طائرة الأشجان للكفن (٣)

واجملاً فإن الشعر الوطني عند عبد السلام من أجمل وأعذب أشعاره ، لما يحمله من
معانٍ سامية ، وأفكار مضيئة ، وروح حماسية متفائلة بنصر مؤزر وخلص من قيود الذل
والهوان . وهو مجموعة قصائد ومقطوعات يغلب عليها الطابع الغنائي لما تضمنته من
ألحان عذبة شجية ، فقد تغنى الشاعر بكل ما هو جميل ؛ بالحرية ، بالتضامن
بالأمجاد ، بالوحدة العربية الاسلامية ، وتغنى بحب بلاده ورياضها وجوها الإيماني بروح
وطنية غلبة تكشف عن رهافة حسه وصدق عاطفته . ويتميز شعره بأسلوب راقٍ لا ابتذال
في أسلوبه ، ولاهبوط في أفكاره ، وماحدث في شيء قليل من نشاز وعيوب فذلك ناتج

(١) عبير الشرق : ص ١١٧ - ١٢٢ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٢٦ .

(٣) السابق : ص ١٢٤ .

عن التدفق الحماسي ، ولا يتعدى الشكل الخارجي المتمثل في الموسيقى ، أما المعنى فسام رفيع أكثره .

ويأتي كثير من شعره هذا بأسلوب مباشر تعلوه نبرة خطابية عالية يستنهض بها همم قومه ويثير فيهم النخوة العربية والقوة الإسلامية للدفاع عن الوطن بكل ما أوتوا من قوة ، ويدعو ولادة الأمور من ملك أو أمير أو رئيس إلى وحدة عربية إسلامية أساسها الرجوع إلى الشريعة السامية والمبادئ الرفيعة ، أما العاطفة والانفعال فيبدوان بدرجة كبيرة واضحة ويستمران مدى القصيدة فلا خفوت ولا هبوط .

أما الخيال والتصوير ، فقليل ، فإنما يعتمد الشاعر إلى تخير وصوغ ألفاظ قوية حماسية يعتمد على إحيائها ومعانيها وعلى كثرة الصفات والمعطوفات وهو أمر ملحوظ في شعره كله . وقد زواج الشاعر بين الواقعية والذاتية ، فقد هاجم الاستعمار ودعا إلى الرفعة ، وناصر قضايا الشعوب المهضومة ، وفي الوقت نفسه مزج مشاعره الذاتية بالأم أمته وعبر عن انطباعاته الشخصية حيال هذه القضايا - كما مر سابقاً - وكشف بذلك عن قلب عطوف حنون يحب الخير ويعطف على المستضعفين ويناصر قضاياهم . إلا أنه هنا تميز عن الوجدانية بنبرة التفاؤل والأمل بنجاح ونصر مؤزر وهذا عكس ما عهد عنه ، كما أن انصرافه إلى وطنه بكل جوارحه وروحه جعله لايهتم بالحب والغرام ولا يلتفت إلى نفسه ومرضه - إلا نادراً - وبما يراه يصور واقعاً مؤلماً يزيد ألماً فيعبر عن جروحه وآلامه جامعاً ذلك بالأم أمته . ثم استخدمه الألفاظ الخاصة بالوطن ذات الرنين والضجيج والثورة وهي تناسب المقام الشائر ، وهذا بالطبع يختلف نوعاً ما عن شعره الآخر الذي تميز بالألفاظ شفافه رقيقة ، كما يغلب عليها هنا الإيقاع العالي وإمتداد الأشرطة واتصالها والقافية التي تأتي معظمها مردفة ومطلقة .

الفصل السادس

الشعر الديني

الشعر الديني

نحاول هنا أن ننتين خصائص شعر عبد السلام حافظ الديني الذي يعبر عن علاقة خالصة بالخالق عز وجل . وهذا الجانب لا يقتصر على قصائد ومقطوعات شعره الديني ، بل يشع في شعره عامة . فهو ابن هذه البيئة ، تعلم بالمسجد النبوي ، وحفظ القرآن الكريم ، واستقى منه أفكاره ومعانيه وقيمه السامية .

يقول الشاعر : « أبدأ يومي بقراءة جزء من القرآن الكريم بحيث أستكمل مصحفاً كل شهر ٠٠ ويصبح في شهر رمضان مصحفين إذ أقرأ جزأين في اليوم ٠٠٠ » (١) .
وكان للبيئة الخاصة دورها في تربيته وتنشئته نشأة صحيحة أساسها الإسلام ومبادئه القائمة على الخلق الرفيع والإستقامة :

عبدتك يارب أرجو الثواب وأدعوك نوراً ليوم الحساب
عبدتك عن فطرة في اعتقادي وقمت الليالي بقلبي المذاب
عبدتك من كل حسي وفكري وقدست سر المعاني العجاب
عبدتك حباً تسامى بروحي لذات الجلال وأسمى التصابي (٢)

وتربى على الحياء ومقت الرذائل ، والسعي وراء الفضائل ، وقد ظهرت تلك السمات في شاعريته التي تدعو الى الخير والحق والجمال والمحبة ، فهو شخصية تفهم رسالة الفن الحقيقية وتتغنى بما أبدع الله من جمال غناءً عفيفاً :

إنني أحيا محباً للتجلي والتغني بالغيوم
إنها دنياي .. دنيا الطهر والعرفان والنور العميم
فاصفح اللهم عني وأقبل الأعذار .. تجفوني الهموم
أنت مفتاح الأمانى في ظلام طال بالجسم السقيم (٣)

ويظهر إيمانه في صبره وتحمله أعباء الألم ، فعندما ضاق ذرعاً بالألم وتكالب عليه الداء والشقاء ، ساورته نفسه في لحظة ضعف أن يتخلص منها بالانتحار ، ولكن لبقية إيمان في صدره لم يفعل وإنما اصطبر واحتسب :

(١) حكايتي مع الأدب ، جريدة المدينة (الأربعاء الاسيوعي) ٢٥ ذي القعدة ١٤١٢ هـ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١٠٨ .

(٣) الأربعون : ص ١٢٠ .

فلقد فقدت مني حياتي الباسمة
ويئست حتى من نجاتي القاتمة
ودعوت ربي في ممات عاجل
فمتى يجيء ويستيق ؟
قد كدت أرتكب الجريمة في الشباب المستضام
فأريق ماء الروح بالسّم الزعاق
وأعيد مأساة الهوى في شخصي الذاوي النحيل
لكنها الآمال قد عميت عن الصب العليل
فاستوقفتني آية التحريم في الدين العظيم
لأعيش للموت البطيء^(١)

* * *

الملاح العامة لشعره الديني :

الشعر الديني يتمثل في أمرين :

- ما خصه للجانب الديني ، - ما يلمح في بقية شعره الآخر .

ويمكن إبراز هذه الملاح في جوانب شعره المختلفة على مستوى الألفاظ والمعاني والأفكار الخاصة بالجانب الوجداني والوطني والتأملي والاجتماعي ... الخ .

١ - الألفاظ والمعاني والأفكار : التي تحمل قيماً ومفاهيم إسلامية مثل :

« الطهر ، الوفاء ، الحياء ، الصبر ، النقاء ، القداسة ، الاخلاص ، الصفاء ،
الكرامة ، الكرم ، العزة ، الاثم ، الذنوب ، الجحيم ، الوزر ، الحرية ، الإيمان ،
التوحيد ، الجنة ، الشريعة ، السجود ، الصلاة ، المصلين ... الخ . نسبح الله ،
بحول الله ، سبحانك اللهم ، الله اكبر ، ارادة الله ، جند الله ، ارض السلام ، طاعة
الله ، راية القرآن ، سلام الله ، شهادة الإسلام ، صنع ربي ، ندعو الله ، القدر ،
الملائكة ، الحق ، الموت والحياة ... الخ » .

وهذه الألفاظ والمعاني والعبارات تكثر عنده كثرة بالغة ، وهي مجموعة ألفاظ
وعبارات تأتي في سياق إسلامي وتعبّر عن وعي مسلم مدرك لقيم دينه : -

سبحانك اللهم أمنا بك يامالك الدنيا ورب أوحد
أنا يا إلهي عابد لجلالك للحق جاء به الرسول الأجد (١)
ويكشف الشاعر عن عقيدة راسخة : -
قوتي من عقيدتي في إلهي وابتهالي دوماً بحمد وشكر
لن يضام الإنسان عند إلهي ليس بعد الإيمان أرجو لأمر (٢)

وقد ورد لفظ الجلالة مرتبطاً بسياقات كثيرة تدل على تأصل الجانب الديني في
شعره ، وقد صور موقفه راضياً بقضاء الله وقدره :

قالوا : تماديت في الأخطار تركبها حتى رزئت بمن لاتحفظ العهدا
فقلت : هذا نصيبي في الحياة ومن في السعي مثلي غداً قد يدرك المجدا (٣)

٢ - يظهر الملمح الثاني في تلك المواقف التأملية في حقيقة الإنسان ، والموت
والحياة ، والقيم والمبادئ التي يدعو إليها ، والتي يصدر منها عن تصور إسلامي
صحيح ، فقد عاب الأخلاق السيئة في الناس من كذب وغش وخداع ورياء مما جعله يؤثر
العزلة وذلك في أكثر من قصيدة ، يقول عن توجهه إلى حياة زاهدة :

أنا في الحياة كراهب متطوع / عاف الدنا ورعى الإله
فعبدته وهجرت كل رغائبي / وحطمت لذاتي وقت مطالبني
وزهدت في عيشي وفي طيب المقام / وبعدت عن دنيا المنام (٤)

وكما عاب على الناس كثيراً من سلوكهم فإنه قام يهذب نفسه ليعيش حياة كريمة في
إطار إسلامي :

وإني رضيت أغص بكأسي لتسلم ذاتي من الموبقات
ويسمو الضمير بفكري ونفسي فلا ذل أو هم يوري الشكاة
ولانعرف الغدر أو مايسيء ولا نرتضي الضيم يأتي الحدود

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٢٥ .

(٢) الأربعون : ص ٣٦ وكلمة إلهي الثانية يقصد بها إله .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ٦٨ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٨٣ إلا أنه يستعير ألفاظاً ومصطلحات ليست في الإسلام كقوله : راهب) .

ولا نبتغي الجاه فيمن يموء بشـر الموائد يبغى المزيد
حياة الكرامة فيها البقاء يطول ويحلومع الذكـريات (١)

فهذه صفات يتحلى بها المسلم الحقيقي ، والشاعر يتوخاها لنفسه ، وتكثر هذه الأفكار والمعاني في شعره ، التأملية بخاصة .

٣ - بروز الجانب الديني في موضوعاته وأفكاره ، فهو وإن كان شاعراً رومانسياً حالمًا يتحدث عن الحب والغرام ، فإنه يسمو بهواه فوق الرغبات ، ويرتبط شعوره بعالم الروح لا بعالم الجسد ، وتجربته العاطفية أساسها الطهر والعفاف ، وقد عبر عن ذلك كله في شعره العاطفي مدافعاً عن حبه العذري يقول :

لي قلب فنان وروح تدين وتحيرى في الحب لوع مهجتي (٢)

ويخاطب فتاته قائلاً :

أنا لست يا حسناء ملك نوازعي وصبايتي طهر تمازج بالأمل

كما يصور نظرته للحب والمرأة في قوله :

لست ممن تناغيه حوى بلذاتها في المساء
أو يناجيه شيطانها كلما عارضته النساء
لا ولا أشـتـهي أو أرى لحطام الذي في الرداء
أو أرجى الجسوم التي حنطت في البلى بالبهاء
إنما افـتـدي دائماً في معاني الجمال المضاء (٣)

وتبرز القيمة الدينية في مراقبة الله عندما يصور لقاءً مع فتاة فيكون لقاءً عذرياً :

أيام كنا نلتقي والله فيما بيننا

كان الرقيب وعصمتي

فنخافه في الوصل نأخذ بالحذر (١)

(١) أنوار ذهبية : ص ١١٣ .

(٢) السابق : ص ٣٦ .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ٤٤ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٩٢ .

وهو شاعر حين تضيق به السبل يلجأ إلى الله :

رباه إن لم تدرك القلب القليل

وتضيء لي سبل الحياة / فمن الذي يحنوبيا ؟ (١)

وقد لعن الحب الحرام وظل يدافع عن العفة والسمو والفضيلة ، كما أنه اتخذ من المرأة رمزاً لروعة الجمال النقي ورفع مكانتها وأعلى شأنها وأهتم بخلقها ويعلمها وبحجابها . (٢)

٤ - تظهر الروح الدينية في شعره الوطني ، في تلك الإشارات إلى التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية وفي دعوته إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ، وشكواه حال الناس اليوم كقوله :

ربا الإيمان اشهدي فالناس ضلوا منهج الإيمان وارتابوا
تفانوا في متاع النفس حتى ساقهم للتيه ارهاب
تجافوا الحق بالحرية النكراء .. ياللقوم قد خابوا
فإن ذلوا فمن تفریطهم في أمرهم هاموا وماثابوا (٣)

وشعره الوطني يعبر عن حزن عميق لضياح المسلمين ببعدهم عن دينهم ، فيدعوهم إلى العودة إلى الإسلام ، ويستنهض بني قومه للرجوع إلى السلفية والتمسك بالوحدة .
كما أن فيه حنيناً وشوقاً إلى المدينة المنورة بلد النور ومهد الرسالة يتغنى بها ويعبر عن التصاقه بها كالتصاق الروح بالجسد ، إعتزازاً بمكانتها الدينية والتاريخية .

٥ - تتردد في شعره أسماء وأماكن مقدسة مثل : « المدينة المنورة ، البيت الحرام ، القبلة ، الكعبة ، طيبة ، الحرم ، المسجد النبوي ، المسجد الأقصى ، فلسطين ، خيبر ، يثرب ، حراء ، القدس الشريف ، أرض السلام ... الخ » .

وهي مما يدل على الانتماء والولاء للبيئة الإسلامية .

ثم ما استوحاه من البطولات والأمجاد الإسلامية من ماضي الأمة وشخصياتها

(١) الأعمال الشعرية : ص ٨٢ .

(٢) انظر ذلك في (مواقف ونظرات)

(٣) أغنيات الدم والسلام : ص ٢٥ .

ونماذج إنسانية رفيعة من التاريخ الإسلامي ، كالأنبياء ، والخلفاء والصحابية ، فيستمد من ذكرهم مناراً وهداية للسير على منهج إسلامي منير . وبذلك ينهل من التراث الإسلامي أروع مشاهده الإسلامية .

كما يذكر أسماء بعض المعارك والأحداث المشرفة كصور من التاريخ الإسلامي يشد بها أزر المسلمين ويحمسهم للجهاد كقوله :

وهناك في اليرموك القينا العدا صرعى وسابق فخرنا اخلاصنا
ويلون في حطين نفستك بينهم حتى جلوناهم ، وعزز شأننا (١)

هذا بالنسبة لبعض الملامح الدينية التي تشع في شعره بصورة واضحة ، وقد كانت من قبيل التمثيل - فقط - لا الحصر .

* * *

أما القصائد والمقطوعات الدينية البحتة التي خصصها للموضوعات الإسلامية ، فهي في غير حاجة للكشف عن سمتها الإسلامي إذ تبدو خصائصها الدينية في لفظها ومعناها وعباراتها وتدققها الروحي وفي مستوى الموقف الفكري .

ويمكن تقسيم شعره في ذلك الى ثلاثة أقسام :

١ - الابتهالات والتسايبح .

٢ - المدائح النبوية .

٣ - المناسبات الدينية .

١ - الابتهالات والتسايبح :

يفتتح الشاعر معظم نواوينه بقطع أو قصائد نجوى وابتهال وتسيبح بحمد ربه ، يبدو فيها متوسلاً الى الله راجياً رحمته وعونه .

وقد افتتح ديوانه « قلبي المناضل » بقطعة (رباه) ، ثم تلاه (ابتهال) .

يقول شاكياً إلى الله حالته المرضية :

رباه هذي قصة الشبِّ المصاب وثورة الألم المقيم
ألم طغى بالنفس والقلب الكئيب ، وعذب الجسم السقيم
حسبي من الآمال فني في الوجود . أمانياً تجلو الغيوم
رباه أدرك شاعراً تشتد علقته وتبكيه الغيوم
يحيا سجين العلة العظمى ، عليلاً ضل في وادي الجحيم
أنقذه . . أنقذ جسمي الواهي وأنت رجائي الباقي الرحيم
أحيا بحبك شادياً للحق والتاريخ . . للمجد العظيم (١)

ومعظم ابتهالاته تأتي من باب اللجوء الى الله ليفرج عنه آلامه ، بما يجده في ذلك من استكانة وراحة ، يفر إليها بالآمه التي تثقل كاهله ، فهو في القطعة التي عنون لها بابتهاال يبدو وقد إنخرط فيما يشبه الاستغراق الديني ، تعزيزاً للابتهاال السابق :

عبدتك يارب أرجو المثاب وأدعوك نوراً ليوم الحساب
أفكر في كونك الرحب صبا ودمعي على النحر زاد التهابي
وأحبيت فيك جميع المرائي وأعظمت رسل الهدى والكتاب (٢)
ويختتم المقطوعة بالدعاء أن يلف به :
وإني اقضي الحياة بنفس
فيارب هون ملمات دهري
ترجيك لطف القضا في شبابي
وصلني بحبك قبل المآب

ومن هنا تأتي الابتهاالات لجوء الى الله وشكوى من الحال ، وقليل ما تحمل اعترافاً بذنب أو توبة أو دموعاً من عبد نادم .

وهو في تضرعه الى الله ولجؤئه اليه يلح على عرض حالته المأساوية وآلامه النفسية والجسمية ، كقوله في ابتهاال (الى الله) :

أشكو لك الدهر أم حظي وأوهامي أم لوعة الروح أم سقمي وألامي
رباه هذي شكاة الكل يا أملي البؤس والزمن الداجي واسقامي
إني بليت بداء القلب يحرمني من متعة العيش والذكرى وأحلامي (٣)

(١) يحي وقلب والحان : ص ١٠٧ .

(٢) السابق : ص ١٠٨ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٦٠٣ .

وفي مقطوعة (فلسفة الحب والألم) يشرح مأساة حياته متمثلة في معاناتيه المرضية والعاطفية . وهذه المقطوعة مطولة من الشعر الحر ولطولها المسهب ، يعتبر كل جزء فيها مقطوعة خاصة ، وهذه أبيات ابتهاج ودعاء الى الله يعرض فيها حالته بشرح مفصل ويطلب منه العون والرحمة ، يقول فيها :

رباه هذا هيكلي .. هذا أنا
دم ولحم في دثار العاطفة
سويتني وصنعتني :
روحاً تمرد أو فؤاداً يبتهل
ومنحتني سر الحياة
وأردتني أحيا لأسرار الخلود
وها أنا الولهان في تيه الفكر
أشتاق قطرة رحمتك
وأروم صفوة نظرتك

ويقول فيها :

ومن الذي أرجوه إطفاء الغليل
وأنت منشيء من عدم
وأنت وحدك عالم السر الدفين
والحق عندك ... والحقيقة بيننا
فانقذ بنورك ظلمة السجن الوضع (١)

إن هذه الأبيات تعكس صدق الشعور المتدفق من نفسية حزينة تكاد تغرق وتريد من ينقذها من الغرق ، . ومن غير الله معيماً ونصيراً ؟ !
وهو حين يستجد بالله سبحانه ، يسأله أن يمنحه الصحة والعافية ليتم له القيام بمسئولية الأدب .

يقول في إبتهاال (ليس لي إلاك أدعو) : (١)

أنت عونى ياإلهى للتساوى بالأحاسيس الجميلة
هذه الدنيا سراب .. بل فناء دون أعمال جليلة
يا إلهى عطفك المرجو .. ترعاني بنعماء جزيلة
أن أعيش العمر بالإيمان والتقوى .. لأشدر بالفضيلة

وهكذا تأتي الابتهاالات في عرض مباشر وبأسلوب الاعتماد على شرح الحال وإرسال النفس على سجيتها ليكون مدعاة للاستجابة .

وقد افتتح الشاعر ديوانه (الأربعون) بابتهاال (الى بهائك يارب) أتبع فيه أسلوب التأمل ، وليس العرض المباشر لحالته ، فاسترجع حياته الماضية وما فيها من آمال وآلام ، فكان نصيب الآلام أكبر حيث الهجير والآهات والسحب الدكناء ، يقول :

- في موكب الأفراح .. والقلب الغريب بشوقيا
يشدو وينشر للوجود مباحج العمر الطليق
في غبطني بالعالم الموهوم .. طاف بدربيا
أملٌ ظفرت به .. يهددني مع الحسن الوريق
عبرت الي سحائب دكناء تعبت بالشعور
وتثير أهاتي على نجوى تناساها الزمن
هذي حياتي .. إن بسمت وإن عبست .. على الهجير
أمشي .. وقلبي في خفوق واصطخاب بالشجن
وتريد لي أن أجتلي ماقد يدور بكونيا
- وأردد الطرف الحيى مع الخيال الى السماء
نجواي والاهات يارباه ترفعهها الدموع
حيران في تيه المحبة أرتجي سبل السناء
فإلى متى يمتد بي سيرى بأشواك الضلوع ؟ (٢)

(١) الأربعون : ص ١١٩ .

(٢) السابق : ص ٨٠ ، ٧ .

لقد أعطت هذه الأبيات إيحاءً بحزن دفين ترجمه بطريق تأملي يتردد طرفه في السماء لتذرف عيناه الدموع في خضوع وخشوع وتضرع إلى الله . ويستغرق الشاعر في الأبيات التالية بما يشبه الهيام إلى أعلى ، إلى نبع الجلال ، إلى المزيد من عطايا الله ، فيكرر كلمة ظمأ أربع مرات متوالية :

ظمأ .. ويشعلني إلى نبع الحقيقة .. للجلال
ظمأ يسيرني ببيداء الحياة بلا انتهاء
ظمأ بروحي .. بالمشاعر .. بالخواطر .. بالخيال
ظمأ إليك .. إلى علاك .. إلى بهاك .. إلى الرجاء

ولكنه أخيراً يصل به الاستغراق إلى تمني القرب من الله :

خذ للمحبة في رحابك مهجتي ومدى الهمم
ليذوب قلبي في سناك .. ولا يرى إلا الجميل (١)

ومما سبق يتضح أن الشاعر يبني إبتهالاته على أساس من الشكوى وطلب العون ، وهي بمثابة لجوء إلى الله بهومومه عند ضيقه وهمه طالباً الطمأنينة في كنفه ، وكما قال تعالى : ﴿ اَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الآية (٢) .

* * *

٢ - المدائح النبوية :

نظم الشاعر - فيما هو بين يدي البحث من أعماله ، أربع قصائد في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم وهن : (نبي الهدى) (٣) ، (الثائر الأعظم) (٤) ، (أهدى السلام إلى الهادي) (٥) ، (صلوات الأئم والأمل) (٦) .

(١) الأريعون : ص ٨ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : (٢٨) .

(٣) عبير الشرق : ص ٢٨ .

(٤) (صواريخ ضد الظلم والاستعمار) ، الأعمال الشعرية : ص ٢٤٦ .

(٥) (أضواء ونغم) ، الأعمال الشعرية : ص ٣٥٠ .

(٦) (الفجر الراقص) ، الأعمال الشعرية : ص ٥١٧ .

وتتفرق بعض الأبيات في مدح الرسول عليه السلام في جوانب أخرى من شعره كالوطنيات .

ويجدر الوقوف أولاً عند أسماء القصائد فد (نبي الهدى) و (أهدى السلام الى الهادي) ألفاظ توحى بجو إيماني يناسب المقام ، فهو يجد في ذكره عليه السلام هداية يقتدى بها وفي أهدى السلام الى الهادي بدأ بكلمة تطابق الهداية ليحصل في العنوان نوع من الجناس والمطابقة .

أما (الثائر الأعظم) و (صلوات الأكم والأمل) ففيهما ألفاظ لاتناسب المقام بعكس السابقتين ، فلفظ (الثائر) لاينبغي للمسلم أن يطلقها على الرسول ، وقد قصد بها الجهاد فلو وصفه بالمجاهد أو القائد لكان أفضل .

وقد كرر اللفظة عدة مرات في القصيدة ، وكلها مما لا يحسن التعبير به :

(أيام ثار محمد وقبيله .. ومحمد يدعو بثورته .. هذي شريعة ثورة الهادي ..

الخ)

ولعله تأثر في ذلك بموجة الثورات السياسية التي ألمت ببعض أقطار العالم العربي في فترة ماضية .

وفي (صلوات الأكم والامل) أضاف صلوات الى كلمتي الأكم والأمل ، وأراد بها دعاء أو دعوات .

وقد يكون ذهب الى ذلك بنية الاحتساب والتضرع الى الله بالآمه وآماله متوسلاً اليه بهما . والعنوان وحده يعبر عن شيء من الصراع داخل الشاعر ، فهو يحاول بدايةً ان يبتعد عن حديث الذات ويتفرغ للحديث عن الرسول عليه السلام يقول :

دعني وقلبي وأحلامي ووجداني أعيذك اليوم من أسباب أحزاني

إلا أنه لا يستقيم له ذلك إذ ما تلث ان تغلبه آلامه فيفصح عنها شاكياً :

منذ الطفولة والأشواك في طريقي تدمى خطاي وتأتيني بعدوان

حتى كبرت وزاد القلب مضطربي أواه من علة دهياء تلحاني

ويستمر في شرح حاله في ثمانية أبيات الى أن يصل الى مدح الرسول عليه السلام :

وحسبي اليوم حب المصطفى ملأت أسراره كل احساسى ووجداني

ولعله كان في ذلك يتابع طرائق الأقدمين في الاستهلال .

وقد تحدث الشاعر عن قضايا كبرى في هذا الجانب مثل :

القدوة برسول الله ﷺ ، ذكر صفاته وأعماله وأمجاد أمته ، العودة الى السلفية

وأخذ العبر ، الحنين الى المدينة المنورة دار النور ومبعث الرسالة .

ويهذه القضايا خلط مدائح بالحديث الوطني ، وأخذ من ذكرى الرسول ﷺ وسيرته

دروساً مستفادة للسير على هداها . كما أنه خلط مدائح بالشكوى الذاتية ، فهو وقد

تلبسته الهموم وتراكت عليه ليتخذ من هذه المناسبة فرصة للشكوى .

وقد ركز الشاعر على ليلة الميلاد ، فجعلها منطلقاً لحديثه .

يقول في (نبي الهدى) :-

لمن يهتدي دربه بالضرام	فميلادك اليوم ذكرى وفاء
وتحرير مقدسنا باحتدام	وان نستثير بها في الجهاد
نقود ونحامي ديار السلام	فترقى الى مستوى المؤمنين
اذا ناضلوا رغبوا في الحمام	ونستذكر الاولين الأباة
به نهتدي في تقى واحترام (١)	وأنت رسول السلام .. منار

وقوله في (الثائر الأعظم) مكرراً جملة [ياليلة الميلاد] :

عودي علينا بالمحبة والوئام	- ياليلة الميلاد عودي بالسلام
فيما مضى للخير أو في المقبل	- ياليلة الميلاد أنت منارنا
لتبديدي الاجرام .. تسقين العدم	- ياليلة الميلاد ثوري بالنقم
عودي علينا بالكرامة والوداد	- ياليلة الميلاد عودي بالجهاد
للهضة الكبرى وتحقيق السلام (٢)	- ياليلة الميلاد أنت منارنا

ومن هذه الأبيات تتضح نظرة الشاعر لهذه الليلة التي يجعل منها مناراً وسلاحاً يقتدى

به وثورة ومثاراً للهضة مسيرتنا نحو السلام أو الجهاد ، وهي من المبتدعات مع أنه لم

(١) عبير الشرق : ص ٣٤ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٢٤٦ - ٢٥٢ .

يحياها ، وإنما كان ذلك مجرد ذكر ، ولعله أراد فضل هذه الليلة التي ولد فيها خير البشرية .

واشتملت قصائده هذه على ذكر شمائله ﷺ وخلقته وخلقته وكريم خصاله ، فقد وصفه بأنه آية الزمان خلقاً وخلقاً يقول :

أعدده الله إنساناً وكملاً في الخلق والخلق السامي وتبيان^(١)

وأشاد بخلقه المحمود الذي غمر العالم وبدد بعدله دار الكفر :

أحييت بالخلق المحمود عالماً والمرء يبقى بغير الخلق في عدم
بددت بالعدل دوراً لاقوام لها من شر حكامها ٠٠ من فضله الرحم^(٢)

كما كانت شيمته الصفح بالرغم من صبره على أذى الكفار :

وكم قد عنيت ونقت الأذى ومازلت تدعو بغير انتقام
وشيمتك الصفح والصبر حتى رأى قومك الحق باذي الذمام^(٣)

ثم نوه بأعماله الخالدة في حربه الكفر ، وتحطيم الأصنام ، ونشر العدل ، وأقام
الجهاد ، وثبت الدين على أسس من الإيمان ، يقول :

فالجهل والأصنام اغفت تندثر والظلم والطغيان تكبو في الأثر
وغدا كتاب الله شرعه دينه للعدل والإيمان في فلك البشر
وكرامة لأفضل الأتقى وفضيلة ماقد أراد لنا القدر
يهدي العوالم بالحقيقة والعبير^(٤)

ومن الأمور التي تحدث عنها، حالة المسلمين بين الأمس واليوم ، ليعقد موازنة بين
الحالين فكان المسلمون في قوة بسبب تمسكهم بالدين القويم ، أما اليوم فهم في ضعف
بسبب تفريطهم في أمرهم وعدم تمسكهم بالدين القويم ، وجريهم وراء مغريات العصر
يقول في ذلك :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥١٩ .

(٢) السابق : ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٣) عبير الشرق : ص ٣٠ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٢٤٨ .

ومرت عهود طوال علينا
وأغوت أساليب عصر الفضاء
نرى الناس تاهوا وضلوا الخطأ
فما فيهم من معان ترجى
ضياع يعيشونه في ضياع
والا فكيف كثرنا وضعنا
خسرنا فلسطين ٠٠ والعرب تلغو
ويهدر فينا العدو سلاحاً

ودار الزمان بهول الظلام
وأغررت بنا في مسار الحرام
وأنساهم الروح غزو اللئام
وحتى غدوا في متاه الزحام
بلا وعي قلب ٠٠ بليل السقام
وعدنا عن السعي بين النيام
وتشكو وترجو بغير اعتصام
وتضيع علم ٠٠ بكل اهتمام (١)

وبعد هذا الحديث عن تخاذل المسلمين وضعفهم يدعو الى السلفية والاقْتداء
برسول الله ﷺ :

فهلأ وعينا وعدنا اليك
الى ديننا الحق نقوى ونغدو
نجدد عهد النبي الوضيء
فترقى الى مستوى المؤمنين
ونستذكر الأولين الأباة
وأنت رسول السلام ٠٠ منار

رسول الهدى وخير امام
أحق بأن نعتلى في المقام
وتنظمننا وحدة للأمام
نقود ونحمي ديار السلام
اذا ناضلوا رغبوا في الحمام (٢)
به نهتدي في تقى واحترام

هذه توجهات شاعر مسلم يدعو الى السير على هدى رسول البشرية لتخرج من الذل

الذي ترزح تحته .

والمدينة المنورة بلد الرسول الكريم ومبعث الرسالة ، أخذت جانباً من شعره وقد عبر
عن التصاقه بها وتحدث عن فضلها ومكانتها الدينية والتاريخية (٣) .

ويظهر الشاعر محباً للرسول ولمدينته حباً عظيماً . يقول في قصيدة (أهدى السلام

الى الهادى) : -

(١) (٢) عبير الشرق : ص ٢١ - ٢٤ .

(٢) انظر ذلك في الشعر الوطني .

لكن صحوت وفي الاضلاع عاطفة
والروح عن شاطئ الاثام قد نزحت
وقلت : يانفس عدنا للجلال هنا
وفي ظلُّه النور بالأرض التي حبلت
أرض بها السلف الامجاد قد عملوا
ياطيبة القدر الميمون دمت لنا
- أزكى سلامي على دارٍ به شرفت

تهفو الى الطهر والاقداص والنعم
ترجو رحاب الهدى بالفكر والندم
حيث التكامل بالاعزاز والشمم
بنا ، وجئنا لها في خيرها العمم
بالحق .. للدين والدنيا وللأمم
بيسمة الدهر والأمال والنعم
قلبي بها كلف .. للغير في صمم (١)

إنها صحوة ضمير ورجوع عن الغفلة نزوعاً الى رحاب الهدى والطهر والأقداص .

وقد ألف الشاعر مؤلفاً كبيراً أسماه (سيرة نبي الهدى والرحمة) ، وقد أهدى هذا المؤلف للنبي ﷺ مقدماً اليه مجموعة أبيات يهدي فيها مؤلفه ويرجوه شفاعته عند الله . وهذا دليل على عمق محبة رسول الله ﷺ في قلبه .

هذه أهم الأفكار التي وردت في مدائحه ، وقد بناها على نظام القصيد عدا (التائر الأعظم) جعلها على السباعي من الكامل ، وقد نظم (نبي الهدى) على المتقارب أما (أهدي السلام الى الهادي) و (صلوات الأئم والأمل) فمن البسيط ، الأولى بقافية الميم والثانية النون . و (أهدى السلام الى الهادي) معارضة لبردة البوصيري ونهج البردة لشوقي في وزنهما وقافيتها وموضوعها .

وعادة ماينهي مدائحه بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ ، وهو مايتناسب مع مضمون القصائد .

* * *

٣ - المناسبات الدينية :

وهي قصيدتان (حجيج الله) و (شهر الفضائل) ، وقد اقتضى البحث أن تضم اليهما مطولتان تأخذان السمّت الديني وهما :

(أمجاد السماء) و (الجزيرة العربية) .

وقد لا يطلق عليهما مناسبات ولكن التوزيع اقتضى أن تظل في المناسبات .
وسوف يقف البحث عند هذه المناسبات ودراسة كل واحدة على حدة لخصوصية
الفكرة في كل .

(حجيج الله) : مقطوعة تقوم على الترحيب بالحجيج القادمين من الفجاج البعيدة
الى أسمى البقاع لأداء فريضة الحج تاركين ديارهم ، مقبلين الى مكة يرجون المغفرة
والقبول . وقد اهتم الشاعر بذلك ولم يهتم بمظاهر الحج وشعائره ، ولا بالمعاني الروحية
التي تتجلى في موسم الحج ، وكرر كلمة (أهلاً) عدة مرات يقول في مقدمتها :

أهلاً حجيج البيت في اسمى وطن
مهدي الهداية والنبوة والقسم
أهلاً وفود الله يدفعها الزمن
للكعبة الغراء في أرض الحرم (١)

وعبر بطريقة مبسطة عن منفعة بارزة في هذا الموسم وهي دلالة التعارف على صعيد
عرفات ، في أخوة في الدين والمساواة :

أهلاً بكم تتجمعون لتعبدوا
تتعارفون بإخوة الدين الأبى (٢)

وختم قصيدته بالدعاء للحجاج في قوله :

طوبى لكم يا قادمين الى الحرم
ولكم سلام الله من أرض الحرم
يرضى عليكم عائد من الحرم
في الحل والترحال يا أهل الحرم

ويلاحظ هنا تكرار كلمة (الحرم) ثلاث مرات متتاليات ، ولعل ذلك لما لمثل هذه الكلمة
من وقع في النفس ، لما تحمله من معانٍ محببة ، بل إنها لتكاد تتلخص فيها أو تقوم على
أساس منها فكرة القصيدة .

(١) أنوار ذمبية : ص ٧٣ .

(٢) السابق : ص ٧٤ .

وعموماً فالمقطوعة نظمت بأسلوب خطابي مباشر ولغة تخلو من التصوير ، أما جملة (يدفعها الزمن) في البيت الثاني ، فربما أراد بها دورة الزمن في مجيء الحج مرة كل عام فيدفع ذلك الحجيج للقدوم لأداء الفريضة . وقد علق باحث على ذلك بقوله :

« وأحسب أن كلمة الزمن في الشطر الثالث لو غيرها الشاعر بقوله مثلاً . . يدفعها الأمل لكان أفضل » (١) . وقد عبر الشاعر في بيت عن الجو الروحي الذي يتحلى به الحرم المكي بقوله :

جتتم تلبون النداء الى الحرم

تتمتعون بجوه الهانئ النضر (٢)

وقد يتوهم منه جو الطقس ، ومن المعروف ما للجو الطقسني في مكة وخاصة الحرم من حرارة ، فضلاً عن ازدحام الناس في موسم الحج ، والمقصود هنا روحانية الموقع .

والقطعة من مربع الكامل : أ ب أ ب وهي من أربعة عشر بيتاً عدا المقطع الأخير الذي جعله أ أ أ أ .

* * *

(شهر الفضائل)

كتب لها مقدمة نثرية تقول : « كتبت هذه الأبيات - تقديماً لحلقات يومية إذاعية طيلة شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٩ هـ » (٣) .

وفيها يتحدث عن رمضان وفضائله ؛ الصيام والقيام والتسابيح . وهو شهر الرحمة ، تصفد فيه الشياطين وتفتح فيه أبواب الخير .

وهي في مبناها العام لاتقوم على لغة شاعرية ولاتحمل صوراً فنية ، وماهي الا نظم فيه شيء من التكلف كقوله :

(١) خالد محمد غازي ، المجلة العربية : ص ٧٩ .

(٢) أنوار ذهبية : ص ٧٣ .

(٣) الأربعون : ص ١٠٦ .

نحييه تسبيحاً وتمجيداً لخالقنا
عزت له الاسماء والأفعال سبحانه
سبحانه المنان راحمنا ورازقنا
عظمت صفات جلاله .. رياه سبحانه

ويقول في خاتمتها :

نستذكر الأمجاد من تاريخنا الزاهر
وبطولة السلف العظيم وجهده الباني
محمد الهادي امام مسارنا الطاهر
للعز والاسعاد حتى العالم الثاني

* * *

(أمجاد السماء)

وهي شبيهة بالملحمة الإسلامية ، كملحمة أحمد محرم وأحمد قنديل ، وهناك ملحمة لمحمد العيد الخطراوي اسمها (أمجاد الرياض) في آل سعود . وقد أشار عبد الله الحامد الى هذه الملاحم وغيرها ^(١) ولم يشر الى هذه ، وهي تاريخية دينية في اثنتين ومائة من الأبيات تقريباً من الكامل على المربع أ ب أ ب وتتكون من تسعة وأربعين مقطعاً رباعياً سار فيها بانتظام وآخر مقطع فيها جعله من مجزوء الكامل بستة أبيات .
وقد اقتصر فيها على الأحداث المهمة منذ بدء الخليقة وحتى بعثة محمد ﷺ مرتباً الأحداث والوقائع ترتيباً تاريخياً . وقسمها أربعة أقسام متماسكة مترابطة المعاني والأفكار .

القسم الأول : جعله للحديث عن بدء الخلق حيث شاعت قدرة الله أن يخلق كوناً فخلق السموات وزانها بالاجرام والشهب والافلاك ، ومهد الأرض ، ونظم شأنها ، ورفع السماء بلا عمد ، وأرسى الجبال ، وملا البحار ، وفجر الأنهار ، وأخصب الأرض ، وخلق الجان والإنسان والحيوان والنبات :

(١) اتجاهات الشعر : ص ١٦١ - ١٦٤ .

وأراد جل جلاله خلقاً آخر اذ يعمر الفلك الصغير .. ليسعدوا
حتى يرى القدوس ماصنع البشر في ارضهم يتعايشون .. ليعبدوا (١)
ثم استقى معلوماته من سورة البقرة عن آدم وحواء والملائكة وابليس والعصيان وخروج
آدم من الجنة ... الخ .

ويظهر الشاعر متأثراً بخروجهما من الجنة حيث أورثا ابن آدم الآلام والدموع :-

ابناؤه وبنوهم .. جمع البشر يحيون في سعي الحياة وهمها
دمع وآلام يلوب بها العمر ثمن لدنيا ناورطة سقمها (٢)

وهنا يلمح الشاعر بنفسه وحياة الشقاء التي عاشها .

القسم الثاني : خصصه للنبي عيسى عليه السلام ، ولادته من غير أب ، كلامه في المهد ،
بره بوالدته ، وانه ليس ابن الله ... الخ . استقاها من سورة مريم من الآية
(٢٩) الى (٣٥) وختم هذا القسم بان الله أرسل الرسل مبشرين ومنذرين
وهادين الى الدين القويم وأن عيسى بشر برسول بعده اسمه أحمد .

القسم الثالث : خصه بالرسول ﷺ ؛ ولادته ، حياته ... الخ .

وتشف الأبيات في هذا القسم عن شعور فياض بحب المصطفى عليه السلام ، وتعلقه
به . يقول في شأن ولادته عليه السلام :-

باسم الإله وعزه ولد الهدى هذا النبي محمد هادي الأمم
وشعاب مكة ضوأت بين الملا وتألقت آفاقها .. وزها الحرم (٣)

وقد تحدث عن سيرته عليه السلام في تعبدته وهجرته وجهاده وأفعاله بشكل
مختصر .

ويتسم هذا القسم باللحاحات الإسلامية المضيئة ، في تلك العبارات التي تحمل قيماً
ومفاهيم إسلامية ، كما تظهر فيه الموعظة الدينية المستوحاة من وعيه الإسلامي بأن
الإنسان لن يفوز بالجنة ما لم يسر على النهج القويم :

(١) أنوار ذهبية : ص ٦١ .

(٢) السابق نفسه : ص ٦٤ .

(٣) السابق : ص ٦٨ .

فمن اهتدى وتطامنت أسرارها للظهر والإيمان عبر حياته
فقد ارتدى نعماً . . بها افكاره تسمو لنور الرب في جناته (١)

أما القسم الأخير : فهو أقصر قسم ، اقتصر فيه على التوجه الى الله يدعوه
الرحمة لبني البشر ، وهدايتهم الى الخير والصلاح وأن يجمع شمل المسلمين ويوحد
صفوفهم :

يارب هب للمسلمين ثباتهم وأنصرهم . . فالليل طال عليهم
وأبعث لهم من يستثير جهادهم للدين والدنيا ويعمر فيهم (٢)

ونتيجة لطول القطعة فقد شاب بعضها ضعف في الصياغة كقوله :

رفع السماء بلا عماد أو قمم هي قدرة هي قمة وبلا عجب

وقوله : ملأ البحار واخصب الأرض التي

أجرى عليها الكائنات كموطن

النبت والحيوان فيه بمهجة (٣)

ويقول متحدثاً عن ايليس اللعين : -

يحيا الى اجل يعيث مع اللهب ويضل من غير التوافه لم يصد (٤)

كما تأتي قوافيه متكررة محشوة على الأبيات في مقاطع كثيرة كقوله مثلاً :

ورأى النبي مرارة بجهاده لقريش مكة - والدعاء لدينه

قصد المدينة هجرة لجهاده تستقبل الانصار فكرة دينه (٥)

فضلاً عن بعض النشاز الموسيقي على سهولتها كقوله :

وقوله : وتسلسل القرآن يدعو للأخرة بشريعة تطوى عن الناس الكرب

وتضافرت للدعوة الكبرى الهمم وتهيات للدين الالهي السبل (٦)

ويميل الشاعر مرة للاطناب ومرة للاختصار وتكاد تخلو من المجاز والتصوير .

وقد استقى معلوماته من آيات كثيرة ، واعتمد في صياغتها ومبناها عليها .

(١) أنوار ذهبية : ص ٧١ .

(٢) السابق نفسه : الصفحة نفسها .

(٣) السابق : ص ٦٠ .

(٤) السابق : ص ٦٢ .

(٥) السابق : ص ٦٩ .

(٦) السابق الصفحة نفسها .

(الجزيرة العربية) :-

وهي مطولة تشبه الملحمة أيضاً ، وقد بدأها بمقدمة غزلية خرج منها الى أن حبه أصبح للوطن ولم يعد محصوراً بالحبيب :

فالحب أكبر من أن يستظل بها أويستذل محبوب ومقتحم
الحب أبقى لأوطاني ومملكتي يذكوبها المشعل الداني بلانقم (١)

وقد أشاد بالجزيرة العربية وماضيها التاريخي العريق العربي والإسلامي ، وتذكر الأقاليم الغابرة والأنبياء والرسل ، ذكر منهم ابراهيم وموسى وعيسى وصالح ومحمد عليهم السلام ، وتحدث عن نشر الإسلام وعن القرآن واللغة العربية :

لهذه قد دعا القرآن وانتظمت آياته .. معجزات الوحي والقلم
ام اللغات وأنوار البيان بها فالضاد أجمل حرف عابق النسم (٢)

وعرج على الصحابة الذين ساندوا الرسول وقاموا بنشر الدين وإعلاء كلمته وذكر منهم :

أبطالنا من (علي) القدر أو (عمر) حتى (بعثمان) و (الصديق) في القدم
(ابن الوليد) و (حسان) ورففته من الصحابة قد فازوا بدينهم (٣)

ثم انتقل الى ميدان العلم والأدب والطب والصناعات التي برع فيها المسلمون الأوائل ، وأشار الى تخاذل المسلمين اليوم بسبب بعدهم عن الدين الصحيح بحيث أتيج للملحدين والدساسين المجال للنيل من الإسلام :

أحرى بنا ان نعيد الأمس تذكرة بالوعي يوم انطلقنا سادة الامم (٤)

ويعود الشاعر في آخر القصيدة الى ماضي الجزيرة وأمجادها يتخذ منها نبراساً للاقتداء به .

(١) عبير الشرق : ص ١٤ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٩ .

(٣) السابق : ص ٢١ .

(٤) السابق : ص ٢٤ .

والقصيدة من بحر البسيط بقافية الميم ، معارضة للبردة ، تتكون من سبعة وسبعين بيتاً ختمها بما بدأ به ولكن على عكس الشطرين . وتتسم بتسلسل الأفكار برغم أنه لم يقسمها الى أقسام مثل (أمجاد السماء) وإنما رتبها ترتيباً منطقياً يدل على اتزان وتركيز .

وحاول فيها أن يستنهض الأمة بطريقة جميلة وألفاظ محببة كقوله (أخرى بنا أن نعيد الامس .. حق علينا نعيد الماضيات .. جزيرة العرب جاعتنا بيقتلتها ... وسوف نقضي على صهيون عزمها ...)

ولغة القصيدة بسيطة واضحة المعاني قوية البناء والصيغة .

استقى بعض الأفكار من معنى قرآني كقوله :

عدالة تشمل الاجناس ما اختلفت تضمهم راية الإيمان بالذمم^(١)

وأصاب بعض أبياتها عسر في الرصف بسبب حرصه على تنويع قوافي الصدر .
وأصابها نشاز موسيقي - في بعضها - أيضاً .

وهناك بعض الرباعيات التي تحمل سمة الحديث عن الله وخلقه وقدرته في الخلق والقبض وتتحدث عن الدين الحنيف وحدوده وعن القرآن الكريم ودستوره ... وهي مجموعة في رباعيات (الشاعر والحياة) (٢) .

* * *

خصائص ومميزات شعره الديني :

لقد ظهر - مما سبق - أن الروح الدينية تطبع معظم شعره متمثلة في تلك الألفاظ والعبارات والمعاني السامية التي تكشف عن شخصية إسلامية ، وظهر من شعره جزء خاص يحمل سمياً دينياً له خصائصه ومواقفه الفكرية والدينية ، وهو ما اقيمت عليه الدراسة ، وقسم الى أقسام ثلاثة ، الابتهالات والتسابيح ، المدائح النبوية ، المناسبات

(١) عبير الشرق : ص ٢٢ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٢٤ - ٥٣٠ .

الدينية . وقد لوحظ أن معظم شعره هذا تقليدي متبع ليس فيه ابداع ، ولكنه يتدفق من تصور إسلامي ، كما يحصر الشاعر نفسه في إطار المناسبة ولايكاد ينسلخ عنها كحديثه عن ذاته وشكواه من عذابه في تلك الابتهالات التي هي بمثابة اللجوء الى خير من تطمئن عنده القلوب رغبة في رحمته وعطفه وطلب جناته :

في جنة الخلد . . والآمال مائة ياعزه ذاك من يوم وسلطان (١)

استقى الشاعر أكثر معلوماته وأفكاره من معاني الكتاب الكريم ، كما اتخذ من التاريخ الإسلامي وصوره وبطولات أمجاده دروساً مستفادة للسير على هداها ، ودعا الى السلفية ، والقذوة الحسنة في رسول الله ﷺ .

ويغلب على شعره الديني طابع التفاؤل والرضا بأحواله إطمئناناً في كنف الله تعالى كما أن نظرتة في ماضي الأمة وحاضرها ، أعطته الأمل والتفاؤل بغدٍ مشرقٍ وبتخطي الصعاب للبرء من الجراح والقيود التي يرزح تحتها المسلمون وذلك حين الرجوع الى الدين الحق والسنة الحسنة .

وهذه السمات الدينية التي تهيمن على أفكاره ليست غريبة على شاعر من بيئة إسلامية ، يعيش في مجتمع له رسالة سامية فليبيئة هذه أثرها في توجهاته ، مما أوجب عليه أن ينهض برسالة الإسلام - وهو الشاعر - لأنه مسلم أولاً ، ولأنه يعيش في مجتمع مسلم ثانياً .

مأخذ :

لقد اتضح من هذا الفصل هيمنة الروح الدينية على شعر عبد السلام مما كشف عن سلوك شخصية إسلامية لها أفكارها المستمدة من الدين .

وهنا نقف عند بضعة أمور تتعلق بالجانب العقدي عند الشاعر الذي خرج في بعضها عن التصور الصحيح للإسلام وخالف بها سلوكه السابق ، وليست في مجال الشعر الديني البحت وإنما هي في أنحاء عديدة من شعره ، وقد أضيفت في هذا الفصل لعلاقتها بالجانب الديني .

فقد وقف الشاعر من القدر موقفاً متأرجحاً بين الرضا والسخط ، فبينما هو حليم

(١) الأعمال الشعرية : ص ٥٢٢ .

عنده - عادل : « ٠٠٠ يا أيها القدر الحليم » ، « وأمال في القدر العادل » فهو
- في أحيان - مستبد ، جحود ، متجهم ، كقوله :

أوأه من كيد الزمان وغدره وتجهم الأقدار للصب الرشيد (١)

فنسبة الكيد الى الزمان والتجهم الى الأقدار غير صحيحة ، لأن النبي ﷺ قال :
« لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » وفي الحديث القدسي : « يؤذيني ابن آدم يسب
الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار » (٢) .

وقوله : أوأه من صنع المقادير الخبيثة بالوجود (٣)

فالشاعر يتأوه من صنع المقادير التي وصفها بالخبت ، ولا يوجد في الوجود صانع
الا الله ، وهذا سلوك بعض الفرق الضالة . ويطلق الشاعر على القدر أوصافاً أخرى
كقوله : (الحظ يلعب) (الحظ الضرير) (الحظ أعمى) (قدر تعامى) (يا قدر
لا تستبد ونحن في كفيك ٠٠٠)

هذا التذمر والسخط من القدر إنما أساسه اليأس الذي تلمسناه في حديثه الذاتي
- خاصة - وهو الذي جعله يهاجم القدر وكأنه شخص أذنب في حقه :

يا قدرى أصبحت في حيرة من أمر نفسي والذى عاتيه
يا قدرى ساقيتني في الصبا مر الكؤوس بكفك الحانيه
يا قدرى هدهدنتني للأسى وتركتني أشقى باحلامييه
ويشتد به اليأس :-

فال فجر مالاحت بوارقه الا بشارات الردى الكاويه
في صبحي الدا جي وقد بترت مع الربيع العذب اوتاريه
لا الناي يشجيني وماعزفه الا صدى البؤس بأنغاميه (٤)

وهذا اليأس مما لا يتفق مع الإيمان الكامل ، يقول تعالى :-

(١) تلميذتي : ص ٩٠ .

(٢) حديثان صحيحان أخرجهما مسلم .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ١٢٤ .

(٤) سمراء : ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وانظر الأعمال الشعرية : ص ٩٨ وما بعدها .

﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢)

وقد أدى به هذا اليأس القاتل الى فكرة الانتحار، ولكن لبقية إيمان في قلبه لم يفعل ، وإنما هو حديث عن خطرة نفس لحظة ضعفها .

ويعود الشاعر بعد هذه الثورة والسخط الى حالة من الاستسلام يصل به الى عجز تام دون محاولة لتغيير الوضع الكائن ، يقول :

ومانحن الا بدنيا الفناء

نساق على رغننا

ونمشي كعمي وصم نروم النهاية (٣)

وقوله :

واتا نعيش على مسرح في جواء بعيدة

نسير ونمضي نمثل قصة دنيا فقيدة

كأنا أجيرون نسعى لغير الأمانى المشيدة

ومانحن الا بأيدي القضاء طيوفاً شريدة

يحوك لنا غير مانرتدي في حياة زهيدة (٤)

وهذا من مبادئ الجبرية التي تقول : إن العبد مجبور على أفعاله كالسعفة تحركها الريح ، ليس له إختيار أو مشيئة (٥) .

وهذا مخالف للتصور الإسلامي الصحيح الذي يقول : إن للعبد مشيئة تابعة لمشيئة الله .

ولكن الشاعر - في أحيان كثيرة - كان يحاول الصمود والتحدي والمقاومة للتغلب

(١) سورة الحجر ، الآية (٥٦) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ١١٩ .

(٤) تلمذتي : ص ٥٧ .

(٥) الشيخ حافظ حكيم ، معارج القبول بتصريف : ص ٢٧٥ .

على الآلام وتغيير الوضع المتساوي (١) .

ويبدو الشاعر متأثراً بسلوك الصوفية ، وقد علقت الباحثة إباحه على ذكر ليلة الميلاد في مدائحه النبوية ، بان ذلك من المبتدعات مع أنه لم يحيها - حقيقة - وإنما كان ذلك مجرد ذكر لفضل هذه الليلة . وتأثره بالصوفية يتضح في تدرجه وارتقائه بالحب ، من حب الطبيعة الى حب الجمال الى محبة صانع الجمال ، وهو مبدأ صوفي فهم : « يرون الجمال في الطبيعة والمخلوقات دليلاً هادياً الى جمال الله تعالى ، والجمال لديهم وسيلة سمو الروح واهدائها الى المعاني الخيرة المطلقة والمبادئ السامية » (٢) .

وكان يمكن إغفال هذا كتجربة فنية ليس لها دلالة دينية ، الا أن هناك كلاماً بلسان الشاعر قد يؤكد ميله الى الصوفية ، كالمبالغة في التقشف ، يقول :

« ... كنت قد اتجهت الى أسلوب حياة التقشف .. فقد أطلت شعري على كتفي
ولبست من الثياب الداخلية - قميص صليتي - وهو ما يعرف في مصر بالدمور ..
وأصبحت لا أكل الا صنفاً واحداً من الطعام في كل وجبة .. » (٣) .

وهذا التقشف الزائد عن الحد من سلوك الصوفية ، وهو يخالف الإسلام الذي يدعو الى التوسط والاعتدال في جميع الأمور . وإن كانت تلك مرحلة بداية حياته كلون من الانطواء والوحدة على النفس .

أما بالنسبة لموضوع العبودية ، فقد تعدى الشاعر فيها بألفاظ ذات دلالات خطيرة تمس العقيدة ، والانتقاد هنا على مجرد الألفاظ لاغير ، يقول معبراً عن حبه للجمال :

أهوى الجمال عبادة .. يهفوله

قلبي .. ليهمني ويصدق بالغلزل (٤)

(١) انظر في ذلك (حديث الذات) .

(٢) ماهر حسن فهمي ، تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج ، ص ٧٩ . وقد استقى المعلومة من (الحياة العاطفية)

محمد غنيمي هلال : ص ٥ .

(٣) حكايتي مع الادب ، جريدة المدينة المنورة (الاربعاء الاسبوعي) ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤١٢ هـ .

(٤) أنوار ذهبية : ص ٣٧ .

ويقول :

تأريخ (أخرى) عانقت في الخيال وتألهمت في القلب باهرة الجمال (١)

وقوله :

بكيت مناي وما أعبد ومن قد تولى بنور الأمل (٢)

فالألوهية والعبادة خاصة بالله تعالى ليست لغيره ، ومثل هذا مما لا يمكن حمله محملاً آخرًا ، فهو لا يتفق مع الإيمان ، ونذكر هنا قول الله تعالى :

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ سَمُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣٦﴾)

وحقيقة إن هذه الأمور التي أخذت على الشاعر ، لا تكثر في شعره ، بل قد تنحصر في الأمثلة الواردة ، ولقد كان من الأمانة العلمية بيانها ، وإن أكثرها مأخوذ من دواوينه القديمة التي نظمها في مرحلة الشباب وفي فترة شدة المعاناة العاطفية والمرضية التي ابتلى بها وجعلت منه إنساناً متمرداً ، وخاصة قصته (سمراء) و (تلميذتي) فهما قلباً وقالباً تتبعان أسلوب بعض المهجريين وعاداتهم في النظم واستخدامهم لمثل هذه الألفاظ والمعاني ، ويبدو الشاعر متأثراً بهم لكثرة إطلاعه على أعمالهم وأعمال الرومانتيكين عامة ، وأكبر الظن أنها عند الشاعر ليست مذهباً فكرياً عقائدياً ، إنما هي خطرات نفس .

الا أنه كان على الشاعر وهو ينقي شعره وينقحه أن يحذف هذه الأمور ، لأنها لاتضيف شيئاً وليس فيها ما يجعله يبقيها ويتركها على علاتها ، ولا يحق له أن يخرج بشاعريته عن حدود التصور الإسلامي الصحيح .

(١) تلميذتي : ص ٤٥ .

(٢) السابق : ص ٨٨ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات (٢٢٤ - ٢٢٦) .

الفصل السابع

القصة الشعرية والمسرحية الشعرية

القصة الشعرية والمسرحية الشعرية

لم يكن من اهتمام البحث الدراسة المباشرة لفنيات القصة الشعرية والمسرحية الشعرية في أدب عبد السلام ، الا ما تكشفه دراسة موضوعات شعره من أسلوبه فيهما ، وقد لوحظ ثمة علاقة بين موضوعات شعره وبين أفكار قصصه ومسرحياته ، والتي ترتبط بملايسات حياته . فهذه القصص والمسرحيات ماهي الا وجه آخر من أوجه التعبير عن الذات ، لاتشكل فناً أدبياً قائماً بذاته . ومن هنا كان من الواجب إلقاء الضوء على هذه الفنون ، وطريقته فيها ، والدافع اليها ، ثم إبراز ماحققه من عناصر هذه الفنون مع دراسة موجزة لأمتلثة منها .

* * *

الروح القصصية عند الشاعر : -

لجأ الشاعر - الى جانب استخدامه التعبير المباشر - الى اللون القصصي في التعبير عن العواطف والمشاعر والأحاسيس ، محاولاً التنوع في الشكل التعبيري لديه ، وشأنه في ذلك شأن من يستخدم بعض : « أنوات التعبير التي يستعيرها من فن آخر هو فن القصص دون أن يكون هدفه كتابة شعر قصصي (١) . »

والقصة في الشعر : « شكل من أشكال التعبير تتبلور فيه أذكي نفحات المشاعر وتتجلى فيه شتى النوازع والعواطف . . . من خلال سرد حادثة معينة » (٢) .

وقد وجد النقاد والأدباء أن التمسك بعناصر القصة ومقوماتها وشروطها قد انتفى اليوم وأصبح الأديب حرّاً من قيودها « فيعبر عن ذلك كله بروح من التعاطف تجعل ذلك الإطار [الموضوعي] وجهاً من وجوه الذاتية » (٣) .

والقصة الشعرية تجمع بين الشعر والقصة « فتستفيد القصة من الشعر التعبير الموحى المؤثر ، ويستفيد الشعر من القصة التفصيلات المثيرة الحية » (٤) .

(١) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر : ص ٢٠٠ .

(٢) عزيزه مريدن ، القصة الشعرية : ص ١٣ .

(٣) عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني : ص ٩٨ .

(٤) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر : ص ٢٠١ .

ولكل من الشعر والقصة أهميته « فإذا كان الشعر يصور جانب الحياة كما تنعكس على نفس الشاعر ، فيوحي بها ويلقي إلينا بأشعتها وظلالها ، وإذا كانت القصة تصور الحياة نفسها في جميع دقائقها ولحظاتها ، فإن القصة الشعرية تجمع هاتين الصورتين ، وتجعلنا نحيا التجربة النفسية الواحدة في نطاق أوسع وأفق أرحب » (١) .

ويرى د . عبد الله الحامد أن الشعراء العرب وجدوا المكان الأنسب للقصة هو النثر معللاً ذلك بقوله : « لأن للقصة شروطاً وضوابط لا يتسع لها صدر الشعر ، فليست مجرد خواطر متناثرة ، ولا مشاعر ملتهبة تفرض نفسها على القصيدة ، إنما هي عمل شعري معقد ، يحتاج الى جانب من الفكر والتنظيم دقيق واع مقصود ، وفيض من المشاعر المستمرة الاتقاد ، وقدرة على التخيل وطول نفس ... » (٢) .

ويجد سحمي ماجد الهاجري أن انتفاء عنصر الحدث والحركة والنمو والصراع في القصة وميلها الى الاختصار يفقدها روح القصة وتصبح مجرد مؤشرات (٣) .

ويرى أن أصحاب الاهتمامات المتعددة هم الذين لا يهتمون بالصياغة الفنية واللغة والأسلوب في قصصهم ، وتتميز قصصهم بتدخل الكاتب بالتقرير والتفسير والتعليل ... مما يجعل الشكل غير مركز فتأتي على شكل رسالة أو حدوته شعبية أو مختصر روائي أو خاطرة (٤) .

وبصفة عامة فإن شيئاً من هذا ينطبق على قصص عبد السلام حافظ .

فقد نظم عبد السلام عدداً من القصص والمسرحيات الشعرية ، تقوم - معظمها -

على موضوع عاطفي أو اجتماعي . نظم تسع قصص ، وثلاث مسرحيات .

ثلاث قصص منها عاطفية وهي : (سمراء) (٥) ، (عاشقة) (٦) ، (حبه الطعين) (٧) .

(١) عزيزة مريدن ، القصة الشعرية : ص ٢٢ .

(٢) اتجاهات الشعر المعاصر : ص ١٥٧ .

(٣) القصة القصيرة بتصرف : ص ٩٠ .

(٤) السابق بتصرف : ص ٢٨١ .

(٥) سمراء ديوان كامل موحد .

(٦) أضواء ونغم في الأعمال الشعرية : ص ٢٨٤ .

(٧) السابق : ص ٣٧٤ .

وست قصص اجتماعية وهي : (كبدي التي وأدوها)^(١) ، (مائم في عرس)^(٢) ،
(خبيثة)^(٣) ، (من رسائلها)^(٤) ، (عجلي دائماً)^(٥) ، (السيارة الزرقاء)^(٦) .
غير أنه لا يمكن تقسيم ذلك تقسيماً حاداً ، فكثيراً ما تعالج القصة موضوعات ذات
دلالات متعددة وتحمل أكثر من مغزى .

والمسرحيات ، واحدة منها عبارة عن (أوبريت) قصير عنوانه (هروب من
الجحيم)^(٧) ، أما المسرحيتان فهما : (أضواء على المجهول)^(٨) ، وهي في
موضوع عاطفة الشاعر ، والثانية في موضوع مرضه وهي : (صخور العذاب)^(٩) .

وسوف تدرس قصصه منفصلة عن مسرحياته .

* * *

-
- (١) أضواء ونغم في الأعمال الشعرية : ص ٢٧٤ .
 - (٢) الفجر الراقص في الأعمال الشعرية : ص ٦١٨ .
 - (٣) أضواء ونغم الأعمال الشعرية : ص ٤٩٤ .
 - (٤) ترانيم الصباح : ص ٣٣ .
 - (٥) الأربعون : ص ١٢٩ .
 - (٦) السابق : ص ١٣١ .
 - (٧) أنوار نهية : ص ١٥١ .
 - (٨) أضواء ونغم الأعمال الشعرية : ص ٣٠٠ .
 - (٩) قلبي المناضل (وحي وقلب والحان) : ص ١٤٥ .

١ - القصة الشعرية :

إن مجموع قصصه سواء العاطفية أو الاجتماعية تقوم أساساً على قضية واحدة وهي : الزواج غير المتكافئ . فتنحدرت عن الحب والزواج ومشاكله عدا قصتيه (عجلي دائماً) و (السيارة الزرقاء) من ديوانه الأربعون فهما تأخذان طابعاً خاصاً وتتعلقان بنفسية الفتاة وهما أقرب الى الملهاة .

ويلاحظ أن هذه القصص تدور حول المرأة بكل مشاكلها ، وهو ما يدل على اهتمامه بها وبقضايها ، كما أنها كانت محوراً لكثير من القصص العاطفية عند الرومانتيكيين ، ويلوح من مضمون هذه القصص فكرتان أساسيتان هما :

أ - الفشل في الحب ، ب - سلطان الآباء .

وهاتان الفكرتان هما - في الأصل - تجربة الشاعر الشخصية ، وإن عواطفه التي تفيض من خلال هذه القصص لتنم عن العلاقة الوشيجة التي تربطه بها . فسمراء هذه تحكي قصة عاطفية متكاملة الجوانب ، وهي عبارة عن مجموعة قصائد ومقطوعات ربط بينها بسياق قصصي تمثل مراحل العلاقة وتطوراتها ، وهي أشبه بقصة خليل مطران (حكاية عاشقين) فهو الآخر نظم عدة قصائد وربطها برباط قصصي ، قيل إنها تصور قصة حب واقعية جرت أحداثها في تلك الفترة (١) . ولهذه السمراء أشباه من قصص الشعراء الرومانتيكيين أمثال شبلى الملاط في قصته (بين العرس والرمس) ، ومحمود حسن اسماعيل في ديوانه (هكذا أغني) .

وقد قدم عبد السلام لها بمقدمة تحدث فيها عن حواء بعامة في أحوالها المتقلبة وشخصياتها المتعددة ، ونظم في التوطئة ماتحدث عنه نثراً في المقدمة عن حواء ، يقول في التوطئة :

سمراء هذي بنت أجيال وتاريخ قديم

من عهد آدم ثم تبعت كل يوم في أديم (٢)

ولكن القصة تحكي قصة فتاة واحدة مرت بتجربة حب مع فتاهها (عادل) ووقف

(١) الاتجاه الوجداني : ص ١٠٣ .

(٢) سمراء : ص ٥ .

والدها عقبة في طريقهما ، فكان الفراق . وأكثر القصص هذه تسير في هذا الخط ؛
الحب الذي يجمع فتى بفتاة ثم وقوف الأب المتسلط عقبة أمامهما ، إلا أنه يعالجها مرة من
زاوية عاطفية - وهو الأكثر - ومرة من زاوية اجتماعية .

ففي (عاشقة) : يتحدث بلسان فتاة حزينة فقدت أليفها بسبب أهلها الذين وقفوا
عقبة في وجهها ، فلم يقبلوا به زوجاً ، فبقيت تتحسر على أمسها الجميل .

وفي (حبه الطعين) يحكي قصة شاب كان سعيداً بحبه ، فوقفت الظروف
حائلاً بون إتمام السعادة ، حين رفض أهل الفتاة زواجه منها فكان الفراق .

وفي (كبدي التي وأدوها) يحكي بلسان أم تبكي ابنتها التي فقدتها بسبب تسلط
أبيها الذي أجبرها على الزواج من ابن عمها كرهاً من أجل حصر الثروة داخل الأسرة
وحرمانها ممن تريد .

فهذه القصص قوية الصلة بقصة الشاعر ، وماهي إلا تعبير غير مباشر لقصته ،
ولعله لجأ إليها حباً في التنويع ، والخروج عن الرتابة الغنائية إلى القصة الدرامية .
وما يبرهن على أنها تعبير عن قصته وترديد لقضية حبه القديم ، تكرار اسم فاطمة في
بعضها كقوله في (عاشقة) : -

قالت بيأس فاطمة

الأمس مات (١)

وفي (حبه الطعين) يقول : -

يقول : إلا رحمك اليوم يافاطمة

عليك سلام الوفي .. سلام الحياة (٢)

أما في (السمراء) فإنه يذكر مكان ولادتها ونشأتها في المدينة المنورة : -

على السفح من منبت الياسمين	بجنة (قربان) قرب المدينة
سجا مهد سمراء في ظله	تعانق فيها الصبا بالسكينة
هنا نشأت كابتسام الربيع	وحلّت من القيد نفساً سجيئة (٣)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٨٤ .

(٢) السابق : ص ٣٩٩ .

(٣) سمراء : ص ١٩ .

والبيت الثالث يوميء الى الشاعر نفسه : (وحلت من القيد نفساً سجيئة) حيث كانت فتاته دواءً لآلامه .

لقد صاغ قصصه هذه بالشكل الشعري الحديث (الحر) فكان أكثر طواعية وخصوية استطاع أن يوصل الفكرة من غير تكلف ، بل بحرية وانطلاق ، وخاصة أنه يستعمل في الشطر الواحد عدداً من التفاعيل قليلة ، بعكس ما عهدناه له في حديثه الذاتي المباشر الذي تمتد فيه أشطره . كما أنه استطاع أن يثير كوامن الشعور والاحساس حين يشكل في صوغ هذه التجربة مرة بلسان الفتاة وأخرى بلسان الفتى وثالثة بلسان الأم وهي تبكي فلذة كبدها وهي تُكره على الزواج بمن تكره . وليخرج القضية من نطاقها الضيق الى مجال أرحب وذلك بعرضها بعدة طرق مختلفة .

وبما أن محور القضية تسلط الآباء ، فإنه لا يدع شخصية من شخصيات قصصه الا وتتحدث عن ذلك الأب المتسلط ويصور عدة .

ففي (عاشقة) يقول على لسان الفتاة :

وأبى العتي بمهجتي / سيبيعني جسداً هزال

طيفاً .. خيالاً من جمال / للهيكل الوحشي من شره الرجال (١)

وفي (حبه الطعين) يقول الفتى شاكياً ظلم أبي فتاته :

ولفَع حواطي ظلم والدها الخاسر / وغيبها في جحيم الغسق (٢)

أما في (كبدي التي وأدوها) فيحكى على لسان الأم وهي تصف جبروت زوجها

الغليظ على ابنتهما :

ولكن زوجي الغليظ / أبوها الضعيف الفكر

وإخوانه الخادعون / أصروا على قهرها

تزوج قسراً بإبن العميد : / كبير بني عمها ..

لصون المواريث للأسرة / لئلا يصيب الدخيل

من الزهو والثروة (٣)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٨٧ .

(٢) السابق نفسه : ص ٢٩٤ .

(٣) السابق : ص ٣٧٩ .

أما (سمراء) فيكثر فيها اللوم والسخط على الآباء حتى يصفهم بـ (حثالة القوم)
وفيهما يتحدث مرة على لسان (سمراء) البطلة ومرة على لسان (عادل) البطل كقوله على
لسان سمراء : -

حبنا اليوم كالنور قد أعلننا عرف الأهل ماقد يدور هنا
في اعتزامك منى الزواج الهني يوم صرحت للأم عن حبنا
لكن الأب ياشاعري بالدنايا يشين القمر^(١)

أما ماجاء على لسان البطل فكثير (٢) . يتردد منذ بداية القصة حين أبعدها
وحجبها ثم رفضوه . . وإن بعض هذه القصص لاتقوم على هذه الفكرة ، وإنما تتعلق
بموضوع الزواج ومشاكله وهي لاتخرج عن نطاق القضية الأساسية ، مثل :

١ - (ماتم في عرس) : تقوم على فكرة الاستغلال للزوج ، وهي قصة واقعية ،
حدثت لصديق للشاعر - كما يقول - وتصف بشاعة استغلال
بعض الأسر لمال العريس .

٢ - (من رسائلها) : تقوم على فكرة الحقد والحسد ، تحكي خلاصة قصة امرأة
هجرتها زوجها بفعل نفوس حقوده .

٣ - (خبيثة) : تقوم على فكرة الخداع ، تصف امرأة لعوباً غررت بشاب فأوقعته في
حبها وراحت تطلب وتطلب حتى نزلت ماله ، وانتهت القصة بذهاب
الشاب الى عنوانها المزيف ليجد أناساً أنكروه واتضح أنها خدعته .

ولم يبق بعد ذلك الا قصته : (عجلى دائماً) و (السيارة الزرقاء) من ديوانه
الأربعون . حيث تعالجان لمحة عن جانب من شخصية حواء ، وهي تأتي من باب معرفة
الشاعر بالمرأة في أحوالها المتقلبة ، والتعبير عن تلون شخصياتها وتقلباتها وميولها ، وهو
معرض له البحث في فصل (المرأة وشعر الغزل في حياة الشاعر) .

فقصة (عجلى دائماً) تحكي قصة فتاة مدللة جميلة أرادت بجمالها الحصول على
مطلبها ، فقد اعتادت أن تأتي بائعاً لتشتري منه بعجلة ودلال بغية أن يبيعها قبل الآخرين،

(١) سمراء: ص ١٢٢ .

(٢) انظر سمراء: ص ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦١ .

وقد سلك الشاعر فيها أسلوباً خفيفاً يناسب حركة الفتاة وطريقتها في مخاطبة البائع :

يا عم عجل وهات المطلب الزاكي بسرعة هاته لاتخشى أشراكي
قالت بنظرتها الحيرى مهمة وماج هيكلها في ثورة شك
يند عنها نداءً زاهلاً عجلُ بسرعة هاته .. إياك أشواكي
لاتعط غيري وإن جاءت هنا قبلي ورد لي ماتبقى أيها الحاكي^(١)

وهي من البسيط جاءت على مجاميع من أربعة أبيات ، الأولى فيها حديث الشاعر عن الفتاة ، والثانية حديث الفتاة مع البائع ، أما الثالثة فيأتي فيها حوار في بيت واحد يقول فيه :

تقول الفتاة : (هيا تحرك وبدد كل مشغلة

فيجيبها البائع : أف لسرعتك الرعناء يا أنت)^(٢)

ثم يأتي الحديث في المجموعة الرابعة على لسان البائع حين يبين لها أنه لافرق عنده بينها وبين غيرها ، ولن يكون للجمال نفوذ عليه . وقد أضاف فيه بيتاً وشطراً ختاميين .
أما قصة (السيارة الزرقاء) فيبدو الشاعر فيها أكثر دقة وتوفيقاً في تصوير نفسية الفتاة التي (تلفت) الى مدير إدارة تخبره بأن سيارة زرقاء تحوم حول حبيها لتغازل (رائدات العلم) .

وقد لجأت الى هذا الطريق الملتوي لتلفت نظره اليها . وأكثر الشاعر فيها من أسلوب الاستفهام ليصف دهشة المدير من إدعائها . يقول :

ورد أستاذنا : من أنت سيدتي ؟ سيارة ؟ كيف ؟ من بالهمس ناداني؟
وتمتم الصوت في الأسلاك مرتعشاً هنا معلمة تفضي لربان
أقول سيارة زرقاء ترقبنا في كل يوم كإعداد لعدوان^(٣)
وينتقل الشاعر الى دواخل نفس المدير ، في (حوار داخلي) وبأسلوب استفهامي

أيضاً يقول : -

سيارة .. وهي زرقاء ؟ وصاحبها موظف بيننا ؟ الفكر أعياني !
كل الرفاق ذوو نبل وعاطفة عصماء - لا يعرفون الدرب للحن
وليس في لون سياراتهم شبه من لون ماتدعي الشكوى بانسان

(١) الأريعون : ص ١٢٩ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٣٠ .

(٣) السابق : ص ١٣١ .

لكن سيارة زرقاء أملكها وحدي . . . ومقودها عندي بإعلان
أشك في أمرها . . . كيد النساء غزا أفاقنا بابتهاال أو بيهتان (١)

هذه التساؤلات المتتابعة التي انتهت بتفسير نهائي أخذت القارئ في الانفعال معها حتى وصل الى مغزى الحدث ، واستطاع بهذا الأسلوب إيصال الفكرة ، والتعبير عن دواخل نفسية الشخصية .

وبهذا الأسلوب من الحوار والتساؤل في كلتا القصتين عبر عن نفسية الفتاة متمثلاً في فتاة مدللة والأخرى تتحايل لهواها . وهي من الصور القصصية فيها قدر من الخيال، وهي : « التي لايعنى الشاعر فيها برسم الحدث ولا بالعقدة ، بل يهتم بتصوير لمحة عامة لشخصية من الشخصيات ، أو موقف من المواقف ، مستهدفة الإيحاء والتأثير باللمحة الخاطفة اليراققة » (٢) .

فليست لها بداية ونهاية وذروة حدث وغيره ، إنما هي : « تدور على محور واحد ، في خط سير واحد ، ولا تشمل من حياة أشخاصها الا فترة محدودة أو حادثة خاصة ، أو حالة شعورية معينة » (٣) .

وهذا ينطبق على بقية قصصه العاطفية والاجتماعية . عدا قصة سمراء التي لها بداية ونهاية وتصف أحداثاً عدة للقصة ، الا أنه يشوبها تفكك واضح ألجأ الشاعر الى وضع عناوين للمقاطع لتتكون مجموعة مقطوعات وقصائد متسلسلة الأفكار . كما لجأ الى الشروح والمقدمات التي لاداعي لها . وهو ما قال عنه في المقدمة : « . . . فهو لايلوح الا كالظلال أو كالحواشي التي تفسر رموز وغوامض الكتاب . . . » (٤) .

سمات أدائه الفني :

- لجأ الشاعر الى أسلوب الاسهاب مرة والى الاختصار أخرى ، فسمراء هذه

تحكي قصة عاشقين في كثير من التفصيل ويتدرج الصراع الى أن يصل الى القمة لينتهي

(١) الأربعون : ص ١٢٢ .

(٢) عزيزة مريدن القصة الشعرية : ص ٢٥ .

(٣) سيد قطب ، النقد الأدبي اصوله ومناهجه : ص ٨٣ .

(٤) سمراء : ص ٤

بالفراق وبالفشل الذريع . أما غيرها من القصص فتبدو مختصرة ، مجرد لمحة خاطفة تبدأ وتنتهي سريعاً ، فمثلاً في قصة (خبيثة) أعطى صورة موجزة للفتاة التي غررت بشاب لتوقعه في هواها وأخذت تستنزف ماله فقد لجأ الى الاختصار الذي يركز على أساسيات الموقف والحدث ، مما أعطى للقصة الشعرية حركة من خلال الجمل القصيرة المناسبة للسياق دون غيرها من الجمل المطولة ، ومع ذلك أشبع القاريء بالفكرة ، وأثار ذهنه وخياله للتجاوب معها يقول فيها : -

جاءت تشد على يدي وشبابها يشدو الهوى وتقول في دل القمر :
(أهلاً حبيبي . . كيف حالك مرحباً) وتغض طرفاً حائراً نزق النظر
وإذا انطلقنا في المسير رأيتنا ويدي على جيبي تعد وتنفق
وتشير تلك : أريد هذا من هنا وهناك آخر للهدايا شيق (١)

وقد مال في آخرها الى الوعظ المباشر . في بيت وشطر ختاميين يقول فيه :
ياصاح هذا دأب غانية الصبا هي في تحررها جنت مر الجنى

شيطان يدعو للمجانة والهوى (٢)

فليس للوعظ هذا مكان في قصة تكاملت وانتهت بتحسر البطل على فعله ، وهذا يكفي لأخذ العبرة والعظة من هذه القصة . وخروجه هذا في أكثر قصصه - واعظاً ومعللاً وشارحاً ومفسراً - من شأنه أن يضعف المعنى ويقطع تسلسل الأحداث لذلك أصاب سمراء كثير من التفكك لطولها وتدخل الشاعر في أحداثها ، كقوله معقباً على وصف البطل :

هكذا كان عادل يأسى حزيناً على أمسه
والجوى في حناياه يضمنيه . . ينهش في نفسه
ياله عاشقاً ناعياً حظه . . عاش في يأسه
فهو يشقى غريباً وسمراء تنعى حياة الألم
تبصر الدار والاهل والزوج في عمقها كالرمم (٣)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وكلمة (شيق) صوابها شائق .

(٢) السابق : ص ٤٩٨ .

(٣) سمراء : ص ١٤٩ .

- يعتمد الشاعر في قصصه رسم صورة لشخصياته ، محاولاً كشف نفسياتهم كشفاً يعين على تصور دواخل هذه النفسية ، واستطاع أن يعطي فكرة عن الصراع القائم في داخلها ، غير أنه - أحياناً - ما يتداخل فيها برأيه هو موجهاً مسار الأحداث ورسم الصورة . ففي (مائم في عرس) صور نفسية البطل (رؤوف) في فرحته الغامرة باقباله على الزواج ووصفه بالبراءة والطيبة وحسن الظن بالغير وبالسلبية ثم مالبت أن صور الصراع المتمثل في داخله وهو الاحساس بأن أهل العروس يودون استغلاله ، فأدار الحديث على لسانه على نحو آخر :

وجاء العريس رؤوف / يوزع أنظاره الساخرة

ويصطنع البسمات / على وجهه الفرحة الكاذبة / ليهمس في نفسه الحائرة :

وماذا وراء المظاهر / أساق كآني خروف / لأبذل كل نفيس

بأسباب هذي العروس / وأغدو أجامل كل الضيوف

وفي صدري اللوعة المحرقة / على عيشة مورقة

وقد طال حرمان قلبي لها / كآني أريد رؤى المستحيل (١)

وهذا (المنولوج الداخلي) لا يتطابق مع الوصف الخارجي للبطل بوصفه بالسذاجة والسلبية والبراءة . . . الخ .

الا أنه في آخرها وصفه بالحزم والقوة والاصرار عندما ترك هؤلاء الجشعين الذين استنزفوا أمواله ، ولو أن الشاعر اكتفى بعرض نفسية البطل عن طريق (المنولوج الداخلي) بعيداً عن الوصف الخارجي له لكان أفضل ولأضفى على القصة شيئاً من الإيحاء الذي يثير القاريء ويطلق خياله . وقد وصف نفسياتهم أيضاً بقوله :

وبالهمس قالوا : سنفقره إن تمنع / لنظهر كالأثرياء . .

لماذا إذن نتزوج (٢)

ويلفظه (بالهمس) استطاع الشاعر كشف أغوار نفسياتهم الجشعة ونياتهم الخبيثة . في استغلال العريس . ويبدو أنه كان يحاكي أبطاله في بساطة لغتهم ، كما في قوله :

(١) الأعمال الشعرية : ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .

(٢) السابق : ص ٦٢٥ .

ولم يمض الا (السبوع) وقوله : فلا فرق بين الربا و (القرافة)

ولأ تراث العروس / وحتى المقشة .

واهتم الشاعر بتصوير الجو العام في القصة مما أضفى عليها شيئاً من الإيحاء فوصف مكان الحفل (سطوح المنازل) ووصف مجيء الضيوف والزغاريد والغناء والرقص وكل ما يتعلق بحفل الزواج خارج السعودية ، وله عدة تعبيرات تثير خيال القاريء كقوله : (ودبُّ على البيت كل الأقارب)

فكلمة (دبُّ) لم تأت اعتباطاً ، فقد سمي هؤلاء الناس أخيراً ب (حثالة العالم) .

والمقطوعة كلها صور نابضة بالحركة ، تصف لوحات واقعية في بعض جوانب الحياة ، ويبدو الحدث فيها نامياً متطوراً يتطور مع أحداث القصة بتسلسل تام .

ويرى د . عبد الله الحامد : أن القصة يعييبها جنوح الشاعر الى أسلوب التقرير والوعظ في آخر القصيدة ^(١) ويقول أيضاً : إن الجمع بين الحادثتين (أي الاستغلال وطلب الشرف) قد أوهى الحكمة ^(٢) .

والواقع أن كلتا الحادثتين مرتبطتان ببعضهما البعض ، فلم يطالب أهل العروس بالمؤخر الأردأ للشرف . ولم يعرض لذلك الا ليعطي القصة أزمة وعقدة من خلالها يتأزم موقف العريس فيسعى للحل وهو الطلاق . بالإضافة الى أن القصة واقعية .

وفي (من رسائلها) التي تحكي قصة امرأة فقدت زوجها بفعل نفوس حقودة (بما نفثت في العقد) للتفريق بين المرء وزوجه . استطاع الشاعر أن يصف نفسية هذه المرأة بألفاظ شاعرية (رومانسية) وهي تختلف عن سابقتها التي كانت تعتمد على اللغة البسيطة أو (العامية) .

استهل المقطوعة بمقدمة في أشطار قليلة يصف فيها رسائلها التي نثرت فيها حبها العارم : « قصاصات ضلع تمزق ، رشاشات دم نزت من قلب ، فورة جرح جديد قديم .. » وبه نقل الحديث اليها لتحكي ماكان من ماضيها السعيد معه وبداية تعرفه اليها وقد جاء أهلها خاطباً .. الخ .

(١) اتجاهات : ص ١٥٨ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

وبهذا الحديث المباشر عن متانة الأصرة التي كانت بينهما وكيف كان ملء حياتها
الماضية والقادمة . . . الخ توفيق في تهيئة نفس القارئ لتصور مدى المعاناة التي باتت
تعانيها وفقدت بها معاني الحياة برحيله عنها . . .

قال يصف نفسييتها وهي تعبر عن شعورها بالفرح عندما جاء يخطبها :

وقصتنا يوم جاء / لأهلي . . لأعرفه . . بل ليعرفني
رأيت ملاكاً بذاك المساء / كأطلى وأندى نداء
وعيناه تبتلعاني / لاغرق في حبه الساحر
وفي لجة المأمل الخاطب / رأيت حياتي الفريدة
تذوب بأحضان أغلى رجل / وأبهى وأذكى بطل
أجل . . انني ذبت في عمره
شراياً أعود فاسقاه منه رحيقاً . . وأي رحيق . (١)

وفي هذه القصة ركز الشاعر على تصوير المرأة فقط ولم يتحدث عن الرجل (الزوج)
الا في أبيات قليلة وذلك في قوله :

بمثل صبايتها / تلوع انسانها الأوجد

رأى في رسائلها طب قلبه / وكان يناظر مقدمها / بلهفتها وارتعاشاتها (٢)

وفي تعبيره هذا (رأى في رسائلها . . .) حيرة فمن يقصد ؟ هل كانت ترسل
لزوجها تلك الرسائل الالهية ، أو أن الشاعر هو الذي رأى في هذه الرسائل طب قلبه ،
وهذا يعني أن الشاعر يلوح بنفسه في ثنايا الكلام ، فهو حين يصوغ أحداث الآخرين
يستوحى وجدانه ومشاعره في تعبيره عنها ، ولم يهتم بأسباب الحدث إنما أعطى تفسيراً
عاماً يقول :

بفعل نفوس حقودة / بما نفثت في العقد

وفرقت الزوج والذكريات . (٣)

ولكنه يذهب الى الغموض في شطرين لا يظهر المراد منهما :

ترى أتقول كمن قد مضى : / على نفسها قد جنت (كبراقش)

(١) ترانيم الصباح : ص ٢٤ ، ٣٥ .

(٢) السابق نفسه : ص ٤٣ .

(٣) السابق : ص ٤٠ .

هل أذنبت في حقه مثلاً ، فهي تعاتب نفسها حيناً وتلومها ؟ ! لا يظهر معناه ، وهذا مما يدل على عدم اهتمام الشاعر بتسوية الأحداث بقدر اهتمامه بالشخصية التي يتجاوب معها تجاوباً كبيراً واصفاً مشاعره الفياضة من خلال وصفها .

- يظهر جلياً تأثير الأحداث على وجدان الشاعر ، ومن مظاهر ذلك :

الاسترسال في تصوير مشاعر المحبين ورسم صور جميلة للعواطف كقوله في

(عاشقة) :

طفلان كنا في المغاني والريا / بين انتعاش وانطلاق

نهوى الأمل . . نهوى الغزل

والروح للروح الطروبة في عناق

في همسنا الأبدى . . في نجوى السماء (١)

وهو يمهد لمعظم قصائده العاطفية (وخاصة في سمراء) بصور من الطبيعة فيرسم جواً بهيجاً للطبيعة يدخل منه الى وصف المشاعر ، مما يبشر بنهايات سعيدة ، ولكنه ما يلبث أن يبسط الجو الكئيب الذي يسيطر على معظم قصائده بما ينبىء عن فقد أمل أو فشل أو ذكرى حزينة . . . الخ .

ومما يعبر عن رومانتيكيته ونزعتة التأثيرية مشاركة الأبطال في مشاعر الحزن والألم بالتعبير الحاد عن حزنهم وذلك في تكريره عدة جمل يتخذها محوراً أساسياً في القصة كقوله في عاشقة مصوراً حزنها على أيامها الجميلة التي فقدتها مع فتاها ، مكرراً جملة (الأمس مات) :

- الأمس مات . . . / كفتته الاضلاع والشوق المبيد / كفتته غصاً وليد .

- الأمس مات / كفتته حضن الحرير

- الأمس مات بفرحتي / طفلاً وديعاً باسماً

- الأمس مات / ماتت عليه سعادتني

الأمس مات / واحسرتاه (٢)

وبهذه الطريقة أيضاً استطاع أن يبرز المأساة في قصصه الشعرية (٣) ، ويفيض تعبيره

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٨٥ ، وانظر غيرها في ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ وفي (سمراء) .

(٢) السابق : ص ٢٨٤ - ٢٨٩ .

(٣) انظر (سمراء) لجاج الغيرة : ص ٩٦ .

أسىً وحرزناً تعبير عنه ألفاظه الحزينة كقوله على لسان الفتى وهو يتحسر على الحب الضائع ، في (حبه الطعين) :

مضى كل شيء وغار . . . مضى وانقبر

وحتى الهنياهات . . . تلك القصار

عفت في حنايا اللهب

ودمدم صوت العدم

يلف بقايا الذكر (١)

كما أنه يطلق ألفاظاً فضفاضة ليصف الوالد المتسلط أو العاذل الكاشح بالوحش الشره ، اللئيم الخطر ، الغادر الظالم ، الغريب الوطر . . . الخ .

- أكثر أساليب الشاعر في العرض تعتمد على السرد المباشر ، فالشاعر هو الذي يحكي القصة - في الغالب - وإن كان يدع الشخصية تتحدث عن نفسها ، إلا أنها تشاركه الحديث عندما يريد التعبير عن دواخلها - بالذات - كما في (ماتم في عرس) بشأن رؤوف ، و (من رسائلها) وهي في (كبدي التي وأدوها) أكثر . فبعد أن مهد للحديث بكلام عام يبعث على التشويق - ويعتبر خلاصة أو نهاية للقصة - عاد ثانية بالحديث على لسان الأم لتحكي مأساة عبلة كيف تهاوت من يديها بسبب أبيها ، وجعل حديثها شبيها (بالحدوته) التي ترويها - عادة - العجائز : وجعلها تبدأ بقولها :

(اليك بني الخبر . .) وبعدها قامت تحكي مأساة ابنتها . وبهذا التقديم والتأخير أثار كوامن الشعور وأدخل عنصر التشويق في القصة .

- نظم أكثر قصصه هذه بالشكل الشعري الحديث (الشعر الحر) الذي عبر فيه بحرية تامة ، يتدفق فيه بتلقائية وسهولة ، وسمراء ضمت أشكالاً عدة ينتقل فيها الشاعر من شكل لآخر ، ولا يلتزم بالشكل الواحد في المقطوعة الواحدة - غالباً - وهي في ذلك تشبه ديوانه (وحي الهاجرة) الذي تميز بهذه الميزة أيضاً . وقد نظم فيها ثلاث قصائد التزم فيها الوزن والقافية ويضيف أشطراً ختامية كعادته .

ونظم مقطوعة من الشعر الحر عنوانها (لجاج الغيرة) من أجمل شعره فيها ، جرى فيها نزار قباني في أسلوبه . وهذا اللون والتشكيل في قصته هذه ناتج عن ثورة

الانفعال وحدته ، فشعره هذا المتلون عبارة عن أقسام يمثل مراحل العلاقة وتطوراتها .
ففي مقطوعة (العاصفة) (١) ينتقل فيها تبعاً لعواطفه الثائرة فهي عاصفة من
المعاناة ، تصف مجيء البطل عادل الى فتاته سمراء ليختبر سبب غيابها ، فإذا به
يصعق عندما يعلم بأن صويحباتها يقمن بتزيينها وزفتها لغيره ، وبهذا أصبحت المقطوعة
تنتقل من الرباعي الأشطر الى السداسي الأشطر بحسب الحوار بينه وبين الفتيات .

وقد نظم على التوشيح ، الا أنه لَوْن فيه وغير لدرجة يصعب معها على القاريء أن
يفهم تنسيقها وفكرة صياغتها ، وتضيق الفكرة في الكم الزاخر من التشكيل وذلك في
مقطوعتين (ميلاد) (٢) (موعد) (٣) . أما الثانية فشائكة جداً ويطول المقطع الواحد
فيها مختلف الأشكال والقوافي ، كما أنها ساذجة غير مترابطة . ويمكن التمثيل
لمقطوعة (ميلاد) فهي أكثر تنسيقاً وتقفيئاً (أأ ، ب ب ج ب ، أ) :

على شاطيء الذكريات السعيد .. بنور الوجود

وشمس الأصيل تذهب وجه الرمال

وتهمس للشط أنشودة في الجمال

وقفت وقد راعني منظر شاعري

برؤيا خليلين تحت الظلال

يداعب وجهيهما طيف حب وليد .

وقافية الذيل هذه موحدة في اثني عشر مقطعاً فيها . ولكنه خالف في آخر مقطع
وأضاف أشطراً بقافية مختلفة عما قبلها . وهكذا لايسير الشاعر في خط سير واحد إذ
أنه - كثيراً - ما يخرج عن الشكل الذي بدأه .

وتبين من الدراسة : أن هذه القصص - في مجموعها - لاتحمل عناصر القصة
الشعرية كاملة ، فما هي الا لوحات شعرية أو اقصوصة قصيرة يوشحها الشاعر بخياله
ليعبر عن تجارب الآخرين ، عدا (سمراء) فهي تحمل شيئاً من خصائص القصة ؛
الشعرية ، ولكنها تفتقر لغة الحوار البناء ، وحركية الحدث . فلقد بناها على قصائد

(١) سمراء: ص ١٣٢ .

(٢) السابق نفسه: ص ٩ .

(٣) السابق: ص ٢٤ .

غنائية تصف مشاعر الشخصيات بسرد مطول .

وبالرغم من أن هذه المشكلة - أي قضية الاكراه على الزواج أو مايشبه ذلك - كانت محور موضوعات الأدباء والمصلحين ، وتناولها كثير من الشعراء والقصاصين وبخاصة الرومانتيكيين ، فهي عند الشاعر ترتبط برباط وشيخ ، إذ تصور قصته العاطفية مع فاطمة ، لذلك يغرق في التعبير عن مشاعر المحبين ، وقد أسفر عن نفسه في مقدمة سمراء حين ذكر أن نهاية قصته كان لها أثر كبير في نهاية المأساة يقول : « ومن الصدفة البحتة أن اتفقت نهاية القصة مع نهاية قصته هو - أعني الشاعر - فأصبح له فيها موقف هام في تاريخ ذلك الحب الغابر ... » (١) .

وقد أشار الى ذلك الدكتور عمر الطيب الساسي في قوله : « ... تبدو فيها ملامح تلك التجربة العاطفية التي جعلت منه شاعر الحب الأول بين أنداده من شعراء المدينة » (٢) ومع هذه العلاقة الوشيحة فهي رومانتيكية في موضوعاتها وأسلوبها وخواتيمها . تبدأ سعيدة وتنتهي بالحزن ، إلا أن الشاعر هنا يركز على خاتمة واحدة وهي الفراق لأنها تناسب نهايته هو ، وهو ما يؤكد تلك العلاقة . وإن ما يدور من أحداث جزئية في قصة (سمراء) إما أن تكون حقيقية وقعت في حياة الشاعر بالفعل ، وإما أن تكون من نسج الخيال ، أراد بها أن يصور أشتاتاً من نوازع المرأة وألبسها سمراء ليضيف للقصة توسعاً وصراعاً ، مازجاً الحقيقة بالخيال .

ومن طبيعة القصة خلط الحقيقة بالخيال ، أو الواقع بالخيال ، فيتخيل الشاعر أفكارها ويدخل بظلاله ليثبت وجوده الفعلي فيها ، وما ذلك إلا لما يحسه من مشاعر تجاه كل موقف لا دراهه العلاقة القوية بينه وبينها .

* * *

(١) سمراء : ص ٤ .

(٢) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي : ص ٢٤٧ .

٢ - المسرحية الشعرية :

نظم الشاعر مسرحيتين هما : (أضواء على المجهول) في ديوانه (أضواء ونغم) في موضوع عاطفته ، و (صخور العذاب) في ديوانه (قلبي المناضل) في موضوع مرضه ، كما نظم (أوبريت) عنوانه (هروب من الجحيم) .

قدم الدكتور محمد مندور لمسرحية (أضواء على المجهول) بكلمة يقول فيها :
«... ولكنها في الحقيقة ليست مسرحية يمكن تمثيلها على خشبة المسرح ، بل هي حوار شعري بين الشاعر والطبيعة وصوت المجهول وشخصيات أخرى رمزية أو مجردة ، اختارها الشاعر ليعبر من خلالها عما يضطرب في نفسه من شتى المشاعر والخواطر والانفعالات على نحو ما فعل من قبل شاعرنا العربي المعاصر المرحوم علي محمود طه في كتابه (أرواح وأشباح) .» (١) .

كما أشار الدكتور عمر الطيب الساسي الى أنها صورة لتجربته العاطفية حين قال :
« ويكاد يكون هذا الحوار الشعري الذي أسماه عبد السلام حافظ (مسرحية) تعبيراً غير مباشر عن قصة حبه التي تتكرر في كل شعره ... » (٢) .

والمسرحيتان تتكونان من أربعة مشاهد ، لا تختلف طريقتة في كليهما ، فمن عادته أن يمهّد لكل مشهد بحديث يشرح فيه أحواله وما يحويه المشهد بعد ذلك من أفكار ، ولكنه في (أضواء على المجهول) يكثر من هذا التمهيد للجو الحوارية بحيث يقطع - أحياناً - فكرة التسلسل للحدث ، ولو أنه ترك الحوار يسير طبيعياً لكان أوفق .

ويمكن تتبع طريقتة في واحدة منها مسرحية : (صخور على العذاب) التي جعلها على أربعة مشاهد ، وجعل شخوصها : الشاعر ، الطبيب ، حواء ، وهذه شخوص حقيقية ، وهناك شخوص وهمية : الأمل ، صدى الأعماق ، الألم .

والفكرة القائمة هنا هي : تشخيص عالم الشاعر الخاص ، وما يضح بداخله من مشاعر متضاربة تتأرجح بين الألم والأمل وصدى الأعماق ، وكيف كان بين مد وجزر بينهما وهي مسرحية ذاتية شخصية حاول الشاعر فيها ترجمة نفسه المعذبة بصورة درامية ، وقد أفاد فيها من بعض فنيات المسرح الشعري .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٩٧ .

(٢) الموجز في تاريخ الأدب : ص ٢٤٧ .

أما المشهد الأول منها فهو وصف للمعاناة المرضية التي عانى منها الشاعر والذي زاد منها فشله في حبه ، فيتذكر ذلك بأسى بالغ ، ثم يصف الصراع القائم في نفسه بين الأمل والألم وصدى الأعماق ، وينتهي المشهد بغلبة الأمل في الشفاء .

ويبدأ المشهد الثاني بحوار بينه وبين أمه التي أخذت تعاتبه على عكوفه في مكتبه يشتغل بالأدب ولا يريح نفسه ، ويرد عليها مدافعاً عنه بأنه سلواه وسعادته ، ثم يعود الصراع في داخله بين الشخصوس الوهمية ، وفي هذا المشهد يتخيل فتاة أحلامه تحدثه ، كما تظهر شخصية الطبيب ينصحه بالسفر الى بلاد أخرى لإجراء عملية جراحية .

المشهد الثالث : يصف الشاعر حالته بعد إجراء العملية ، فيصور الآلام التي يحسها من أثر التخدير ، ويدور حوار بينه وبين الطبيب والألم والأمل كل منهم يخفف عنه آلامه ويقفل الستار على الشاعر وهو يتحدث عن ألمه وشقائه بخفوت .

ويختتمها بالمشهد الرابع : الشاعر في مكتبه يحدث نفسه أو (صدى الأعماق) عن حياته الأليمة ، ويتخيل فيه محبوبته آتية اليه تحدثه ، وتأتي شخصية الزوجة في هذا المشهد لترى زوجها يتخيل ويتوهم ويعيش في أحلامه ، وتريد الحديث ولكنه يسكتها حتى يتم أحلامه ، فتنسج منه وتقول في بيت واحد فقط :

يارب إنك قلتها - شعراؤنا - في كل وادٍ هائمين مع الفكر

وينتهي المشهد بحديث الشاعر عن نفسه كما بدأه ويقفل الستار .

وقد جعل للمسرحية مكاناً وزماناً محددين (١) .

هذه المسرحية بأحداثها تعبير عن حياة الألم والمعاناة التي ذاقها الشاعر متمثلة في معاناة الحب والمرض والحياة الزوجية التعسة . وفيها انحصار ذاتي يعبر مباشرة عن معاناة الشاعر ، بحيث يشمل حديثه عن نفسه أبياتا متوالية تصل لمستوى القطعة التي تبلغ تسعة أبيات . ولاتكاد تختلف مسرحياته الشعرية عن أسلوب أدائه في الشعر الذاتي الغنائي وإن كانت معانيه ومبانيه أكثر فنية وخصوصية وإيحاءً .

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « ... لا يصح جعل لغة الحوار جملاً متتابعة

لا تتميز بها شخصية عن أخرى فلا تحدث أثراً ، ومن الخطأ أن تكون العبارة غنائية تهبط الى وصف مشاعر الذاتية للشخصية فتفقد القوة الحركية . . » (١) .

وقد نقد النقاد شوقي على ذلك لأنه « يقطع تواصل الدراما عند نهاية البيت الذي يتقيد بقافية وروي فيجعل النص التمثيلي ينحاز للشعر أكثر من انحيازه للحوار المسرحي الحركي . . . » (٢) .

فمثلاً في المشهد الثالث ، بعد إجراء العملية يحس الشاعر بثقل والآم تحتويه فيعبر عنها بتسعة أبيات متواصلة يقول فيها :

ماهذه الآلام في جسمي وفي نفسي واحساسى وروحي الغالية
صخر . . صخور فوق رأسي المنقل وعلى ضلوعي والحنايا الدامية

وبعدها يجيبه الطبيب ببيت واحد :

لكأنك الطفل المدلل في الأنام وكان غيرك لم يصب بتألم
ثم يأتي دور الألم في بيتين ، ثم يتابع الشاعر حديثه في بيتين ، ثم يداعبه الطبيب في بيتين ثم يأتي دور الأمل في ثلاثة أبيات يجيبه الألم برعشة :

ليته يرتوي مرة من رحيق الحياة الوليد
فيحس بها روضة تزدهر
ثم يشكو الشاعر أوجاعه في ثلاثة أبيات ، يجيبه الطبيب

حسبك الطب ماقد فعل ما الذي بعده تنتظر
منتهى الجهد قمنا به فاعتبر

ثم يصبره الأمل فيتابع الألم بخفوت :

أنت ياشاعري الفذ حلمي الأغر
إنت تحييا بأوهام دنيا تمر

ثم يختم المشهد بستة أبيات وشطره يتحدث فيها الشاعر عن ألمه ثانية .

ويلاحظ مما سبق أن الشاعر لم يجعل من الألم عدواً متجهماً بل يبدو وكأنه يستعذب ألمه وكان يسري على نفسه بالتفاؤل والأمل الذي ينشده ، فكان حديث الألم فيه نوع من الاشراف والتفاؤل ، وهو مع الأمل وجهان متساويان لا وجهان متقابلان ، فلم يحدث

(١) النقد الأدبي الحديث : ص ٦٥٩ .

(٢) كمال محمد اسماعيل ، الشعر المسرحي في الأدب العربي المعاصر : ص ٤٥ .

صراعاً بينهما في أسلوب مرارة أو تحد أو سخرية مثلاً .

ويلمح شعوره الدفين بالأمل في الشفاء وهو ما يتمناه ، وقد أنهى المشهد الأول بكلمة الأمل بقوله :

وتغمرك العافية لأيامك الآتية

كما أنه ألغى عنصر الألم في المشهد الثاني نهائياً وجعل الأمل يتحدث مرتين .

وقد أدار الحديث بلسان الألم أربع مرات في المشهد الأول وثلاث في المشهد الثالث .

أما الأمل فست مرات في الأول واثنتين في المشهد الثاني وواحدة في الثالث .

وبهذا يكون ميله الى الأمل أشد وأقوى ، الا أنه يغلب عنصر الألم حين يستسلم له ويشعر بمداومة آلامه وأوجاعه وخاصة في المشهد الرابع . حيث أكثر من الشكوى ورضخ للأوجاع ، بالرغم من عدم وجود للأمل والألم في هذا المشهد .

وهذا التراوح في الحوار بين الشخصيات يدل على تقلبات نفس الشاعر وثورته على نفسه مما حدا به الى محادثة نفسه متمثلة في صدى الأعماق الذي كان بمثابة جرس الإنذار يحادثه ويوجهه ويكشف عن خفاياه ، وقد أكثر من الحديث بلسانه فجاء ثمانى مرات في المشهد الأول وأربع مرات في الثاني وست مرات في الرابع ولم يكن له وجود في المشهد الثالث .

أما الأدوار الأخرى مثل دور الأم والطبيب : فتنحصر في المشهد الثاني والثالث ، ويأتي دور الأم مواسية معاتبة له على عكوفه على أدبه بينما هو مريض وذلك في أربعة أبيات تقول فيها :

تركتك صبحاً على مكتبك وها أنت باقٍ تغذي القلم
بني ترفق بقلبي وقلبك وأنت تعاقركأس البقاء

أما الطبيب فيأتي في عدة مواضع ، محاولاً التسرية عنه ويأمله في الطب الحديث . الخ .

أما المشهد الرابع فيكاد يحوز على حديث شكوى الشاعر وصدى أعماقه ، ويعود الشاعر لذكرياته في الحب والعذاب ، فيتحسر على ضياع أماله ومداومة أحزانه ويتخيل فتاة أحلامه في حديث صدى الأعماق حين جعله يتحدث عنها ويعبر عن حزنها وتصف تسلط أبيها حين حرماها من شاعرها الخ

ويأتي دور الزوجة التي تراه يحدث نفسه ويعيش مع ذكرياته وتحاول الكلام فيسكتها ثم تخرج غاضبة .

والمسرحية مترابطة الأجزاء متينة الأسلوب لايشوبها خلل أو تفكك . وقد سار في مسرحية (أضواء على المجهول) على الطريقة نفسها - تقريباً - في تحريك الشخصيات الحقيقية والوهمية وحواراتها . وهي في أربعة مشاهد ، شخصياتها :

الشاعر ، حواء ، كيوبيد وفينوس (رمز الحب ورمز الجمال عند اليونان)

الأصوات : صوت المجهول ، الطبيعة ، طفلة .

وتتلخص في خروج الشاعر الى الطبيعة البكر في تأمل يشاركه في ذلك صوت المجهول والطبيعة نفسها ، إذ يدور حوار بينهم ثم يشاركونهم كيوبيد وفينوس ليبينان براعتهم في زرع الحب والجمال . ثم يصف لقاءه بالطفلة التي هي فتاته الأولى ، فيخرج معها الى الطبيعة ويدور بينهما حوار طويل مع الأشخاص الأخرى ، يتحدثون عن الحب والجمال والفن ثم تهرب منه فيحزن ، ثم تعود اليه بكل الحب . وينتهي المشهد الثالث بسعادة غامرة ، ثم ينتقل منه الى الرابع بكأبة وسوداوية بحيث يظهر تفكك واضح وكأن كل مامر كان حلمًا وخيالاً . فيأتي بجملة مجازات وتشبيهات وصف بها تحول مغانيه الجميلة الى بقايا أطلال من غير أن يمهد لذلك الحزن العميق . كما أنه أسهب اسهاباً طويلاً في الحديث عن أطلاله في أبيات طويلة بلغت سبعة وعشرين بيتاً . وهي تعتبر قصيدة غنائية كاملة . وقد ملكت المشهد كله الا من بيت وشطره في بدايته لصوت المجهول ، وبيت وشطره بعدها للشاعر ثم بيتين لصوت المجهول يختم بها مسرحيته يقول

فيها : عشت ماعشت طيفاً رقيقاً وآل كل شيء هنا للردى والزوال
أنت لم تحي الا بدنيا الخيال نهزة العمر . . فاشرب كؤوس الليال

ومن البيتين هذين يتضح أن الشاعر كان في أحلام وخيالات هائماً يتغنى بمفرده لاجبية ولاحواء ، إنها هواجس النفس وتقليباتها .

واستعمل الشاعر في مسرحيته عدة بحور كان ينتقل فيها من شكل لشكل حسب دور كل شخصية وغلب عليه من البحور :

(الكامل ، المتقارب ، الرمل ، الوافر ، المتدارك) وهي البحور التي يستخدمها

الشاعر عادة في شعره كله .

وقد حاول أن يناسب بين اختيار البحر ومقتضيات الظروف النفسية للشخصيات ، كما أنه اتبع طرائق الوشاحين في المشهد الأول من (صخور العذاب) كقوله على لسان الأمل :

تيقظ ، بل وراقص في الغلس أشباح من عادك
وعاقر كأسها مع من جلس للشرب أمثالك
حياة الحب تسمو بالأمل في روضة النادي
وأيام الصبا توحى الغزل أحلى منى الصادي (١)

فهذه الأبيات بالتدوير تخرج كلها من الوافر .

- وامتازت مسرحيته (أضواء على المجهول) بالخفة والرقّة أكثر من أختها التي

اتسمت بالقوة والمتانة . كقوله من مجزوء الرمل على لسان الطبيعة : -

هاهنا الجدول يسري تحت أفنان رطاب
يذكر الرب هديراً ساعياً فوق الهضاب
والنسيم الرطب - سكران بنجواه السحاب

ثم على لسان الشاعر : - والرياض الزهر أضحت بالأمانى شادية

تنفح العطر الذي ناجاه عند الساقية (٢)

عندليب الحب يشسو بالمرائي الحانية

وكما كشفت أيضاً عن آراء الشاعر في المحبة ، وفي الفن والأدب ، وفي المرأة (حواء) حيث بدا فيها محباً عاشقاً متيماً وفيماً مخلصاً لنفسه ولحبه ولفنه مفتخراً بذلك :

أنا راهب الحب الظليل أنا عاشق الحسن الجليل (٣)

وهاتان المسرحيتان عبارة عن صورة حقيقية لحياة الشاعر ومعاناته وقلمها وشحها بخياله ، فمعظم أسلوبه سردي مباشر - وأحياناً - تلقائي ، ولكنه استطاع بلغة راقية وأسلوب متين أن يرتفع بهما عن السطحية والابتذال ، فقد ظهرت على مستوى من التقنية الفنية وعلى درجة كبيرة من البراعة النظمية من غير تكلف .

(١) وحي وقلب والحان : ص ١٥٠ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٣٠٧ .

(٣) السابق : ص ٣٠٩ .

وقد استطاع الى حد ما أن يستثمر فنيات المسرح الشعري في مسرحيته فإن المسرحية كما يقول د . أنيس المقدسي : « إما أن تركز على فكرة خاصة أو عارض عاطفي قوي ، فتنجسم في حادثة قصيرة يمثلها أشخاص قلائل ، وإما أن تكون معرضاً لحادثة رئيسية يتصل بها حوادث ثانوية شتى ويقوم بتمثيلها عدة أشخاص .. » (١) .

ويقول د . محمد غنيمي هلال : إن أهمية المسرحية أن تجمع الحكاية المحكمة وتصوير نفسية الشخصيات ، والفكرة والمشاعر المثارة في وحدة فنية متضمنه لهذه النواحي جميعها بصورة من الصور (٢) .

إضافة الى وجود عنصر الصراع ، والحدث المتطور الذي يمثل بداية ونهاية .
ومن هنا يمكن تلخيص مسرحيتي عبد السلام بالآتي :

١ - لا تقومان على حدث واحد يحمل فكرة واحدة تقوم على الصراع بين قيمتين ، لها بداية ونهاية ، إنما هي خطرات ينفس بها عن نفسه ، تحمل عدة أفكار يود بثها للآخرين ، فكرة حبه وفكرة مرضه وانشغاله بعمله وفنه وتأرجحه بين الأمل واليأس .

٢ - بعدت عن الحوار الدرامي الذي يناسبه وحدة التفعيلة ويقوم على تقطيع البيت أو الأبيات الى أجزاء تتوازع أبطاله على قدر حاجة الكلام ، وإنما اعتمد على وحدة البيت التقليدي ، بالتشكيل والتنقل من شكل لآخر ، واستخدم مجزوءات البحور ، واتصال الأشطر ، لتكون خفيفة طيبة للحوار .

٣ - اعتمد على تصوير الصراع داخل نفسه بأن جعل الشخص الوهمية أكثر حديثاً من الشخص الحقيقية التي جعلها شخصيات جانبية - في الأكثر - الأمر الذي طبع مسرحيته بطابع ذاتي ، وإن استطاع أن يوفق في رسم الصراع داخله في تأرجحه بين دفتي الأمل واليأس .

٤ - نشأت مسرحيته على أحداث ذاتية بحتة ، تدور حول عاطفته ومرضه ، الا أنه وهو ينطلق على ذاته ، يحاول تأصيل أفكاره وآرائه في المرأة والحب والفن والجمال ..

(١) الاتجاهات الأدبية : ص ٢٩٢ .

(٢) النقد الأدبي الحديث بتصرف : ص ٥٨٧ .

مما يمكن اعتبارها مواقف ثابتة ، ولعله الأمر الذي الجأه الى هذا اللون عارضاً ذلك بفنية أدبية عالية .

ومن هنا يمكن القول إن هاتين المسرحيتين لاتعتبران شعراً مسرحياً خالصاً بالمفهوم الصحيح للفن المسرحي ، وإن كان حاول به أن يغير طريقة أسلوبه العام ، وحاول رسم الصراع داخله بما يماثل صراع قيمتين كالواجب والحب - مثلاً - .

فالفكرة في المسرحيتين تقوم أساساً على تجربة عاناها المؤلف حيث كان بطلها ، ومدار أهم أحداثها وحيث كانت تلك الأحداث تمثل جزءاً من حياة البطل أو صفحة من حياته (١) .

واستخدم لغة سهلة بسيطة مباشرة ولكنها راقية سامية غالباً ، ولجأ الى التصوير والتشبيه وبعض المجازات في الأبيات الممتدة الطويلة مثل قوله يصف هول حالته

المأساوية :
يأتي عليّ الليل في رعب مثير متثاقلاً ، والنجم مرهوب النظر
والفجر حين تبهرجت مثل الحرير أضواؤه .. صفعت خيالي بالشرر (٢)

وله تعبيرات جميلة معبرة كقوله : -

قم بنا يا صاح نعدو خلف أنواء الزمان
نحطم اللوععات في أفواه لذات دواني
ثم نجلوهم قلب لآك أحلام الشباب
نجعل الأيام تغدو فرحة تملو السحاب
قم بنا للزودق الخالي نغني للحياة
في خضم الكائنات المشتكى هول الجناة (٣)

وقوله على لسان الأثم :

فابتسم يا ابن أمي ساخراً من رؤى بائدة (٤)

فهذا تعبير يوحى بالتآخي بين الشاعر والأثم لطول الصحبة والملازمة .

(١) لمزيد من التفاصيل عن مثل هذا الاتجاه انظر : الأدب القصصي والمسرحي في مصر احمد هيكل : ص ١٧٥ .

(٢) قلبي المناضل : ص ١٦٢ ، وانظر آخر مشهد في (أضواء على المجهول) .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٣٢٧ .

(٤) قلبي المناضل : ص ١٤٧ .

ومما سبق يتبين ميول الشاعر الى المذهب الرومانتيكي في التعبير عن الذات
وخوالجها وفي إدارة الحديث بين الشخصوس وفي إنتهاء المسرحيتين بالمأساة . وقد
أشاد الدكتور الفوزان بمسرحية (صخور العذاب) وعرض المشهد الأخير منها
ثم قال : « وهكذا أدركنا من خلال هذا النص المسرحي مقدرة هذا الكاتب على التعبير
عن هذه المأساة التي لم تمنعه من تأدية رسالة الفن » (١) .

* * *

(الأوبريت) :

نظم الشاعر إضافة الى المسرحيتين (أوبريتاً) قصيراً أسماه (هروب من
الجحيم) (٢) ، وهو لون من قبيل المسرحيات ، ومهد له بمقدمة يقول فيها :

« عنصر الشر في دم حواء الذي خرج بها وأدم من فراديس الجنان . . الى أرض
الشقاء ليس هو بأسطورة ، فالتاريخ منذ كان والى مشارف النهاية المحتومة . . وهذه
الذكرى المريرة تتكرر بصور لا تختلف الا في طريقة العرض . . كهذه التجربة العابرة ! »
والفكرة القائم عليها : تصوير عنصر الشر في حواء متمثلة في فتاة لعوب مرّ الشاعر
معها بتجربة فخرج منها برأي خاص عن المرأة .

قسم الأوبريت الى أقسام وسمى كل قسم على التوالي :

لقاء الحلم ، عبر النبع ، روضة الذكرى ، فجاعة العبث ، الحمم .

وكل قسم من الأقسام يتضمن أفكاراً خاصة :

لقاء الحلم : ابتهاج الى الله سبحانه صانع الجمال ومبدعه ، وهو تمهيد لما سيلي من
حديث عن المرأة في ستة أبيات ، إذ خلص من التمهيد الى ماخص الله به حواء
من نعم ولكنها لاتقنع بهبة الله عليها في قوله : « وياليتها تستطيب العطية » .

عبر النبع : ثمانية أبيات عرض لمشاعره تجاه الجمال وتقديره له ، وفيه وصف حسي
للجمال الأنثوي .

روضة الذكرى : تابع لما سبق ، حب الشاعر للجمال وشيء من الغزل ، يطلب من الجميلة

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، الجزء الثالث : ص ١٠٢٥ .

(٢) أنوار نعبية : ص ١٥١ .

خلع العباءة حتى لاتخفي الجمال عن الشاعر الملمهم يقول :

لم ترتدين ملاءة تخفي الجمال وبهجته
وتعانقين سوادها وصدى الخريف وثورته ؟^(١)

وذلك في عشرة أبيات وشطره .

ثم يأتي دور (فجاءة العبث) فينتقل فجاءة الى الهجوم على المرأة التي لم يكن يريد بها بهذه الصورة التي صورها ، بثلاثة مقاطع من الخماسي يقول :

أهذي أنت لاثوب ولاحشمة على العرييد من شط الهوى الصاحب
وهذي أنت لاحسن ولا بسمة بأيدي الذئب بين الكأس والصاحب
فعيشي مثلما يوحى لك الراغب

ثم يأتي آخر جزء (الحمم) : يصف فيه دنيا الفساد في الحانات والمراقص ...
في ثمانية مقاطع مختلفة من الثنائي والخماسي والثلاثي .

والأوبريت بأقسامه يعرض لرأي الشاعر في الجمال والحب ونظرته الى المرأة مثلاً
للطهر تمنح الجمال للفن والالهام لاغير ، لذلك فقد تفاجأ وفاجأنا حينما قفز في القسم
الرابع الى اتهامها بعدم الحشمة .

ولايقوم الأوبريت على الحوار الا في بيتين فقط .

ويشوب الأوبريت تفكك واضح بين أقسامه فلا رباط يربطها ببعض وخاصة ذلك
الانتقال المفاجيء الى القسم الرابع . ولايظهر المغزى الا في القسم الأخير من هذا
الأوبريت المسمى (هروب من الجحيم) أي جحيم ؟ الذي أرادت المرأة وضعه فيه فخرج
منه بأراء ساخطة على (حواء) . لذلك مهد للأوبريت بالمقدمة النثرية .

أما بقية الاقسام الأربعة الأخرى فهي مساندة أو مساعدة له ، أنطلق منها بالتدرج
الى ذروة العمل . بدأ بأسلوب عاطفي جميل فيه شيء من الغزل العف الرقيق ، ولكنه ما
أن دخل الى (فجاءة العبث ، والحمم) حتى تغير أسلوبه وأصبح خشناً وبألفاظ مبدوءة
وهو مايعبر عن استيائه من الفتاة :

(لاثوب ولاحشمة ، على العرييد ، الصاحب ، الذئب ، الكأس ، شوهدت ،

الجحيم العارم ، رقصة النيران ، جسمك اللاهب . . . ، لعنات ، الخنا ، لفظتُ
سيجاري ، لهب الجوى ، التوله والسراب . . .) .

وبهذه الألفاظ جسد الموقف وعبر عن استنكاره له .

وهو يعالج مشكلة اجتماعية ولكن من جانب عاطفي ، إذ يبدو أنه على علاقة بالفتاة
وكان يودها نقية عفيفة فلما رأى منها ما رأى ثار وغضب .

وقد استعمل الكامل والمتقارب والوافر والرمل والبسيط .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أنه يجمع في القسم الواحد عدة بحور من غير حوار
كالذي مرّ سابقاً في المسرحية ، فهناك ينتقل من بحر لآخر بحسب حديث الشخص ،
أما هنا فلا شخص ، إنما هي شخصية الشاعر والفتاة التي لم تظهر إلا في مقطع
صغير جداً ، والأوبريت بعد ذلك حديث مباشر من الشاعر ، يتمثل في مجاميع خماسية
وثنائية وثلاثية ينتقل فيها - أحياناً - من بحر لآخر ، وذلك في القسم الثالث والرابع
والخامس فقط . كقوله من الكامل بأربع تفعيلات :

حسناً مهلاً أنت يا ألق الصباح ورقته
ومدى الصبا ورؤى المنى . . وهوى الشباب ونضرته

وبعد ستة أبيات من هذا الشكل ينتقل بقوله :

أنت عندي حلم أيام طويلة سر إلهام وأحلام جميلة
فاعبري بي للغد المجهول نحيا في خضم ساحر والروح نشوى

ليت هذا الدهر ينسانا ونهنا (١)

فهذا مقطع خماسي من الرمل .

وفي القسم الرابع يستخدم الخماسي في ثلاثة مقاطع الأول من الوافر والثاني
والثالث من الرمل .

وفي القسم الخامس استخدم الثنائي والخماسي في أربعة مقاطع واحد من
الخماسي وثلاث من الثنائي من الكامل . ثم انتقل إلى البسيط في الثلاثي ، ثم يعود
إلى الكامل في الثنائي في مقطعين وإلى الخماسي في مقطع مع إضافة شطرة ختامية .

وهذا التنقل من بحر لبحر في قسم واحد له دلالاته النفسية فقد لوحظ أن الشاعر عندما يتحدث عن الفتاة بضمير الغائب يستعمل بحراً ما ، وعندما يحادثها بضمير المخاطب يستعمل بحراً آخر مثال :

عند انتصاف الليل اقبلت الذئاب وبدى الوجود بلا حدود أوزمان
ورأيتها تلك التي أغوت شباب تعطو بجيد الرثم في صدر المكان

هذان من الكامل ثم :

(ذوبي على الناي بالاحساس والحلم هيا ارقصي رقصة النيران في الظلم
حواء يا لعبة الشيطان لست لنا لفي ودوري مع الامصاص بالنغم
فذلة الليل في عينيك عاصفة بجسمك اللاهب المسعور .. بالنقم)^(١)

ثلاثة أبيات من البسيط ، ومادام هذا التنقل في البحور ينشأ بحسب التدفق العاطفي وبحسب المقام ، فلا نرى فيه عيباً ، بل على العكس لقد أعطى للأوبريت ما يتطلبه من حيوية وحركة وتصور أخرجه من رتابة المقطوعة الغنائية الكاملة .

* * *



الفصل الثامن



الدراسة الفنية

الدراسة الفنية

يتناول هذا البحث عناصر شعره الأساسية والبناء العام ، من حيث الإيقاع الموسيقي والمعجم الشعري ، والصورة الشعرية . وهذه العناصر مترابطة بطبيعتها ، لاتنفصل عن بعضها البعض ، الا أن طبيعة البحث تقتضي فصل هذه العناصر لدراسة خصائصها ومقوماتها .

* * *

أولاً : الموسيقى والتشكيل الشعري

عبد السلام حافظ شاعر ثرٌ مكثرٌ ينطلق في شعره على سجيته ، وأكثر شعره بوح بخواطره وتنفيس عن مكنونات صدره وإفصاح عن مشاعره وآلام نفسه . وقد أدى ذلك في مختلف قوالب التعبير الشعري ، وأكثر شعره جاء على ألوان من أساليب الأداء الشعري المقطعي الى جانب عدد كبير من القصائد التي التزم فيها بنظام القصيد ، وقد حاول الشاعر أن يجدد في شكل الأداء عنده والنظم على أشكال من المقطعات المتنوعة من الرباعي والخماسي والسداسي والسباعي والثماني والتساعي ، وأنواع من المسمطات والثنائيات والثلاثيات والبيت المزوج ، ولكن أكثر نظمه من الرباعي والخماسي بأنواعها المختلفة ، إضافة الى أساليب التوشيح والشعر الحر كما عرف (في بعض مراحل) . والغالب عليه الجمع بين أكثر من شكل ، كما أنه عادة ماينهي قطعه بشطرة أو بيت ختامي ويلتزم في بعضه مايشبه اللازمة أو قافية عمود القصيدة - كما تسمى في المسمط - ولا يقتصر التجديد على مجرد تنويع القوافي ، ولكنه يشمل الخروج على نظام القصيدة ، كالجمع بين الضروب والخروج على استوائية شطري البيت القصدي ، والبناء على ضروب وزنية محدثة لاتتقيد بعدد تفعيلات البحر . والسمة الغالبة على معظم أساليب أدائه المقطعي قلة التزامه بنظام الفقرة الدوري الذي تتكرر فيه وحدات متماثلة من أنواع البناء ، وذلك بما كان يحدثه من تلوين وتنويع وخروج بين الفينة والفينة على النسق العام للمقطوعة الواحدة .

وقد نبه الى هذا التلوين والخروج . عبد الله الحامد في قوله : « وقد استهوى تجديد الأوزان عبد السلام حافظ ، فوسع التجديد بصورة أوسع مما بدأه العواد ، وقد

استعمل حافظ الأعراب المهجورة أو النادرة . . « (١) .

على أن عبارة الدكتور : (تجديد الأوزان) تبدو فضفاضة ، إذ أن الشاعر مازال يستخدم البحور العربية ، على الرغم من التجديد والخروج الذي جاء في الشكل الخارجي لاغير .

ولاغربة أن يمارس عبد السلام قدراً من التجديد والتلون في أساليب الأداء الشعري متأثراً - لاشك - بالمحاولات المتقدمة في التراث العربي وفي أدب العصر الحديث ، كما - لاشك - أن له في شيء منها قدراً من المبادرة وجانباً من التجديد في أنظمة التقفية بخاصة تُعزى لاجتهاده الشخصي . وسوف يكشف البحث عن ولعه بتنوع الأشكال التي جاء عليها شعره المقطعي مما يفسر نزوعه الى المذهب الابداعي .

نظم الشاعر عدداً كثيراً من القصائد العربية التي التزم فيها وحدة الوزن والقافية ، (نحو ستين وهي ما أطلعت عليه الباحثة من الدواوين الخاصة بالدراسة) وإن كان في بعض منها قد أضاف شطراً ختامياً بقافية القصيدة ، الا أن ذلك لا يخرجها عن كونها قصيدية .

وسوف تعرض الباحثة نماذج لكل لون من ألوان أساليب الأداء عنده : -

- أنماط التشكيل المقطعي :

١ - البيت المزوج : (التصريح في البيت الواحد) كقوله : -

نكـرياتي يامـسـرة	خـضرة التسيار حمرة
أنت حلـم كنت فـكرة	أنت وهم . . كنت حـرة
أنت قلب أنت شـعره	أنت روح أنت سـحره
أشـعل الاحـساس نظره	من جمـال رفـ خطره (٢)

٢ - الثنائي : (رباعي الأشرط) كقوله :

قالت تحييني . ويبسم ثغرها	متلليء الأسنان بالذهب النضر :
كنا سمعنا عنك تنظم في الهوى	وتغازل الأطياف في دنيا القمر (٣)

ولكنه جاء في آخرها بثلاثة أبيات منفردة بقافية واحدة .

(١) في الشعر المعاصر في المملكة : ص ١١٩ .

(٢) أنوار ذهبية : ص ١٤٣ .

(٣) السابق : ص ٣٥ ، وانظر مثلها ، الأعمال الشعرية : ص ٤٨٧ ، وحي وقلب والحان : ص ٥٥ ، ص ٢٥٠ .

وقد جاء برباعي الأشطر في كل أنماط تقفيته ، وهو أكثر الأنواع شيوعاً في

شعره:

أ أ أ ، أب أب ، أ أ أ ، أب ج ب ، أ أ ب أ . (١)

وكان أحياناً ما يلتزم نمط قافية البيت الرابع في كل مقطع .

٣ - الثلاثي : (سداسي الأشطر) من ذلك قوله :

تضوعت يافطم مثل الشفاه	شباباً وألهبت في الحنان
هنا كنت رمز الهوى والحياة	هنا تزدهي في ضمير الزمان
وفي صدره الحالم الناعم	أمامي هنا في جلال المكان (٢)

وقد أضاف شطرين ختاميين في آخر هذه القطعة .

فهذا نسق تقفيته يجري على : أب أب ج ب ، كما وردت لديه نماذج الأنساق

الأخرى مثل : أب أب أ أ كقوله :

حبيبي مني قريب	وفي الغرفة الثانية
ولكنه لا يجيب	نداءاتي الحانية
وأسهر وحدي كئيب	ويسهر مثلي غريب (٣)

وأضاف شطراً ختامياً . وجاء منه على روى واحد مصرعاً كله :

لمن أهديك يا قلبي وأهديها	لهذا الشعر أم للفجر أبدية
فهيأ زهرة الأيام نرويها	لدنيا الفن قرباناً . . ونفديها
ويامن روعة الأوتار تحبها	خيالات . . ستهدينا ونهديها (٤)

٤ - الرباعي : (مثنى الأشطر) وهو كثير وأكثر أنواعه عنده ما حافظ فيه على

قوافي الضروب وخالف قوافي أعاريض الصدور ، ومنه قوله :

(١) انظر امثلة لذلك في أغنيات الدم والسلام : ص : ٥١ ، ترانيم الصباح : ص ٢٠ ، ص ٦٧ ، أنوار ذهبية :

ص ١١١ ، ١٤٥ ، الأربعون : ص ٧٣ ، ١٥١ ، وغيرها .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٣١ .

(٣) السابق : ص ١٨٢ ، انظر مثلها في أنوار ذهبية : ص ٩٥ .

(٤) الأربعون : ص ٧١ .

يا فطم في حبك العذري الحاني
ريع الفؤاد بهجر منك أذهلني
إن لأمني في هواك الناس قاطبة
دنياي يا فطم قد أمست مرارتها
أرسلتها أهة ضجت بحرمانني
وأشتط يلهب في جسمي .. فأضواني
فالكل يجهلني : صحبي وإخواني
للفتك .. حتى تهارت كل الحاني (١)

والقطعة من البسيط وجاءت عروض البيت الأول المصرفة مقطوعة .

كما جاء بثماني الأشطر على عدة صور ، كقوله :

ترى منهما ؟ ما الذي يهجان ؟ وماذا يعبر قلباهما ؟
أطفالن في الحب ؟ ما يفهمان ؟ وماذا يردد ثغراهما ؟
وفيم هما هكذا زاهلان ؟ ويصفي الوجود لنجواهما ؟
تقول الطبيعة : هذا الحنان وهذان إبناي أهل الجنان (٢)

القطعة من المتقارب ، جرت تقفيتهما : أ ب أ ب أ ب أ أ . وقد أضاف شطراً ختامياً في آخرها .

ويأتي بالثماني على : أ ب أ ب أ ب ، أ أ ب أ ب أ ب .

٥ - الخماسي : وفيه خماسي الأشطر (الخمس) وخماسي الأبيات ، والنوع الأول يكثر عند الشاعر كثرة بالغة ، ويتفنن في صياغة أشكال منه لاجتذاب القافية فقط ، بل بحسب رصف الأبيات أيضاً ، فيرتبها ترتيباً هندسياً حسب حالة التدفق العاطفي لديه وخاصة في شعره الوطني .

وخماسي الأبيات قد يأتي على : أ أ أ أ أ . وقد تتكرر قافية الخامس ، وقد لا تتكرر ، فمن خماسي الأبيات عنده قطعة (الهام من الشمال) (٣) وهي من مسدس المتقارب مدوره كلها بناها على ضروب مقصورة ومحذوفة وسالمة ، وحافظ في كل مقطع من مقاطعها على وحدة القافية .

أما خماسي الأشطر فذلك الذي يكثر عنده ، وهو الريعاني ماشغف به الشعراء الرومانتيكيون خاصة . ويأتي عنده بكل صور تقفياته :

(١) وحي وقلب والحان : ص ٧٠ ، ومثلها في ترانيم الصباح : ص ٦٢ ، تلمينتي : ص ٧١ ، الأعمال الشعرية ص :

٢٢٠ ، ص ٤٩٤ ، عبير الشرق : ص ٥٥ ، ص ١٢٧ ، أغنيات الدم والسلام : ص ٢١ ، ص ٨٢ . الخ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٢٤٨ . (وفي البيت الأول : ترى منْ هما ؟) .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٤ .

- أ ب أ ب ج كقوله :

وطني ٠٠ ومجد كرامتي الثائرة يا شعطي في عمري الشارد
وطن العروبة والمنى الزاهرة أنا لم أنم عن حقه الخالد
عن اخوتي المتشردين اللاجئين^(١)

- أ أ أ ب كقوله :

ذكراك لاتنفك ترقص في فمي والفكري هجس بالهوى المترنم
ولانت حاضرة بقلبي الملمم ومقيمة عندي ، ولكن في دمي
فتانة تلهو بأحضان النعيم^(٢)

وسائر الأشكال الأخرى :

أ ب أ ب أ ، أ ب ج ب ب ، أ ب أ أ ، أ ب أ أ ، أ ب ج ب د
... الخ .

٦ - السداسي : فما كان سداسي الأبيات ، فهو لا يقفى فيه الصدور عادة ،
وغالباً ما يأتي البيت السادس على روي مخالف لما قبله ، وقد يتكرر في كل فقرات القطعة
- أحياناً -^(٣) أما بالنسبة لسداسي الأشطر فذلك الذي يتفنن فيه الشاعر على أشكال .
وقد مر ذلك في النوع الثالث .

٧ - السباعي : من الأشكال التي يكثر منها الشاعر - أيضاً - وكثيراً ما يأتي به
مشطراً من مجزوء البحر ، والشطر السابع من مشطور تامه ، ومن أنماط تقفيته فيه :
أ أ أ أ ب ، أ ب ج ب د ب هـ ، أ ب ج ب د ب كقوله :

بني العرب هبوا لنيل العلا لحطم القيود لسحق العدا
بني العرب هيا لركب النضال نعيد الكرامة والسودا
نحقق أماني أوطاننا وجامعة ساد فيها الوداد
فنحن شعوب الهدى والرشاد^(٤)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٣٣٧ ، وانظر ص ٥٨٥ ، وانتظر ترانيم الصباح : ص ٧٥ ، ص ١٥٠ ، وأغنيات النم

والسلام : ص ٥٦ ، ص ٩٣ ، والأربعون : ص ١٢١ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٨٣ .

(٣) مثال . وحي وقلب والحان : ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٢٧٧ ، وانتظر امثلة لهذا النوع الأعمال الشعرية : ٢٤١ ، ص ٢٧٠ ، وحي وقلب والحان :

ص ٨٦ ، ص ٩٦ ترانيم الصباح : ص ١٣٣ . الخ .

فالبيت من الكامل ، الا أن التفعيلة الخامسة جاءت على (فاعلاتن) وهذا نادر عنده .

ويأتي بالهزج بخمس تفعيلات ، وهو بحر لم يستعمله العرب الا مجزوءاً
(٤ تفعيلات) كقوله : -

ربا الايمان تيهي وأزدهي عزاً على الدنيا بأعيادك

فعيد الناس أيام بهيجات ستمضي عبر أمجادك (١)

واستعمل المتدارك بخمس تفعيلات ، كما أستعمله مريعاً في الخماسي ، والشطرة
الخامسة منه بخمس تفعيلات كقوله :

عـرـرـيـدوا يارفـاق واشـرـبوا ياسقـاة

إن هذي الرقـاق من معاني الحياة

يومنا نهزة ثم تمضي كسحر الأصيل (٢)

واستعمل المتقارب بخمس تفعيلات ويسبع ، أما مثال الخمس (٣) فقوله :

بـعـيـداً بـعـيـداً هنا عن جنون النظر

وعن هجمة الظن ترمي زعاف الشرر (٤)

ويكثر من استعمال هذا اللون في الشكل الخماسي ، فيأتي بشطرة ممتدة بخمس
تفعيلات من المتقارب بعد بيتين من المجزوء ، كقوله : -

أحبـوـo

يـعـرـرـيـد عـنـد الـقـمـم ويـصـدح بـيـن الـحـمـم

وحبك زيف المجال . . طريد ضيرير (٥)

ويأتي به في السباعي الأشطر - أيضاً - كقوله :

(١) أغنيات الدم والسلام : ص ٢٤ ، وانظر ص ٦٧ منه .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٢٢٠ .

(٣) اشار الدكتور عبد الله الحامد الى هذا اللون ولكنه اخطأ في العدد ، فقال ست تفعيلات بدلاً من خمس وذلك في قوله :

« واستعمل بحر المتقارب من ست تفعيلات ، وهو نهج لم يؤثر عن العرب » واستشهد بقول الشاعر (ولكن حبي الكبير

يضي الليال) في الشعر المعاصر : ص ١٤١ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٢٥٦ .

(٥) السابق : ص ٤٢٧ .

أجل قد أتيت .. فكيف خطرت
خطاك وطيفك والحسن فيك
وصوتك همس ولاصوت فيه
وأصيحخ اليك .. فماذا نطقت
بكل نداء هنا قد أردت
وعيناك باحت بسرك أنت
بأحلام قلبك تهفو بشوق وليد (١)

أما مثال المتقارب بسبع تفعيلات فقوله :

أيا طفلة الحب .. الشوق يشدو ويذكو بعينيك ثورة (٢)

* * *

٢ - الخروج على استوائية الشطرين في البيت الواحد ، فيأتي بالصدر من أربع تفعيلات أو ثلاث - مثلاً - مع عجز بتفعليلتين أو واحدة ، وهو من طرائق الوشاحين الأندلسيين ، كقوله من بحر الرمل :

انكريني كلما عدت خيالاً حيالي
وانكريني عند غدران الربا في المساء
بل فهاتي معزف الحب نغني لليالي
نكرة الطيف المهاجر
والأصيل النضر ساحر
كلماً بالآه جـاهـر (٣)

فالشطر الأول بأربع تفعيلات [فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فعولن] التفعيلة الرابعة فيه ليست من البحر نفسه . أما الشطر الثاني فائنتان [فاعلاتن فاعلاتن] وهذا لون لم يؤثر عند العرب ، وهو عند الشاعر قليل .

يقول الدكتور عبد الله الحامد : « وهذا مذهب قال فيه اغلب المجددين الا أن الشاعر عني به أكثر فقد استخدم بحر الكامل على شكل عروض ذات أربع تفعيلات ، وضرب ذي ثلاث تفاعيل يقول (*) :

لو حدثوني عنك يا حلم الفؤاد الساحر
وتناقلوا ما فيك من فن وحسن أسر
وترنموا ببهاتك الطو النضير
ما صدق الاحساس أنك من عبير (٤)

ويأتي بشطر في ثلاث تفعيلات والآخر بتفعيلة واحدة في التوشيح كقوله :

(١) ترانيم الصباح : ص ١٢٣ .

(٢) أنوار زهية : ص ٨٧ .

(٣) وحي وقلب والحنان : ص ٢٥ .

(٤) عودة الفيضان : ص ٧١ .

(٤) في الشعر المعاصر : ص ١٤٠ .

هذا أذان الفجر قد كبرُ والليل ماد وأشرق الوجه الجديد
من بين قممها صحا يثارُ شعب أراد النور للوطن السعيد
ويبيد أكفان الظلام السائدة^(١)

• جاءت تفعيلة العروض على الأحذ المضمر ، بينما تفعيلة الضرب مذالة .

• أما الشطر الخامس فسالم ، وبهذا جمع بين السالم والأحذ المضمر والمذال .

ولما كان الشاعر في هذا يجمع بين الضروب ، فقد ساغ له من ثم الأخذ بالجائزة منها في التام وفي المجزوء . وله أشكال عدة منها :

— — متفاعِلن — — فَعْلُن (٢)

— — متفاعِلن — — مستفعل (٣)

— — فَعْلُن — — متفاعِلن (٤)

— — مستفعل — — مستفعل (٥)

هذا وقد يغير الشاعر - أحياناً - إضافة إلى وجود التصريع في البيت الأول في بعض هذه الأشكال .

هذا التغيير والتجديد لا يقتصر على بحر الكامل فقط ، إنه يجيء في بحر الرمل والوافر والبسيط - أحياناً - يقول الدكتور الحامد : إن الشاعر استخدم البسيط بضرب صحيح ولم يأت عن العرب صحيحاً ومثلاً لذلك بيت يقول فيه :

أعيانك الخضر يا أحلام تذهلني تلوينها السحر أم أحلامك الشاعرة ؟

وهو من ديوان (عودة الفيضان) ويقول : أو يستخدم العروض صحيحة :

كما أراها بهذا الروض قد أزهرها وضوعت فيه أورد الجمال البديع (٦)

(١) عبير الشرق : ص ٦٤ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١٩ .

(٣) الأربعةون : ص ١٤٦ .

(٤) السابق : ص ٥٩ .

(٥) عبير الشرق : ص ١٠٨ .

(٦) في الشعر المعاصر ، بتصريف : ص ١٣٩ .

وحاول الشاعر التجديد في البحور المستعملة كثيراً عنده كالرمل والوافر والمتقارب والبسيط ، ولكن الكامل أكثرها حظاً ، وهو البحر الذي يغلب على معظم شعره . ويمكن أخذ نماذج لبقية البحور :

- الوافر : لم يرد صحيحاً عند العرب ، وإنما جاء بعروض وضرب على (فعولن) ولكن الشاعر يأتي بها تامة صحيحة ، وروى له مسدس صحيح محدث (١) :

أهذا أنت حقاً جئت يا قمر ؟ بنصفك يا صديقي يطلع الخبر (٢)

- الرمل : يأتي بعروض غير صحيحة (فاعلن) ولكن الشاعر يأتي بها صحيحة كقوله :

أنت لست اليوم يا إلهام طفلة ابنة للتسع حقاً يا صغيرة (٣)

وأتى بها على (فاعلان) كقوله :

عبقري الجيل ضل الشانئون قد تمادوا في التجني والظنون (٤)

وإستخدم مجزوء المتقارب بعروض صحيحة وضرب صحيح كقوله :

وأهتف : أين حبيبي ؟ نداء شبابي المغرب
لهيب بقلبي الكئيب وهمس فؤادي المعذب (٥)

وإستخدم المتدارك منهوگاً أو مشطوراً بعروض وضرب (فاعلان) كقوله :

عسريدوا يارفئاق واشربوا ياسقاة (٦)

* * *

(١) الجوهرى ، عروض الورقة ، تحقيق وتقديم : د. صالح جمال بلوي ، ص ٦٧ .
(٢) الأريعون : ص ٩٠ ، وانظر : ص ٥٤ ، ص ٧١ ، أغنيات : ص ٩٣ .
(٣) أنوار ذهبية : ص ١٠٧ ، وانظر ترانيم الصباح : ص ٣٠ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، والأعمال الشعرية : ص ٣٦٦ ، ٤١٣ ، وأغنيات : ص ٤٦ ، ٧٠ ، والأريعون : ص ٩٢ ، ١١٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، الخ
(٤) الأعمال الشعرية : ص ٥٤١ .
(٥) السابق : ص ٥٨٥ .
(٦) وحي وقلب والحان : ص ٢٢٠ .

٤ - خروجه على انتظام دورية المقاطع في المقطوعة الواحدة ، فكثيراً ما يخرج عن النظام الذي بدأه بحيث تصبح المقطوعة أشتاتاً من ثنائيات وثلاثيات ورباعيات وخماسيات . الخ . و (راهب الفكر) مثال واحد لذلك ، وهو عبارة عن مقطوعة واحدة تمثل الديوان ، ولعل طولها هو الذي جعل الشاعر ينتقل من شكل لآخر ، فقد بدأ بالثنائي ثم الثلاثي ثم الرباعي وهكذا ولا يلتزم بذلك . و (نبوة الشاعر) من ديوانه (مذبح الأشواق) مثال آخر للانتقل من شكل لآخر ، الا أنه هنا يخضع لأسلوب القص حيث يقص فيه حكايته مع فاطمة .

ولكن الاختلاف والتنقل في المقطوعة الواحدة يكثر في ديوانه الأول (وحي الهاجرة) وهذا التنقل يعبر عن أحوال من التقلب وعدم الاستقرار ويعكس حالة نفسية تنزع الى التقلب والتلون ، وربما يكون السبب الآخر نظمه له في سن مبكرة في السابعة عشرة من عمره - كما تشير أقدم قصيدة فيه - ويبدو أن الشاعر قد حذف بعض الأبيات من بعض المقاطع مما أظهر هذا التفكك والخلل في الشكل الواحد ، ويمكن التمثيل لذلك بعدة قطع ، ففي مقطوعة (مجنون ليلاه) (١) ينتقل الشاعر من الثلاثي الى الثنائي ثم الرباعي ثم يعود الى الثنائي ثم الرباعي ثلاث مرات ثم ثنائي ويختمها بثنائي آخر . وفي (ضرام الشك) (٢) ينتقل من الثنائي الى الرباعي أربع مرات ثم الى السداسي . وفي (لوعة الذكرى) (٣) يبدأ بثلاث فقرات كلها من الثنائي ثم يأتي بالثلاثي ثم الخماسي ثم الثنائي مرتين ثم الثلاثي ثم الثنائي مرتين . وفي (الحلم السعيد) (٤) يبدأ بثلاث فقرات من الثلاثي ثم ثنائي فسباعي ثم خماسي ثم بيت مستقل ثم خماسي ويمكن التمثيل لذلك :

محياك نضاح بالنور باسم وقلبك رجاف بالطهر واثق
فقسومي على ضوء بدر ناشد إله الطبيعة سر الخوافق
ومعبدنا الطهر جرم المغارم

(١) وحي وقلب والحان : ص ٦٢ .

(٢) السابق نفسه : ص ٨١ .

(٣) السابق : ص ٩٤ .

(٤) السابق : ص ٢٠ .

نغني بدنينا الفنون الظليلة لأحلامنا والمعاني الجميلة
فحسبك نشوان عذب المجاني بأضواء سر الجمال الفريد
وأنت رواء الهوى والأغاني وزهرة أيام حب سعيد
وقد نادى الحسن فيك النسائم

وهذا الخروج في غير هذا الديوان لا يرد كثيراً ، اللهم الا في ذلك الشكل المسمى (التطريز) والذي اهتم به الشاعر في مدائحه والمناسبات الاجتماعية الأخرى ، والتنقل ينشأ من استفتاح الأبيات بالأحرف المكونة لأسم المدوح ، فمثلاً (ميلاد فوز) (١) مقطوعة صغيرة في التهئة بمولودة اسمها (فوز كردي) فكلمة فوز بثلاثة حروف يبدأ بها ثلاثة أبيات ، وكلمة كردي أربعة حروف يبدأ بها أربعة أبيات ، ومن هنا يأتي الاختلاف . ولشدة ولعه باللازمة فقد أضاف شطراً ختامياً فيها ليس من ضمن التطريز .

* * *

هـ - اعتناؤه باللازمة ، وهذا أعطى لشعره خصوصية لكثرة وجودها في قصائده ومقطوعاته .

يقول الدكتور عبد الله الحامد : « وما علمت - فيما قرأت - شاعراً من شعرائنا المحليين عني باللازمة مثمما عني بها عبد السلام هاشم حافظ » (٢) .

ويأتي بها على أنواع كثيرة ، كأن يضيف شطراً إضافياً في قصيدة ما أو أكثر من شطر ، أو بيتاً وعدداً من الأشطر فيجمع في القطعة بين المبيت والمشطر ، ومن ذلك مقطوعة سباعية الأشطر في آخر مقطع منها يقول :

ولكن حلمي مجال بعيد وحسبك أنت بهمس يعيد
ستمضين عني خرافة يوم أتى .. والدجى خلفه بالقيود
ويلتقم التيه أبهى جمال عبرت به .. راجياً لو أعود
فلاحظ لي من جناه ولا في الورود

ثم يختمها بثمانية أشطر إضافية أربعة بقافية خاصة ، وأربعة بقافية الشطر السابع الذي يتكرر :

(١) الأريعون : ص ١٥٦ .

(٢) في الشعر المعاصر : ص ١٢٨ .

لأشهد صفو الينايع يروي الشعور
وأرتاح للمنظر الحالم بين الزهور
تغذيني من رؤاك ونجوى الطيور
بهمسك ياحلوة الهمس يزهو السرور
فهل لي بهذي الخيالات أن أستزيد
وأمل حلماً يهدد لي ما أريد
أم الوهم يكفي .. وأحلم حول الورود
وأبقى لظى حارقاً في متاه الشرود (١)

وقد تكون اللازمة بمثابة القرار في التوشيح ، تتكرر في عدة مقاطع كما في مقطوعة (الى الصلاة) (٢) حيث يكرر جملة : (هيا قم بنا للصلاة) وهي من مشطور المتدارك والقطعة كلها من مجزؤه ، يقول فيها : -

قم نلبي نداء الاله في تراتيلنا للصلاة
في الخشوع وهمس الشفاه سجدة كلما قيل : أه
مثمما صلى للنجاة قبلنا انبياء الحياة
يسألون جلال الاله
هيا قم بنا للصلاة

وأحياناً يكررها بمفردها من غير ذلك الشطر قبلها .

ويتقن الشاعر في أمر اللازمة هذه ، فيحور ويغير فيها ، وعادة مايضيف للشكل الخماسي أو السباعي - مثلاً - شطراً إضافياً في كل مقطع من المقاطع ، فيصبح الخماسي - مثلاً - بيتين وشطرين . وهذه الشطرة في الخماسي أو السباعي أو التساعي إما أن تأتي من سطر البحر نفسه أو من مجزؤه أو مشطوره ، أو تأتي بخمس أو بسبع تفعيلات وهذا يخضع لقوة الانفعال والفورة العاطفية لديه ، كقوله :

أنت يا أرض للناس أم رؤوم أم تخذت الدنى للأسى والهموم
هذه الكائنات التي استعبدت للضنى فوق جنبيك ماذا تروم

بين باكٍ وشاكٍ وسالٍ وراجي المنى في سهوم (٣)

(١) ترانيم الصباح : ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٢٠٨ .

(٣) الأعمال الشعرية : ص ٢١٢ .

فالمقطوعة (خماسية) من بحر المتدارك جاء البيت الخامس من مجزوء البحر ولكنه جعله على شطر واحد واصفاً حال هؤلاء الناس الذين يعانون البؤس على أرضهم .
ولعل هذا الخلط بين البحر ومجزؤه - وهو كثير عند الشاعر - هو الذي جعل الدكتور عبد الله الحامد يقول :

« ... وجمع بين بحرین کل بحر فی بیت ، وجمع بین بحرین کل بحر فی بیت ،
واستخدم مجموع البحور ... » (١) .

فمما بين يدي البحث من دواوين لم يلحظ الخلط الذي قال به الدكتور الا في الخلط بين الضروب ، اللهم الا مقطوعة في ديوان (وحي الهاجرة) عنوانها (لست أدري) يجاري فيها (إيليا أبو ماضي) يقول فيها :

يا فطم يادني بالامل	أنت الصبابة والغزل
يا صورة الحسن التي	تروي توارينخ الأول
يا بسمة الحب التي	ترنوا الينا في جـذل
قبلت فـأها والسنا	أم همت في الخد الاسيل ؟

لست أدري . (٢)

فالأبيات من مجزوء الكامل . واللازمة (لست أدري) من تفعيلة الرمل (فاعلاتن) ويلتزم بها في كل مقطع من مقاطعها الأربعة .

وهذا ليس معناها خلط في البحور ، إنما استقى اللازمة بلفظها ووزنها من إيليا ابي ماضي وأدخلها مقطوعته .

وهناك مثال آخر يقول فيه : -

وهذا فعل حوراء المقل	يا حاني الساعـد
وتسبيك الغواني بالحلل	في الهـيكل الناهد (٣)

فالشطر الأول يظهر من الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعل) .

والشطر الثاني من مجزوء البسيط (مستفعلن فعلن) .

(١) في الشعر المعاصر : ص ١١٩ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ٢٨ .

(٣) السابق : ص ١٤٩ .

وهذا ظاهر الشكل ، ولكنه بالتدوير يخرج كله من مجزوء الوافر

وهذا فعل حوراء المقل يا حاني الساعد

٥ / ٥ / ٥ // ٥ / ٥ / ٥ // ٥ / ٥ / ٥ // ٥ / ٥ / ٥ //
مفاعلتن / مفاعلتن / مفاعلتن / مفاعلتن

وقد انتقل من بحر لبحر في أوبريت (هروب من الجحيم) بحسب التدفق الدرامي ،

وهذا الانتقال يتطلبه العمل المسرحي ليخرج من رتبة القصيدة الغنائية .

وبهذا فلا يوجد خلط في قصائده ومقطوعاته الغنائية .

ونقدم فيما يلي تحليلاً وزنياً موجزاً لعدد من القطع الشعرية كاملة ، بما يعين على

تلمس أنماط هذا التلوين عنده في الإيقاع الشعري . وسوف يكون الاختيار عشوائياً من

أكثر نواوينه . وسوف يُركز على أكثر الأنماط استخداماً لديه .

- من المربع عنده : مقطوعة (أمجاد السماء) (١) من المربع تقفيته أ ب أ ب ،

تتكون من تسعة وأربعين مقطعاً من الكامل كلها من البحر عدا المقطع الأخير الذي

جاء من مجزوء البحر في ستة أبيات ، وقد جاءت بعض مقاطعها على أشكال أخرى

في التقفية : أ ب أ ج ، أ ب ب أ ، أ أ أ ، وهذا التغيير لعله بسبب طول

المقطوعة التي تربو على المائة بيت .

- ومثلها مقطوعة : (بوح من الأرز) (٢) تتكون من خمسة وعشرين مقطعاً من

المتقارب جاءت تقفيته : أ ب أ ب ، ولكنه في ثلاثة مقاطع أتى بها على : أ أ أ

• وأضاف شطراً ختامياً بقافية الأخير .

- وفي (منطلق الأمجاد) (٣) سار على القافية نفسها : أ ب أ ب في أحد عشر

مقطعاً رباعياً . ولكنه في أحد مقاطعها جعله على ثلاثة أبيات بقافية واحدة وأضاف

شطراً ختامياً في آخرها بخمس تفعيلات من المتقارب .

(١) أنوار ذهبية : ص ٥٩

(٢) السابق نفسه : ص ٤٩

(٣) السابق : ص ١١١

وهذه الطريقة في السير على المربع بأنواعه ثم اختتام المقطوعة بشطرة ختامية مما يكثر عنده جداً . وهو في أحيان يحافظ على نظام المربع الذي بدأه كما في مقطوعة (إطلالة من الايشارب) (١) حافظ فيها على نظام المربع : أ ب أ ب في مقاطعها التسعة ولم يغير أو يخرج عنه . وهذا عنده قليل فالغالب هو الخروج عن المحافظة على مثل هذا .

- من الخمس عنده : (رفض للمأساة) (٢) خماسية من سبعة مقاطع كل مقطع خمسة أشطر ، الأولان والأخيران مزدوجا التقفية ، والشطر الأوسط مختلف : أ ب أ ، وقد أقام هذه القطعة على ما يشبه المربع أو الدوبيت الأعرج مختتماً بشطرة تعتبر بمثابة القرار في كل مقطع ، وهي على شطر الكامل يقول في المقطع الأخير منها ، وقد جاء به مذكراً وحده :

مـيـلـاد أـرضـي . . عـيـدهـا رـفـت رؤاه
وتـطـلـعـت لـغـد . . تـغـذـيـهـا الشـفـاه
يـاعـالـم الإنـسـان حـقـك شـعـشـعـت
أضـواؤه . . وينا تـلـالـأ في عـلـاه

وإذا ارتقى شعيب تمجده الحياة

- ومثلها في أسلوب التقفية قطعة (عبير الشرق) (٣) والتي عنون بها ديوانه ، وهي من أحد عشر مقطوعاً ، المقطع الأخير كرر فيه الشطرين الأولين والأخير من المطلع ، وتختلف عن سابقتها في أن شطر القرار جاء على خمس تفعيلات من المتقارب راجح فيها بين السالم والمقصور والمحذوف : فعولن ، فعول ، فعو .

- وفي مقطوعة (راجعون) (٤) جعل تقفيته على : أ ب أ ب ج من الكامل ، وجعل قافية البيتين في العروض والضرب على (فاعلن) وبعضها على (فاعلان) أما شطر القرار فجاء به مذكراً ، وتكرر قافيته في كل مقطعين . وقد أضاف شطراً ختامياً في آخرها بقافية القرار الأخير ، وهي من ثمانية مقاطع .

(١) ترانيم الصباح : ص ١٠٨ .

(٢) عبير الشرق : ص ٧ .

(٣) السابق : ص ٤٧ .

(٤) أغنيات الدم والسلام : ص ٥٦ .

- ومثلها مقطوعة (صحوة المارد) (١) من الوافر في عشرة مقاطع ، ردد فيها الشطر الخامس بقافيته ولفظه مع تغير طفيف فيه ، وتختلف عن سابقتها في أن شطر القرار جاء على أربع تفعيلات من الوافر .

- وقد نظم من الخماسي على شكل آخر ، ففي مقطوعة (رسالة الى قومي) (٢) جاء نظام الخماسي ، بيتين وشطرين ، لابشطر واحد ، التزم به في المقطوعة كلها :
أ ب أ ب ج ج والشطرين بأربع تفعيلات من الرمل مذالة - في أكثرها - وتتكون من أحد عشر مقطوعاً ، المقطع الأخير جعله على أربعة أشطر بقافية واحدة ، ولاتتكرر قافية الشطرين في المقاطع . يقول فيها :

يابني قومي وحكام البلاد من مليك اورئيس أو أمير
يابني قومي وأمال الجهاد من شعوب وانتفاضات الشعوب

هذه أيامنا تستصرخ الروح الأمين
هذه أعلامنا تشكومع الخفق الحزين

- ومثلها مقطوعة (شهداء) (٣) جاءت تقفيتهما : أ ب أ ج ج ، في أربعة مقاطع من البسيط ، وتختلف عن سابقتها بأن الشطرين من سطر البسيط تتكرر قافيتهما في المقاطع كلها ، مما يجعلها تبدو كالموشحة ، أضاف شطراً ثالثاً ختامياً في المقطع الأخير ، كما أنفقت قوافي الأشطر مع قوافي الأبيات فيه على أ ب أ أ أ .

وهكذا يلون الشاعر ويشكل في خماسياته ، وهو أحياناً ما يحافظ على الشكل الواحد في المقطوعة الواحدة كما في مقطوعة (مقاتلون .. لاجئون) (٤) التي جاءت تقفيتهما على : أ أ أ أ أ ، وهي من الرمل ، تتكون من تسعة مقاطع خماسية ، حافظ فيها على وحدة المقاطع ، وقد راوح فيها بين السالم والمذال - كعادته - يقول فيها :

(١) أغنيات الدم والسلام : ص ٩٣ .

(٢) السابق نفسه : ص ٧٠ .

(٣) السابق : ص ٨٨ .

(٤) السابق : ص ٤٦ .

من أنا . . . والظلمة الرعناء غلي؟ بين مجهول مسيري . . . بالذلي؟
أخرجونا . . . والصغار الزغب حولي يلعقون المر في هم وسؤل

يسألون الدهر : هل نقضي بهول؟

- من المسبب عنده : (الثورة في كل مكان) (١) من مجزوء الكامل سباعية ، الشطر السابع من شطر البحر تقفيته على : أ أ أ أ أ ب ، وتكرر قافية السابع في كل مقطع من مقاطعها الأثني عشر ، وقد أضاف شطراً ختامياً في آخرها ، كما راح فيها بين السالم والمذال .

- وفي (صرخة البعث) (٢) نظمها من المتقارب في ثلاثة مقاطع ، الشطرة السابعة فيها تتكرر بلفظها وقافيتها ، وقد أضاف شطراً ختامياً في آخرها .

- أما مقطوعة (يا أجلى صباح) (٣) فجاء بقافيتها على : أ ب أ ب أ ب . في أربعة مقاطع من الكامل ، الشطرة السابعة من مجزوء البحر بأربع تفعيلات مذالة كلها أضاف شطراً ختامياً في آخرها .

هذا وقد حافظ على الشكل السباعي في مقطوعة (الغرام الطعين) (٤) التي جاءت تقفيته على : أ ب أ ج أ د . في تسعة مقاطع من الكامل راح فيها بين السالم والمذال .

مامضى كان شرحاً موجزاً لقطع كاملة لأهم الأشكال وأكثرها وروداً في شعره ، وقد ظهر ميل الشاعر الى التلوين والتغيير - كثيراً - فيها بما يدل على شغفه بتنوع الأشكال والأنماط ، وقد ظهر - أيضاً - محافظته على الشكل الواحد - أحياناً - ولكنه الى التلوين أميل .

* * *

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٤١ .

(٢) السابق : ص ٢٧٧ .

(٣) أنوار نهمية : ص ١٠١ .

(٤) وحي وقلب والحان : ص ٨٦ .

- ومقطوعة (ضباب الذكريات) (١) من المتقارب جاءت على بيتين من خمس تفعيلات ثم ثلاثة أشطر من ثلاث تفعيلات ثم بيتين من خمس ، وتتفق قافية البيتين الأولين مع قافية آخر بيت في كل قسم ، بينما تتفق الأشطر الثلاثة مع البيت قبل الأخير منها ،
مثال :

عجبت وأحرى بمثلي أن يعجبا
وثرث وأحرى لمثلي أن يصخبأ
هتكت ستور الغيوب وفي أملسي أن أثوب
الى الرشد بعد الهروب
وأن أعمار القلب في النور قبل الغروب
وأن أحطم القيد عليّ أرى مهرباً

وتتكون القطعة من عشرة أقسمة بهذا الشكل ، وقد أضاف على القسم الأخير بيتين بقافية الأبيات قبلها .

- وفي مقطوعة (الى شاعرة) (٢) أتى بها على شكل الخماسي ، بيتين وشطره من الخفيف ، الشطرة الأولى من البيتين بثلاث تفعيلات ، أما الشطرة الثانية فهي بتفعيلة واحدة ، والشطر الخامس على ثلاث تفعيلات تتكرر قافيته في كل مقطع بمثابة القفل كقوله :-

هلل الربيع بثوب الجمال في الورود
وانتشى يضاحك سحر الدلال في الخود
والشذا يعانق فيها رواه

وتتكون من تسعة مقاطع ، والمقطع قبل الأخير عبارة عن أربعة أبيات من غير شطرة والقسم الأخير بأربعة أبيات وثلاثة أشطر (٣) .

فهذه أشكال تسير على شكل التوشيح الأندلسي أو التوشيح الجديد الذي يسير على طرائق بعض المهجريين . ويلاحظ أنها جاءت في دواوينه القديمة التي تختلط فيها الأشكال وتتلون ، ويندر أن تأتي مثل هذه الأنماط في دواوينه المتأخرة .

(١) وحي وقلب والحان : ص ٧٢ .

(٢) السابق : ص ٢٢٢ .

(٣) انظر مايقاريتها في (سمراء) ص ١٢٥ ، وايضاً : (وحي وقلب والحان) : ص ١٨٠ .

ويبدو أن الشاعر بعد أن أستقر به الحال ، قلل من غمار التشكيل ، وأكتفى بنماذج من المقطعات المألوفة ، كما أنه عاد إلى نظم القصيد كما في ديوانه الأخير (الأربعون) .

* * *

- الشعر الحر عنده :

نظم الشاعر - فيما هو موجود بين يدي البحث من دواوين - نظم من الشعر الحر نحو ثماني عشرة قطعة ، عشر منها من بحر المتقارب ، وست من الكامل ، وواحدة من الرمل، وواحدة من المتدارك . وسوف نقوم باستخلاص بعض الملحوظات عن مميزات هذا اللون في شعره : -

١ - إن نظمه على هذه البحور بالذات في كتابه الشعر الحر له مميزات فقد أتاحت له الانطلاق والحرية في التعبير عن انفعالاته ، وخصوصاً اعتماده على بحري المتقارب والكامل ، وذلك من وجهين : أحدهما قيام هذه البحور على تفعيلة واحدة متفردة ، وكثرة الضروب فيها وقابليتها للسعة في التنوع مما يمنح الشاعر راحة ، فلا يجد عناءً أو مشقة في تنظيم الكلام . والوجه الآخر : خفتها وخاصة أن الكامل يأتي في معظم مقطوعاته مضمراً زحافاً فيشبه الرجز ، وبهذا يصبح خفيفاً نشطاً ، والمتقارب خفيف بطبيعته ، وهذا يمنح الشاعر حرية تامة فينطلق كالسيل لا يصدده شيء ، تفيض مقطوعاته بمشاعر الأمل ، فتكثر الصور والتعبيرات التي تلائم التجربة الشعرية ، وتعبر عن العاطفة المتوقدة .

٢ - كثرة الأَشطر المتساوية في أكثر مقطوعاته ، بحيث يكون كل شطرين بيتاً عربياً ، كقوله في مقطوعة (الجبار الصغير) :

في فجر يوم مرعد ولد الأمل

وتولدت معه العواطف والأمل (١)

(١) رحي وقلب والحان : ص ١١١ .

فهذان شطران متساويان في عدد التفاعيل والوزن ، بحيث يمكن كتابته بشكل بيت عربي . ومنها قوله :

فإذا احتوته الغرفة الصماء قلب طرفه
بين الفضاء وكتبه
وأمرٌ بالكف النديّ على الجبين
يستحضر الوعي البعيد وينثني
لدراسة لاتنتهي الا به
وينفسه حلم تجسده الرؤى
ورواية بيضاء تستبق الزمن
في حب فاتنة بعمر طفولته (١)

فالشطران الأولان يشكلان بيتاً قصدياً وما بعدهما أشطر مستوية . كما يمكن أن يتكون من بعض الأشطر شعر مسمط خماسي كقوله :

قلبي يلوعه غرام فتاته
ويهيم بالحسن المغلف بالكمال
أحبابه مردوا عليه مع الربيع
في حزن أيامي الحزينة شيعوه
في لجة الاعصار هم قد ضيعوه (٢)

ويأتي بالشكل الخماسي الذي تتفق فيه قافية الشطر الخامس مع قافية البيت الثاني وهو لون عرف عن الشاعر في خماسياته :

قلبي يلوعه غرام فتاته ويهيم بالحسن المغلف بالكمال
أحبابه مردوا عليه مع الربيع في حزن أيامي الحزينة شيعوه
في لجة الاعصار هم قد ضيعوه

(١) وحي وقلب والحان : ص ١١٤ .

(٢) السابق : ص ١١٨ .

وفي مقطوعة (بين أمس ٠٠ والغد المجهول) يأتي بأشطر متساوية تتكرر فيها بعض الألفاظ وتتناسق مما يعطي لشعره السمة الغنائية (١) ويمكن ترتيبها على هذا الشكل :-

والردى يدفع الروح بين السهام	سوف أمضي كأنني بسم سقيت
والأسى يعصر القلب تحت الرغام	سوف أمضي وفي النفس صبر مميت
عاش في معزل عن جمال الدنى	سوف أمضي كشيء زهيد الثمن
غانم الأفق يسعى بليل بهيم	سوف أمضي غريباً كحظى الشريد
خافت الصوت أمشي بخطو سقيم	سوف أمضي كأن لم أكن في الوجود

فلولا قافية البيت الثالث لكانت الأبيات قطعة من الشعر القصدي ذات موسيقى عذبة نتيجة التقسيم بين التفاعيل التي تتجانس وتتسق بنظام .

٢ - يتكرر في شعره الحرف الروي مقترناً أو مفترقاً - أحياناً - في عدد من الأشطر المتتالية وتأتي قوافيه - غالباً - مذالة مما يضيف على شعره موسيقى عذبة كالمثال السابق ، وكقوله مثلاً :

غم عيني ظلام رهيب
راعني منه طيف كئيب
دائراً في محيطي الغريب (٢)

وقوله :

تلاشى ضباب الحياة البديد
وولى الخريف الطريد
وراح الشتاء يهيم على بابه
وحل الربيع الوليد
وما زال خلف السياج العتيد
خيالان للشك والحيرة العارمة (٣)

(١) الأعمال الشعرية : ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢) السابق : ص ١١٢ .

(٣) سمراء : ص ٩٦ .

وهذه المقطوعة مليئة بهذا الشكل من التقفية كقوله فيها :

أغار عليك ٠٠ أغار أغار

وفي غيرتي نيزك وادكار

أغار من الفجر حين يضحى جفونك

من الضوء يرقص حول جبينك

ويمرح فوق الدثار

لحبك إني أغار أغار (١)

٤ - يتراوح طول الشطر في شعره الحر ما بين تفعيلة - ومثل هذا قليل - الى خمس

تفعيلات ويندر أن يرد شطر بست تفعيلات والذي يكون بيتاً تاماً أو مجزئاً من البحر ،

كما في المقطوعة السابقة (لجاج الغيرة) : -

أغار من القمر العابر الأفق بين الفضاء

فهذا بيت كامل من مجزوء المتقارب بست تفعيلات .

وأكثر ما يرد عنده ثلاث الى أربع تفعيلات في كل سطر .

٥ - يزوج الشاعر في شعره الحر بين الأسلوب التقليدي وأسلوب التجديد ، خالطاً ألقاظاً

قديمة وصوراً تقليدية بصور وألغاز حديثة كقوله يصف محبوبته :

فيك القوام كأنه (فينوس) تبعث من جديد

فيك الخدود كأنها شفق الأصيل

فيك النواظر مثل حوراء الجنان (٢)

فرمز (فينوس) وأمثاله من معجم لغة الشعر الحريتلئم مع الشكل ، ولكنه

سرعان ما عاد الى التقليدية في التشبيه ، بشفق الأصيل وحور الجنان ، ومن ذلك قوله :

هذا نظام حياتنا / رقص الربيع له وعربد بالحياة الناعمة

دنيا من الألحان والأزهار والصفو العميق

نعمت به أفكارنا في ظلها / وهفت لفرحتنا الطيور الهاجعة

وشدت بها ومضت ترجعها الجداول في الرياض الوادعة (٣)

(١) سمراء : ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٨٧ .

(٣) تلميذتي : ص ٢٩ .

فهذه الألفاظ والتعبيرات من الأساليب التي شاعت في الشعر الحر أو الشعر الحديث،
بما تمتلئ به من صور من الطبيعة : (رقص الربيع ، عريد بالحياة ، دنيا من الألمان
والأزهار . . هفت الطيور ، رجعتها الجداول في الرياض . .) ولكنه تبعها بقوله :

وشدت لنا قمرية الصبح الأغر

وحمامتان تناغتا فوق الشجر

وشدت بنجوانا الاصائل والشروق

وهي صور تقليدية ، الا أنها صور جميلة معبرة عن دنيا السعارة التي أحسها
الشاعر .

وتأتي مقطوعاته في الشعر الحر - في الغالب - سليمة ، ويقل الخلل فيها كما
حدث في :

بحزن دعاني ونادي الصديق

تعال الي هنا يارفيق

هنا قصتي الخالدة

خذ صداها واروها (١)

فهذه مقطوعة من المتقارب يظهر الخلل واضحاً في الشطر الرابع منها حيث خرج
بالوزن الى (فاعلاتن فاعلن) . وقوله :

(والصبح يركض خلف الفسق) (٢)

وهي من الكامل التفعيلة الأولى صحيحة : (متفاعلن) أما الثالثة ففيها خلل واضح :
وقوله : (// // // //)

(هذا الذي هو قطرة . . نهزة حانت لنا) (٣)

متفاعلن متفاعلن فاعلن متفاعلن

فالتفعيلة الثالثة (فاعلن) ليست صحيحة وسبب عدم صحتها انفصال الجملة
بالنقط ، ولو أن الشاعر وصل الكلام بقوله مثلاً (. بل نهزة حانت لنا) لصح الوزن .

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٩٠ .

(٢) السابق : ص ٦٩ .

(٣) تلميذتي : ص ٢٠ .

وقد جاء مثله في بعض التوشيح ويكون تخريج (فاعلن) حينئذٍ على الخرم المجحف الداخل على تفعيلة موقوصة سقط ثانيها بعد سكونه .

ومنه قوله : (قلبي الشريد .. هذا الحزين) (١)

فجاءت التفعيلتان مذالة في شطر واحد ، ومعروف أن التذييل يأتي آخر البيت ومن الخلل العروضي الواضح قوله :

(فجفوته جفوة فيلسوف زاهد) (٢)

وقوله : (هو حبك العذري يا شعلة خاطري) (٣)

ولو أكتفى بالجملة من غير حرف النداء لاستقام الوزن .

وقوله : (لاشيء الا ثورة الشك تصخب في الفكر)

وتعتبر هذه الأخطاء العروضية قليلة إذا ماقيست بطول مقطوعاته كما هو الحال في هاتين المقطوعتين اللتين مثلت بها لنفور بعض موسيقاها ، وهي (بعث) و (فلسفة الحب والألم) . كما يلحظ في كثير من مقطوعاته دخول الزحاف في بعض التفاعيل في حشو الكلام .

- ويلمح في شعره هذا بصمات بعض الشعراء خاصة ، في مضمون شعره وأفكاره ولغته وأسلوبه . كتأثره بنزار قباني أحد شعراء الشعر الحر وكأنه يستقي منه سمات نظمه وفكره ففي مقطوعته (بعث) سلك طريقة نزار في محادثة الجمادات والمعنويات ودلالات الأشياء الصغيرة بما تثيره في النفس من ذكرى ، فالربا ، والغرفة البيضاء ، والطريق ، والأريكة ، والمكتب ، والنجوى ، والاحلام . . . كلها تذكره الحبيبية يقول فيها : -

تلك الربا الزهراء تذكر عهدنا

والغرفة البيضاء تحفظ مثلنا اسمى الذكر

(١) تلمينتي : ص ٢٤ .

(٢) السابق نفسه : ص ٢٧ .

(٣) السابق : ص ٢٥ .

هذا الطريق عليه من خطواتنا
نشوى غدير أرواح
هذي الأريكة فوقها جلساتنا
للدرس أو لحديثنا
والمكتب المحبوب يشهد صفونا
هذي هنا أشياء في نفسي لها مترنحات
أبدأ هنا تبقى لنا .. ذكرى غوالٍ باسمات (١)

وفي (لجاج الغيرة) تجد العبارات وكأنها أخذت من ديوان لنزار : -

أغار من العقد في الجيد يحلم
ويغفو على الصدر مثل الرضيع
يناغي الجمال البديع ...
أغار من الثوب والمعطف
وأحسد ماقد يمس الجسد
أغار وأحسد حتى العطور
تضمخ عطفك أو راحتك
وتسلب منك معاني العبير
أغار وأحسد كأس الشراب
وتغرك في ثغرها المرجف
كنجوى رباب (٢)

هذه معاني وألفاظ نزار قباني في معظم شعره كما في قصيدته « بلقيس » التي

يقول فيها :

- بلقيس

تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا
وتجلدني الدقائق والثواني ..
فلكل دبوس صغير .. قصة

(١) تلميذتي : ص ٤٠ .

(٢) سمراء : ص ١٠٤ .

ولكل عقد من عقودك قصتان
حتى ملاقط شعرك الذهبي
تغمرنني ، كعادتها بأمطار الحنان
ويُعرش الصوت العراقي الجميل ..
على الستائر
والمقاعد
والأواني
- فهناك - كنت تدخنين
هناك .. كنت تطالعين
هناك .. كنت كنخلة تتمشطين
وتدخلين على الضيوف
كأنتك السيف اليماني (١)

هذه بعض أجزاء من القصيدة الطويلة التي تتشابه ألفاظها ومعانيها مع أبيات
عبدالسلام ، وتأثره لا يقف عند الحد العاطفي ، بل وحتى الشعر الحماسي تختلط فيه
الألفاظ والتراكيب والعبارات الدالة على السخط والتذمر بألفاظ نزار أو السياب أو البياتي
من أصحاب الثورة اللفظية الحماسية ، بحيث تبدو ألفاظ العري والبغي والديدان والذباب
وغيره لتجسيم هول الموقف الحماسي ، ومن ذلك قول الشاعر في مقطوعته « الجبار
الصغير » :

- متشردين وفي الخيام وفي العراء
وعيونهم تشكو الذباب الى الضباب
وترى أمانهم سراب
وأظافر الأيام تنهش في الجسوم الوانية
مزق تغطيها ملوثة الخيوط
بالقار والعرق المجيف فيه والطين الحقير
والقمل والبرغوث يمرح بينها
والريح تصفعها .. ويلثمها الظلام

(١) نزار قباني ، بقليل : ص ٢٣ - ٢٧ .

وقوله فيها : -

- في لندن وفرنسة وسواهما

قصر يزخره الرخام

ويشاد فيه من التماثيل العبث

الخر والديباج فرش عراضه (١)

وحقيقة إن تأثر عبد السلام بنزار وبغيره يحقُّه الحرص والنباهة ، فهو يعرف كيف يستقي الألفاظ والتراكيب ويعض المعاني بحرص شديد ، فلا يخرجها عن نطاق الحياء ولا تخدش الذوق كما هو معروف عند هؤلاء ، وإن كان الشاعر قد انزلق في عدة تعبيرات وجمل نتيجة لمجاراتهم ، وهو ما أشير إليه في فصل التأملات .

وقد ذكر الشاعر شخصياً شدة إعجابه بنزار خاصة وكثرة إطلاعها على أعماله ، لهذا يرغب كثيراً في مجاراته ، ولكن بشخصية فردية مستقلة ليس عن اتباع عشوائي ، فما زالت معانيه سامية مترفعة في مجملها .

ومن هنا يلحظ أن الشاعر تأثر الى حد ما بأسلوب الشعر الحر في ألفاظه وتراكيبه وصوره ، وإن كان الشكل فيه ما يزال قريباً من نمط القصيد . فهذه جملة أمور ومميزات اتسم بها شعره هذا ، وهي ليس مختصة به - على كل حال - فهي سمة أداء كثير من الشعراء ، ولكنها هنا عن الشاعر ثابتة تحلى بها شعره الحر كله بلا استثناء .

* * *

واستخلاصاً لما مضى نحاول إحصاء الأوزان التي استعملها الشاعر وترتيبها بحسب الكثرة والقلّة ، في جدول احصائي لشعره القصدي والمقطعي ، وسوف يبني على أساس عدد القصائد ، لأن المحك في التقديم والتأخير للبحور هو دليل على إثارة الشاعر لبحر دون غيره .

هذا وتخرج من الاحصائية المسرحيات ، لأنها تقوم على الدراما والحوار وتتقطع أبياتها ولا تنتظم تبعاً لذلك . إلا أنها لاتخرج عن هذه البحور الواردة عند الشاعر .

وسوف تعمل ثلاثة جداول ، أحدها لشعره القصدي ، والآخر لشعره المقطعي ثم جدول شامل لأوزان شعره القصدي والمقطعي ، والهدف من هذا التقسيم هو بيان إثارة الشاعر للبحور ، ومدى التوافق في استعمال بعضها في كل من القصدي والمقطعي . وبيان حروف الروي التي استعملها في قصائده .

(جدول احصائي لشعره القصدي)

الرقم	اسم البحر	عدد القصائد
- ١	البسيط	٢٨
- ٢	الكامل	١٥
- ٣	المتقارب	٨
	مجزوء المتقارب	١
- ٤	الوافر	٣
- ٥	المتدارك	٢
	مجزوء المتدارك	١
- ٦	الرمل	١
	مجزوء الرمل	١
		٦٠ قصيدة
الرقم	الروي	عدد القصائد
- ١	الميم	١٥
- ٢	الراء	١١
- ٣	النون	٨
- ٤	الذال	٧
- ٥	الهمزة	٥
- ٦	اللام	٤
- ٧	الباء	٤
- ٨	ة	٣
- ٩	ك	٢
- ١٠	ق	١
		٦٠ قصيدة

ولقد جاء القصيد عنده في جميع الدواوين ، حتى تلك التي تحمل سمة القصة والمسرحية : (سمراء) و (تلميذتي) .

إلا أن معظم القصائد جاءت في ديواني : (وحي الهاجرة) وهو من أول دواوينه إذ يضم ما يقارب اثنتي عشرة قصيدة ، و (الأربعون) وهو من أواخر دواوينه ويضم العدد نفسه ، وبعد ذلك تتفاوت الدواوين الأخرى في الكثرة والقلة .

وتعليل كثرتها في (وحي الهاجرة) أن الشاعر في بداية حياته الفنية كان يخطو خطوات ضئيلة نحو التجديد ، فكان يلتزم بنظام القصيد ، والذي صاغ منه شعراً عاطفياً عذرياً بما يشبه القصائد العذرية التقليدية شكلاً ومضموناً .

أما كثرتها في (الأربعون) فكان بسبب كثرة نظمه في المناسبات الأسرية والأغراض التقليدية المتنوعة والمناسبات الأخرى ، والتي اتبع فيها نظام القصيد كنوع من الحفاظ على الشكل القديم لهذه الموضوعات .

(جدول احصائي لجميع شعره موزعة على البحور *)

الرقم	اسم البحر	عدد القصائد
١-	الكامل	١٤٦
٢-	المتقارب	٩٧
٣-	البسيط	٩٥
٤-	الرمل	٤٣
٥-	المتدارك	٢١
٦-	الوافر	١٢
٧-	الخفيف	٣
٨-	الطويل	٣
٩-	الهمز	٢
١٠-	السريع	٢
١١-	الرجز	١
مايقارب ٤٢٥ قصيدة ومقطوعة		

ويجدر القول أن أطول قطعة عنده من بحر الكامل رباعية تربو على المائة بيت ، وهو دلالة على أن بحر الكامل يستهوي الشاعر كثيراً ، وتهتز له قريحته ، ويجد فيه تنفسياً عن خلجات روحه وفؤاده .

لا يضم هذا المسرحيات وهي التي نظمها - في الغالب - من الكامل والمتقارب والبسيط والمتدارك والرمل .

وثمة ميزات اتضحت في شعره كله يجدر الإشارة إليها :-

١ - من الإحصاء السابق ظهر إيثار الشاعر للبحور ذات التفعيلة الواحدة - غالباً -
كالكامل والمتقارب والمتدارك والرمل والوافر . . .

فضلاً عن مجزوءات البحور .

٢ - يتميز معظم شعره بموسيقى داخلية إضافة الى الوزن الذي نظمت منه ، وتأتي
- غالباً - من بديعيات الجناس والازدواج والسجعة ، ومن تقطيع أجزاء البيت ،
كقوله :

هواك هوان وحبك فـتـك هوان لنفسي وفـتـك بقلبي
جمالك شعرو حسنك سحر شعور لحسي وسحر لحبي (١)

٣ - يميل الشاعر الى القافية المقيدة ميلاً عجيبياً ، وذلك يناسب ميوله ورغباته بما تمنحه
من حرية وانطلاق وتحليق ، ولكنه يراوح - أحياناً - بين المطلق والمقيد في
القصيدة أو المقطوعة الواحد . يقول الدكتور إبراهيم أنيس إن استخدام القافية
المقيدة قليل الشيوع في الشعر العربي وإنما تلائم فن الغناء ، وإنما تكثُر في بحر
الرمل (٢) .

٤ - لاحظ على بعض قوافيه أنها تأتي حشواً زائداً أو استكراها ، ولاتتميز القافية
المطلقة عن المقيدة بشيء في ذلك ، فهي تأتي معيبة ومايزيدها عيباً أسلوب العطف
الذي يتردد عند الشاعر في أكثر شعره المعيب .

وكلمة أخيرة في هذا المبحث الخاص بالتلوين والتشكيل عند الشاعر . هناك أسئلة
تحتاج الى اجابة ، لماذا هذا التلوين والتشكيل ؟ ولماذا الخوض في غمار التجديد ؟
ولماذا التنوع والبحث عن الغريب والنادر . . .

إن تفسير ذلك واضح مما سبق قوله في ثنايا هذه الدراسة ، فان ذلك يتناسب مع
تلون حياة الشاعر ، وتقلباتها ، وهو استجابة لأثر نفسي يعود بنا الى تجاربه ومعاناته
من الحياة وخصوصية ذاتيته ، حياة الشاعر والصراع مع الآلام والتقلب بين الاستسلام

(١) وحي وقلب والحن : ص ٥٥ .

(٢) ابراهيم انيس ، موسيقى الشعر : ص ٢٨٩ .

والصمود والمقاومة مع المرض ، مع الحب ، مع الدنيا هذا التلوين صورة للانعكاف على الذات بما يسببه من توتر وميل الى التغيير والانطلاق والنفور من الرتابة ، إن إتكاء الشاعر وإلحاحه على تصوير مرضه وحبه ومعاناته هو الذي لون شعره ، يؤيده كثرة إطلاعه في الأدب الحديث وأدب المهجر بالخصوص يقول الشاعر : « لا أتعمد هذا ، أجد نفسي منساقاً اليه ، فكل حالة لها شعورها ، وكل شعور ينبع من طاقات موجودة ، وأنا لا أبحث عنه ، فقد درست العروض من زمن ولم أرجع اليه ثانية ، وشيء جيد أن أرجع لشيء متروك وأجد له صدقاً ... » (١) .

إذاً هو استجابة لشعور فياض داخله . وقد يقال إن هذا التلوين إنما يعبر عن ضيق نفسه في الشعر أو عجزه عن نظم شعر قصدي . والحقيقة ان ذلك ليس عجزاً بقدر ماهو استجابة وتلائم مع انفعالاته . ثم انه قد نظم مايربو على ستين قصيدة وهذا وحده يكفي دلالة على مقدرته الشعرية وإطالة النفس عنده .

وقد يقال إن الشاعر يتفنن ويرسم أشكالاً إبداعية - كما ورد في الدراسة - وهذا يحتاج الى فكر وروية واختيار ، يقول أحدهم إن ذلك « ليس ضعفاً بقدر ماهو إختيار » (٢) وهنا يتضح أمر مهم ، وهو أن هناك ظلين للحقيقة أولهما ، ان هذا التلوين يأتي ضعفاً حقيقة - في بعض الأحيان - الا انه ليس بعجز وتفسير ذلك أن الشاعر لسبب نفسي - وهو ما قيل من أن ذلك استجابة وتلائماً مع نفسيته - وحالة التقلب الانفعالي ، وملازمة الألام به ، والاعتداد بالنفس ذلك جعله يقسر نفسه على المضي في العمل ومواصلته حتى مع فتور النفس وضعف اقبالها على النظم : -

أجاهد بالفكر والقلب يأسى وإن كنت ألقى صنوف الألم (٣)

ولهذا يرد في شعره كثير من الكسر في الوزن .

أما الظل الآخر من الحقيقة ، فهو رغبة الشاعر وميله الى التجديد بما يؤكد نزوعه الى المذهب الرومانتيكي .

وفي رأيي أن هذه المحاولة في التجديد تحمد للشاعر ، وقد تجعله نموذجاً فريداً بين أنداده ، فالشعر وحدة لغوية تتدفق بحسب قوة الانفعال وطبيعته ، وطالما أنه لا يؤذي الأذن العربية فليس فيه مايرفض ، فالموسيقى هي من وجدانه ودقات قلبه ولهاثه ومعاناته في الحياة ، ينبعث فيها من روحه بنغم وايقاع لاترفضه الأذن بل تستجيب له وتطرب في أكثر الأحيان .

(١) حوار الباحثة .

(٢) نقد حاتم صادق ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٤٩٧٤ - السبت ١١/٧/١٩٩٢ م .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ١٥٥ .

ثانياً : المعجم الشعري

اللغة جزء لا يتجزأ من عناصر العمل الشعري ، تقوم بدور هام في صوغ التجربة الشعرية ، وهي أداة طيعة لرسم الانفعالات والمشاعر التي تخلق في صدر الشاعر ، وهو القادر على نقل تجاربه بلغة تعبيرية ناطقة قادرة على إخراجها من نطاق ضيق الى رحاب أوسع من المشاعر الإنسانية المشتركة . وتتميز لغة الشاعر بالسلاسة والبساطة ، وبالتلقائية والعفوية - في أكثرها - كما تميل الى الرقة والعذوبة أكثر من ميلها الى الفخامة والجزالة .

وقد اصطفى الشاعر لغة خاصة به أصبحت ملازمة له لكثرة ترديده لها ، مناسبة لانفعالاته وتجاربه . فإن أبرز الملامح النفسية في حياة الشاعر تكاد تتمثل في : الذاتية ، الحب والحرمان ، الألم والأمل ، القيد والحرية ، ومن ثم فإن لنا أن نتوقع رصيماً ضخماً من المفردات التي تدور حول هذه الموضوعات ، يستمدّها من ذاتيته ووقع حياته ، يذكّيها توجهه الوجداني في نزعتة الرومانتيكية ، وذلك من تأثير ثقافته . ويخضع الشاعر إختيار ألفاظه من جانب نفسي قوي .

والهدف من هذا المبحث بيان تلك الألفاظ الخاضعة لنفسية الشاعر لا التي تتعلق بجوهر الموضوع أو المعجم الموضوعي الذي يخضع لغة ما لموضوع ما فذلك تحصيل حاصل وسمة مشتركة عامة .

فعلاقة الموضوع بنفسية الشاعر هو الذي ينبغي أن يتوجه اليه البحث ، ومن ثم كيفية أدائه له معبراً عن خصوصيته . فقصة حبه المحطم ، والداء العضال ، وحياة الوحدة واليتم والحرمان والثقافة والمنزع الرومانتيكي . ذلك كله صبغ نفسيته بصبغة خاصة وأضفى على معجمه الشعري صورة من نفسه ، فالغزل - مثلاً - يخضع لألفاظ الرقة والعذوبة والشفافية ، وكل معاني الوداد والرجاء والحب والإغراء ولكنه عند الشاعر إضافة الى ذلك يحمل معاني الارتحال والفناء والطب والهزال والجسم السقيم والجذب وذبول الزهر وفناء الكون . . . الخ كقوله :

إلام الصد والذنيا إرتحال ترى يافطم هل قربي محال ؟
وأنت الطب من وجدي وهمي وجسمي قد تولاه الهزال !
فنفسي نالها حظاً شئوم وقلبي شفقاً وجد عضال
ولي في حبك العذري فنُّ عظيم الشأن يحده الجلال
هبيك الروض للاء المحيا فليل الجسد ينذر والمحال
فما زهر الريا يبقى غضيضاً وماعمر الصبا الاخيال
متى يابسمة الآمال يغدو علينا الحب صاف والمال
متى تنوين إسعادي فإننا وهذا الكون نفنى والجمال (١)

فهذه أبيات تصطبغ بتجربة الشاعر الخاصة بما تحمله من معاني الحزن والفناء ، فالزهر لا يبقى غضاً ، وعمر الصبا خيال ، والكون والجمال الى الفناء ، كل ذلك ليحن قلبها عليه فتعطف وتقرب منه .

هذا مثال واحد لإخضاع الشاعر اللغة لتجربته الخاصة ومنها أمثلة عديدة .

والشعر الوطني أو الحماسي معلوم أن ما يناسبه تلك الألفاظ الحماسية الصاخبة التي تعبر عن ثورة ضد المستعمر ، وهي عند الشاعر كذلك ، الا أنه يصبغها بوجدانه ويشارك بانفعالاته فيصبح الموضوع جزءاً من ذاتيته ومشاكل الأمة جزءاً من مشاكله ، وحينئذ تختلط لديه الألفاظ فيأتي معجمه خليطاً من ألفاظ الرقة والعذوبة وألفاظ القيد والعذاب ، فهو مثلاً يتلوع لمراثي البائسين ، ويرق أسلوبه وهو يصف تحيره وحنان قلبه تجاه هؤلاء المعذبين الذين عاشوا في فقر وهوان تحت المستعمر ، يقول :

قلبي تلوعه مراثي البائسين
يدميه فكري في العوالم والوجود
وتحيري في شقوة المتعذبين
من فقر هذا الشعب من حرمانه !!
يرتاع ، والمستعمرون لخيره يتسابقون
هو لا يرى الا المساكين الرعاع (٢)

هذه رؤية (رومانسية) مفرطة في العذوبة والرقة تعبر عن حنان قلبه ورقته وهو يشارك أهله وأمته في معاناتهم وكأنها معاناته .

(١) وحي وقلب والحنان : ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) السابق : ص ١١٩ .

وهكذا تأتي اللغة طواعية للشاعر تناسب حالته وميوله ، فان من مفردات اللغة ماشاع في موضوعات مماثلة كالحديث عن حياته الخاصة وعن أسرته . . . الخ وهكذا يخلط الشاعر في اختيار ألفاظه تبعاً للحالة النفسية من ناحية ولتقتضى طبيعة الموضوع من ناحية أخرى .

وغالباً ماتأتي هذه الألفاظ في شعره الذاتي أو الوجداني ، لذا فإن هناك ألفاظاً وسطاً ، تقوم على الوسطية وتتميز بقدر أكبر من الموضوعية واعتدال المزاج ويحملها الشاعر دلالات خاصة تتبع نوع الموضوع وقربه أو بعده من نفسيته . وتكثر في الأغراض التقليدية ، فما كان منها وثيق الصلة بالشاعر كانت لغته أنسب وأقوى وذات أثر بالغ في النفس . وما كان منها عام فإن تأثيرها ضئيل وتظل في حيز المناسبة ، وهذا يعني أن الشاعر لا يبدع الا حينما يستمد روافد شعره من معين نفسي ، لذلك تأتي بقية الموضوعات على هامش شعره .

وحقيقة إن هذا هو الصدق الفني . وأكبر مثال لذلك الرثاء ، وهو من المواضيع التي تلتصق بالوجدان ، فقد رثى الشاعر عدداً من الأقباء والأصدقاء ، وظلت تجربته في حيز من نطاق المشاركة الوجدانية ، ولكنه حينما رثى نفسه بمقطوعة (جلجلة الصمت) ظهرت ألفاظ تكاد تلامس الواقع ، وهو يعيش التجربة وقد أحس انه مات ، فيرثى نفسه بألفاظ ليست حزينة ثائرة ولاهي موهلة في الشفافية والرقة ، بل أتت وسطاً فيها دلالة الرضا والتسليم والنظرة التأملية ، مما جعلها تنطلق الى نطاق واسع من التجارب الإنسانية العميق (١)

* * *

أما عن مصادر معجمه الشعري :

فالشاعر يخضع اختياره للألفاظ من روافد ثقافية وأخرى بيئية يتخير منها ألفاظاً بعينها يميل اليها ويصطفيها لمعجمه الشعري .

(١) انظر شرحاً مفصلاً في موضوع الرثاء .

- الألفاظ المستعمدة من روافد ثقافية : وتتردد في أكثر الموضوعات ،
ولا تختص بموضوع دون غيره .

والشاعر يصطفي هذه الألفاظ لنفسه ويتعمد وضعها في شعره كنوع من التبدليل على ثقافته وحباً في التغيير ، فبعضها استقاها من التراث ، وهي كثيرة إلا أن الواحدة منها لا تتكرر كثيراً . وهي - أيضاً - ليست بالحوشي أو المكروه أو المنفر . إنما هي غريبة وقليلة الاستعمال ، بل إن بعضها ليبدو رقيقاً عذباً مثل لفظة (آل) أي السراب . ومن تلك الألفاظ : (الديدبان) الحارس ، (قدم) الثقليل الفهم ، (غرثى) جوعى ، (مراشف) الشفاه ، (الشؤون) الدموع ، (صفيق) كثيف ، (الأفن) المجنون ، (هوم) نام نوماً خفيفاً ، (صديان) عطشان ، (السديم) التعب ، (الخفر) الحياء ، (الدسيعة) القوة ، (المنتجع) مكان الراحة ، (أهرع) أهناً ، (الكوى) الفجوة ، ... الخ .

وبعض الأسماء : القطيفه ، الديداج ، الخز ، العرصات ، الردهات ، الرحي ، الحراب ...

وبعض الصفات : الغائلة ، الباهلة ، الذاحلة ، السابلة ، السافلة ...

وهذه الأخيرة ألفاظ عفى عليها الزمن وأصبحت قليلة الاستعمال .

إضافة الى تلك الجمل والأساليب اللغوية التي يستقيها من مدخور ذاكرته وثقافته من القديم ، ومنها المأثورات والجمل المصاحبة كقوله :

« سقط المتاع ، الليل البهيم ، اليد البيضاء ، يقيل العثار ، شريعة الغاب ، ليالي عجاف ، سامق العمد ، عاري الوساد ، طر الإهاب ، انتضى سيف الكلام ، ألقى عصا التسيار ، يرفلن في الحلل ، الفكرة العشواء ... الخ »

ويبدو أن الشاعر أتى بها رغبة منه للبرهنة على مدى ثقافته لأنه في أحيان يزوج بها في قصائد ومقطوعات فيها تجديد في الأداء الشكلي .

وهذه الألفاظ والجمل والأساليب اللغوية جرت عليها العادة منذ القديم بحيث :
« تحولت بمرور الزمن وكثرة الاستعمال الى صيغ انطفاً توهجها ... الأمر الذي يجعلها هي الأخرى جزءاً من المعجم التقليدي القديم ... » (١) .

وهناك ألفاظ تتكرر في شعره ولكنها لا تكثر ، استقاها من ثقافته الحديثة ،
ومعظمها يأتي في وجدانياته أمثال : هيولي ، رفه ، عريد ، نهزة ، طفلة ..

ويبدو فيها متأثراً بالمهجريين الذين تتردد في أشعارهم كثيراً ، فهويولي : الشيء
النوراني الشفاف ، يأخذ معناه ليسنده الى الحيين : (وهما معاً خلقا هيولي طاهره) .
ويتكرر هذا اللفظ عنده بما يدل على أثره في وجدانه بحيث يعبر به عن معاني
الشفافية :

(١) وأبحث عنك وفي اللامكان أراك هيولي ملاك مضي

ورفة : لغوياً بمعنى برق وتلألأ ، وتأتي بمعنى الاختلاجة ، وفي النبات يرف رفيفاً
إذا اهتز وتنعم يأتي بها الشاعر على هذه الأشكال :

يارفة الحسن ضمي قلبي الدامي رفي على الروح ياظلي وأحلامي (٢)

ولكنه يجمعها على رفات بينما تجمع لغوياً على رفيف ، كقوله :

(نداء حبي على رفاتها نغم) (٣) وتكثر هذه اللفظة في شعره العاطفي ومنها :

(رفئت على دنياي أمالاً مجنحة وضاء ، كنت أنت الرفة الحيرى تجوب الأفق
حولي بالبهاء ، وأنت ترفين بالروح حولي ، هذه رفات قلبي ، وكأن حسنك لم يرف على
الخيال ... الخ)

والعريدة : وهي في اللغة سوء الخلق أو السكر ، وتعني عند الشاعر القوة والفتوة
والإنطلاق :

نعريد بالحب في عفة ونصدح بين الورى بالصفاء (٤)

ياوحى فني غـردي في فجرنا بل عريدي (٥)

ونهزة : في اللغة بمعنى فرصة ، يأتي بها الشاعر ويستخدمها بمعنى اللحظة :

(رياه أدركها لتنعم نهزة في الهائنين) كما يستخدمها بمعنى الفرصة :

(١) وحي وقلب والحان : ص ٣٣ .

(٢) أنوار ذهبية : ص ٢٣ .

(٣) السابق : الصفحة نفسها .

(٤) تلميذتي : ص ٩٤ .

(٥) وحي وقلب والحان : ص ٢٩ .

إليك وفي هذه النهضة أرف بروحي هوى أمـتي (١)
أما طفلة فهي رمز للحبيبة ، يجد فيها معنى الطفولة والبراءة والطهر فيسندة الى
الحبيبة والحب والجمال :

كنا هوى نقتنا صبايته هنا طفلين يحتضنان أشواق الحياة (٢)
ولعل هذا اللاحاح على لفظ الطفولة وماتعنيه من براءة وسذاجة وصفاء يفسر تعلقه
بمرحلة نفسيه قديمة لهادلالة نفسية وهي حينه إلى مرحلة الطفولة مما كان له أثر في
بعض أساليبه في النظم ، ويفسر طابع السذاجة عنده في التعبير أحياناً ، كما أنه يتلاءم
مع منزعه الرومانتيكي

وهناك ألفاظ عامة مشاعة عند الشعراء الوجدانيين وخاصة المهجريين تتكرر
عنده أيضاً امثال : معبد ، راهب ، دير ، ملاك . وهي تكثر في قصتيه (تلميذتي)
و (سمراء) وفيهما تآثر كبير بالمهجريين خاصة ، وهي مصطلحات مسيحية ، كان
الأفضل عدم الأخذ بها ، لأن للشاعر مناخه الإسلامي الذي يرفض هذه الألفاظ.

* * *

- ألفاظ مستمدة من البيئة المحلية والعامية : ومعظمها في الاجتماعي ،
بعضها يختص بالزبي السعودي للفتاة : الكاب ، الطرحة ، الإيشارب ، الشيفون ،
الفيستان ، . . . وبعضها عامي مصري لتأثره بها وقد أمضى في مصر أربع سنوات
للعلاج منها :

(بالعافية) (السبوع) (القرافة) (جردل)

وهناك ألفاظ مستحدثة مثل كلمة (كهرباء) التي يتخذها تعبيراً عن صدى
الأحاسيس في وجدانه ، كقوله : -

يالها من نظرة ظلت تكهرب كل من صادته من خلف الشفوف (٣)
وقوله :

عرفتك أمأ وأختاً وحسنأ يكهرب حسي وينظم لحنا(٤)

(١) عبير الشرق : ص ٧٣ .

(٢) ترانيم الصباح : ص ٤٩ .

(٣) السابق : ص ١١١ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٢٢٢ .

ولفظه مبيد ومكروب كما في قوله يصف الأعداء ذاماً :

تلك اسرائيل أو باشاً مهينة وهي مكروب لادواء مشيئة

سوف نصليها مبيدات مكينة (١)

وحقيقة إن هذه الألفاظ نادرة الحدوث ، وتكاد تنحصر في الامثلة الواردة .

وهكذا تأتي لغة الشاعر خاضعة لأثر نفسي في المقام الأول حين يميل الى مفردة أو صيغة دون أخرى مناسبة لميوله ورغباته وتشكل - بالتالي - شخصيته المتفردة ، حتى في اختيار واقتباس بعضها من التراث والبيئة يكون تابعاً لنفسيته ، فلو لم يجد في تلك الألفاظ صدى في أعماقه وميلاً الى الاقبال اليها لما اختارها ، فضلاً عن ترديد بعضها في أكثر شعره .

* * *

ثالثاً - الصورة الشعرية

هي من أهم ما يميز الشعر ، بما تؤثر به في المشاعر والأحاسيس ، وخاصة اذا اتصلت بنفسية الشاعر ، فإنها تبرز حقائق دفيئة في أغوار النفس . وعبد السلام يستخدم - في أكثر شعره - أسلوباً مباشراً فيه نوع من التقريرية والسرد المباشر والوضوح . ولكنه حين يعبر عن مكونات نفسه بخاصة ، يلجأ إلى أسلوب التصوير ويعمد الى لغة مجازية تثير كوامن الاحساس . وتتشكل الأساليب البلاغية عنده من تشبيه واستعارة وكناية (١) وشيء من الرمز المألوف ، الا أن الاستعارة استحوذت على معظم استخداماته . يجسم بها معاناته النفسية فتتحرك الصور أمام العين مليئة بمشاعر الحبس والقيد والغربة والوحشة والحزن . وهي في الحقيقة ثابتة لاتملك الحركة ، إنما هي تتحرك في مخيلة الشاعر بما يملكه من قدرة على التصوير . والتشخيص (٢) من أكثر الطرق استخداماً ، فيجعل من معاني الألم والحيرة والحبس . . . شخصاً وأجساماً تهيل عليه ألوان العذاب ، كأن يجعل للهموم يداً تخنق مناه ، وللظلام أجنحة تطلق فوقه ، وللليل أيد وللزمان أكف يبطشان بها ، ويصور الأيام غاضبة تسكب مرارتها في عمره المحروم ، ويرى الدنيا تتوشح رداءً بلون الليل ، والقدر أصبح عدواً يخسف بحياته . . . الخ مما يدل على نفسية كئيبة متلونة لاترى في الدنيا الا الجانب الأسود الحزين ، تتصارع فيه الوحوش والأشباح ، وتشيع هذه المعاني في تركيباته أمثال :

أشباح الحياة ، شبح الهوان ، أشباح الهموم ، أشباح شؤم ، أشباح الفرع . . . كما تتحرك لديه الجمادات والمعنويات في صور تتعمق التجربة الشعورية من أمثال : (تدثرت أحلامنا ثوب الأنين) ، (أبعثر اللعنات فوق الذكريات) ، (تولت الأحلام) (يبدد الظلمات فجر ريق) ، (يقيد الآهات في شفه السحر) ، (تأوه الأمل الشريد) . . . الخ .

ويحتشد معجمه اللغوي بألفاظ ذات دلالات حسية تتصل بعضها بالإدراك البصري وبعضها بإدراك السمع ، أو الشم ، أو النوق ، وتتراسل الحواس في صورته ، ولكن أكثر تلك الصور الحسية تأتي مفردة ويندر أن تأتي مختلطة متراسلة .

(١) انظر تعريفات ذلك في كتاب : (الإيضاح في علوم البلاغة) للقزويني : ص (٢١٧) ، (٢٨٥) ، (٣٣٠) .

(٢) التشخيص : خلق صفات الأشخاص على كل من المحسوسات والمانيات .

كأن يصبح اللون مادة للشرب : (تسقيك لون الجرح .. تفزعك) (١)

أو يصبح فوح العطر مادة حسية رقيقة (وتهمس في رقة العطر للحظة العابرة) (٢)

أما الألفاظ المتصلة بإدراك السمع فتلك ميزة غالبية على شعر الرومانتيكيين والرمزيين،
فعالمهم عالم نغم ولحن ونجوى و همس وأنين كذلك هي عند الشاعر تحمل شتى المتناقضات
من نغم وأنين وهمس ونجوى ، سعادة وألم :-

وبهاؤك المنغوم في شفه الهوى يسري مع الدم شاعراً ملك الجواء
وبدأت ألهم وحي ناعمة الرؤى لحناً شجياً عابقاً بين الضياء (٣)

وقوله : (القلب يعزف لحن النواح) (تأوه الأمل الشريد) (كأساً فجرها نغم)

(الفجر ناي يرسل الأنغام ..) (هذا الصباح نشيد قافلة الحياة) ...

ولاتكثر لديه الصور الحسية المتصلة بإدراك الشم والذوق واللمس ، ولعل ذلك نتيجة
لعدم اهتمام الشاعر بهذه المعاني ، وانعكافه على حياة الألم والمعذاب وتصوير ذلك . ومن
أمثلة هذه الصور القليلة :

(نشوة من رحيق الأزل) (كونك العطري) (رضعت المحبة)

(العشرة الناعمة) (عيش ناعم خضر) (ألام اشربها كسم قاتل) .

أما الصور المتصلة بالإدراك البصري فكثيرة جداً ، وأكثرها تدور حول النور
ومشتقاته ، إن الإدراك البصري له علاقة بنفسية الشاعر إذ يتمثلها رأي العين ، فهو
يستثمر هذه الصور من جانبيين : الجانب المشرق الساطع الذي يرمز لحياة الفرح
والسعادة والمعاني الحميدة كالعلم والخلق والنصر والحرية ، الجانب المظلم المنطفىء الذي
يوظفه للتعبير عن معاني الحيرة والألم والقيد ..

ويستعين في ذلك بمصادر النور أو الضوء : الفجر ، الصباح ، النهار ، الشمس ،

(١) الأربعون : ص ٧٦ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٥٥٥ .

(٣) السابق : ص ٤٦١ .

الشمعة ، الشعلة ، اللهب ، المصباح . . .

ومشتقاتها ومترادفاتها من الأسماء والأفعال : السنى ، الألق ، الشعاع ، الضياء ، النور ، الوضوح ، السطوع ، الوهج ، شعل ، أضواء ، بدد ، أنار ، شع ، سنا . . .

وترد بصيغة المفرد - غالباً - وبصيغة الجمع - أحياناً - كما ترد عنده مفردة أو موصوفة أو مضافة الى مفردات حسية أو معنوية . والوصف والإضافة قد يضيفان الى المعنى دلالات إضافية من خارج المدلول ، وأجمل ماتمثلت عنده الإضافة ماكان تجسيماً ، كتعبيره (الهم يأكل ألحان اللهب) ، و (تمزق مقل الصباح) ، و (تجهم النجوم) ، و (يرى في الضياء شبحاً يلوح بالسنا) .

وقد لاتضيف الإضافة أو الوصف شيئاً من خارج المدلول ، بل تكون من جنسها بما يفيد التوكيد أو يتم المعنى فهو حين يصف الفجر أو الصبح بالطراوة أو النداوة ، أو يضيف الاضطرام الى اللهب فإنما يحصر المدلول في واحد من خصائصه بما يتلاءم مع السياق ويؤكدّه .

وهكذا يستغل الشاعر هذه الصور للإبانة عن دلالات الحيرة والظلمة والألم ، ولولم يكن لها مدلولها النفسي المتصل بحياته ونفسيته لكانت من فارغ الكلام ، فحين يقول مثلاً: (تضاحكت مني تباشير السنا) هذه الجملة تحمل مدلولاً نفسياً عميقاً ، يعيه من تعرف على حياة الشاعر المصاحبة للآلام ، فهو ينكر على نفسه لحظة سعادة مشرقة تبشر بالنور لقد باتت (تباشير السنا) في دنياه سخرية ، فهذا النور لم يشرق في حياته الأليضحك ويسخر منه لا ليشرق عليها ، والمدلول النفسي لها شعور الشاعر بشدة الآلام وملازمتها له مما سبب له يأساً شديداً . وهذه الرؤية خاصة بحياته - فقط - فهو لاينكر النور والإشراق على غيره ، فقد وجد فرحة الناس بالعام الهجري الجديد : (يراقصون أشعة الامل الجديد) فظل يطرب لذلك بينما يظل هو وحيداً معذباً :

فأظل أطرب للمرائي والسنا لكنني وحدي أعذب في هواي (١)

ومن هنا سوف يقدم البحث شرحاً عن دور الأساليب البلاغية في تشكيل الصور الشعرية : -

١ - التشبيه ودوره في تشكيل الصورة : - أكثر تشبيهاته تتعلق بنفسيته وملابسات حياته ، فهو - كثيراً - ما يشبه نفسه تشبيهات ذات دلالة نفسية ، كأن يشبه نفسه بالطائر الذي فقد جناحه وأصبح عاجزاً ، أو يشبه نفسه بالشمعة التي تحترق لتضيء للغير ، أو بالفراشة التي تريد الانطلاق بحرية ولكنها تلقى حتفها في النور ، أو بالزورق الذي تتقاذفه الأمواج والعواصف في بحار بلاشطان .

وهي صور مألوفة في شعرنا العربي القديم والحديث ، ولكنه يستثمرها كرموز على قيده وعجزه وعظم معاناته .

وتأتي عنده بعض التشبيهات المعبرة عن ذاته ، كتشبيهه نفسه بالشيخ اليأس المسن العاجز ، كقوله :

وبعدت عن صحبي وندمان السحر

وكأنني شيخ ينوء به الكبر (١)

ومن ذلك أيضاً تعبيراته بمثل : (نفسي كليل بهيم ، تهت كأعمى أسير الظلام ، أنا في الحياة كراهب متطوع ، كراهب دير ، أرنو كالمسيح ، كطيف شريد ، كالغريب ، كالمسعود ، كمسلوب الحجا ، كملاح ، كالشيخ اليأس ...)

ويلاحظ أن التشبيه لديه نمطي ثابت في أكثره لا يكون صورة أو جملة مركبة نامية متطورة .

وهذا يكثر في غزلياته ، فيشبهه الحبيبة - عادة - بالبدر والفجر والزهر والطير ... وأي شيء آخر من غير تنمية بصورة - الاماندر - (٢)

ومن أجمل تشبيهاته الغزلية ذلك المجاز أو الإيحاء بالتشبيه الذي يطبع جمال الفتاة من غير أن يستخدم أدوات التشبيه مما يعطي للمعنى تأثيراً قوياً في النفس ، كقوله : -

عرفت الحب في عينيك يبسم وسحر الحسن في برديك ينعم
ومعنى الخمر في خديك يحلم وشدو الناي في الصوت الحبيب (٢)

(١) الأعمال الشعرية : ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) انظر ذلك في الغزل .

(٣) تلميذتي : ص ١٢ .

ومثل : (في وجنتيها يحلم الورد الطير ، بوجنتيك يهوم الشفق الوليد ، أرى
ابتسام الفجر يصحو حولها)

ومثله في التأثير التشبيهي المقلوب الذي يجعل من المشبه أقوى وضوحاً في وجه الشبه
من المشبه به كقوله : (الورد كخد أسيل) وقوله :

لم تدر أن البدر يشبه حسنها والهالة السكرى تلاحق وجهها
والبدر قد أمسى يسارق نورها وهي التي أسمى جمالاً من شبيهه (١)

* * *

٢ - الكناية ودورها في تشكيل الصورة : - والكناية قليلة جداً في شعر الرجل ،
وليس ذلك بالمستغرب فهو شخصية مكشوفة صريحة ، ينظم كل ما يخالج نفسه بصراحة
ووضوح . وقد جاء بها في النادر ، كلون من التفنن ، كقوله معبراً عن حبيبته وقد كبرت
وشاخت بعد زمن الفراق :

ومضت بنا الأيام حيرى في جمود عشر وخمس من سنين قد مضت
وحبيبتي الثلج عفر رأسها وعلى مسامعها حكايات تطوف
ظلت تعاقرب بالشقاوة كأسها في ظلمة التيه العميق مع الخريف (٢)

ففي البيت الثاني كنى عن كبرها وبياض شعرها بالثلج المعفر لرأسها لعلاقة البياض
بينهما .

ومن ذلك قوله :

عجبي لهذا الذل يفتersh الزهر في ظلمة التيه المروع غريبوك
حرموك دنيا النور في الظل العطر باسم المحبة وا لبنوة عذوبوك (٣)

فهو هنا يكنى عن الفتاة بالزهر ، ويكنى عن نفسه بدنيا النور والظل والعطر .

وأكثر الكناية تأتي في حديثه عن هذا الموضوع : (أذابو الصبح في عفن الليال)
(وضعوا الستائر) كناية عن الحجاب .

(١) تلميذتي : ص ٨٠ .

(٢) ترانيم الصباح : ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) السابق : ص ٧٦ .

وله عدة كنايات أخرى لطيفة كجملة : (عاري الوساد) في قوله :

جهدت به نفسي وأشغل خاطري في حمله ومجيئه عاري الوساد (١)

وهي كناية عن ضياع ابنه من حزن أمه التي أنجبتة ولم تقبل أن تربيته ورمته بأيدي
أناس آخرين يربونه ، بينما أبوه في سفره للعلاج .

* * *

٣ - الرمز ودوره في تشكيل الصورة : - وهو رمز مألوف في الشعر ، حيث يوظف
الشاعر بعض النماذج الإنسانية والأمثال العربية في تشكيل الصورة الشعرية . ومن
النماذج الإنسانية التي يوظفها الشاعر أسماء الشعراء العذريين أمثال : عنترة وعبلة ،
قيس ولبنى ، قيس وليلى ، فيجعل من نفسه - مثلاً - عنترة ومن الحبيبة عبلة كقوله
مدافعاً عن قصته الغرامية (تلميذتي) التي منعت من النشر :

حطم الأغلال عنها . . فهي تذكار لعبلة

عنتر فيها يشيد العزروحا مستظلة (٢)

أما إسم ليلى العامرية فهو رمز لكل محبوبة ، وهو اسم شائع بين الشعراء قديماً
وحديثاً ، يستثمره بعدة ألفاظ : (ليلاي ، ياليل ، ليلي . .) ويندر أن يجمع معه إسم
قيس كقوله :

لكن قيساً وليلى القلب افترقا تغربا في الصبا فالشمل منحسم (٣)

وهناك بعض الأسماء والشخصيات التاريخية الذين ترد أسماءهم في شعره من غير
توظيف لها ، مثل الأنبياء عليهم السلام وبعض الصحابة والخلفاء والقادة والأدباء وبعض
المعارك الإسلامية ، وقد مثل لسقراط في تحمله وصبره من غير أن يتخذه صورة فنية :

هكذا (سقراط) كانت زوجه تلقى عليه / جردل الماء الحقير

هكذا تأتي وتلقي اليوم - زوجي بالشرود (٤)

وقد مثل له لبيبن أن كل عظيم يبئلى بمثل ما ابتلي به هو .

كما أنه يقتبس بعض الأمثال مجرد اقتباس كقوله :

(١) أنوار ذهبية : ص ١٣٣ .

(٢) الأربعون : ص ١١٨ .

(٣) السابق : ص ١٤ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ٦٠٧ .

(ترى أنتقول كمن قد مضى « على نفسها قد جنت كبراقش »)
وقوله ، مأخوذاً من المثل العربي : (ورجع بخفي حنين) :-

ففتشت عنها وضلت خطاي وكافحت حتى جفاني المنام
فما عدت الا بخفي حنين وحظي تواري بجوف اللئام^(١)

هذا وأكثر أنواع الرمز لديه ذلك اللون الذي يعبر عن دلالات نفسية ، فتصبح اللغة مجرد رموز لنفسيته وصورة لخجات فؤاده ، ويبدو ذلك واضحاً في تأملاته للطبيعة من منظور نفسي عميق ، لا يراها على حقيقتها ، وإنما يراها معادلاً لنفسيته ومشاعره وتقلباته بين الحزن والفرح والشقاء والسعادة^(٢)

* * *

٤ - الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة : - ذكر سابقاً بأن الاستعارة من أكثر الأساليب البلاغية استخداماً لدى الشاعر ، ورغبة من الباحثة في التقليل من ذكر نماذج الأمثلة ، وتوحيد الشواهد فستعرض فيما يلي لمصادر الصورة أو مكوناتها بعامة عند الشاعر ، مكتفية بما تدل عليه الأمثلة التي تسوقها لهذا الغرض من أساليب الشاعر في بناء الصورة الاستعارية - وهي كثيرة - .

(١) وهي وقلب والحان : ص ١٦٧ .

(٢) انظر ذلك في تأملات في الكون والطبيعة .

مصادر الصورة ومكوناتها :

لحظت الباحثة أن إصطفاء هذا الشاعر لمواد صوره يقوم الى حد كبير على اعتبار نفسي وهو ما قد يمكن التعبير عنه بأنه تعويض شعوري عن حالة الحبس النفسي والبدني الذي يعيشه ، فإن أكثر ماتستهويه الصور المستمدة من الفضاء بما فيها من دلالة الرحابة والعلو والتحليق والانطلاق ، والحر والقر ، والظلمة والنور ، إذ تتشكل الصور عنده من عناصر الأفق - غالباً - بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من أجرام سماوية ، وفصول السنة ، وتقلبات أحوال الطقس بأمطاره ورعوده وعواصفه . . . إضافة الى البحر ثم الطير والحيوان .

ويأتي ذكر مواد صوره الاستعارية بخاصة والتشبيهية والمجازية بعامة كالآتي : -

أ - الليل والنهار .

ب - الشمس والقمر .

ج - فصول السنة وأحوال الطقس والمناخ .

د - البحر .

هـ - الطير والحيوان .

أ - الليل والنهار : صورتان تعبران عن معنى التضاد ، يستغلها الشاعر في

التعبير عن شكواه وأنيته ومعاناته .

ويستغل الليل ومرادفاته : الدجى ، الظلام ، المساء والليل أكثر استخداماً لديه .

كما يستغل النهار ومرادفاته : الفجر ، الصبح ، الضحى . والفجر أكثر

استخداماً لديه .

ويرمز بالليل للداء والألم والوحدة والضياع والحيرة والقلق ، والأقول والتلاشي ، وهو

رمز كذلك للظلم والتخلف والذل والقيود ، كما هو معنى للاستتار ، والأنس والهدوء .

ويرمز بالنهار للإشراق والنور والسعادة والميلاد وبداية الحياة وشبابها ، وللجربة

والانطلاق والنصر والكرامة ، كما هو معنى للجمال .

ومعظم صوره المشتقة من الليل والنهار يزوج فيها بين ذكر الضدين معاً : الليل

والنهار ، الظلمة والنور ، مما يقوي الصورة ، وذكر الضد يظهر جمال ضده أو قوته كقوله : (أنا ليل أحزان تجاهله الصباح) (١) .

وصف نفسه بليل مليء بالأحزان . وإضافة الأحزان الى الليل زاد قوة الصورة ، إذ أسند الحزن الى الليل ليصف شدة المعاناة . وأتى بمقابله (الصباح) الذي تجاهله - عن طريق التشخيص - ليزيد من عذابه .

وكثيراً ما يستثمر دلالة الاسناد لليل عن طريق التشخيص والتجسيم بما يغنيه عن الاستعانة بمفردات الوصف من ذلك : [ظلمة التيه ، أكفان الظلام ، ليل المآسي ، ليل الغدر ، ليل الصراع ، ليل الظلم ٠٠٠] حيث يجعل المشبه جزءاً من المشبه به . وذلك أوقع في النفس وأبلغ في التصوير . ومن صورهِ المأساوية تشبيهه الحب بالصباح الذي أتى عليه الليل فطواه وكفنه بيد البعد والفراق :

وهناك مأساة الهوى وصباية وئدت وكفن زهرها عند الصباح

مقلع ليل عباس دامي السلاح (٢)

صور الليل وكأته مزارع أو رجل يملك مقلعاً دامياً حطم به زهرة الحب في صباحها ووراهها التراب ، وتكثر عنده هذه الاستعارات من أمثلتها :

(أمل دجى قبل الأوان ٠٠٠ وذوى شبابي برعماً عند الصباح)

(دجى على العمر في فجري وفي الصبح البليل)

(الليل يسخر بي ويصفع شعلتي ، هجم الظلام وراعني ، أهوت عليه الدجى في ضحاه)

والفجر ، ذلك الوقت من النهار يمثل أوله كما يمثل أول حياة الشاعر، يتمنى أن تبقى حياته صباحاً دائماً يرسل الأنغام ويبدد الظلمات في كونه :

(ويغمر فجر الجمال مداي ويأتي على منتهاه)

- ياليل متى الفجر يبيزغ لي بالسنا والمنى / فيضيء بنفسي شعاب الضلوع ويجلو القتام

- لهفة الصادي لينبوع النهار بل منى المحروم في ليل الاسار

هذه جملة استعارات تصف مرارة الألم الذي صورهِ الشاعر في نفسه وحياته بحيث

(١) الاعمال الشعرية : ص ١٢٢ .

(٢) وحي وقلب والحن : ص ٩٩ .

باتت حياته ظلاماً لا اشراق فيها ، فهو - لذلك - يتمنى النور والضياء يشرق على حياته ليزيل القتام والكآبة . الا أنه إذا ازدادت حياته عذاباً وظلمة يصبح وجه الليل ووجه النهار معاً معنى للعذاب :

قدري أن أعيش في ليل عمري أرقب الاصباح الذي لايجيء
وأنادي الأمس الضنين وفجري كيف أنواري أصبحت لاتضيء(١)

وقوله : يأتي على الليل في رعب مثير
والفجر حين تبهرجت مثل الحرير متثاقلاً والنجم مرهوب النظر
أضواؤه صفعت خيالي بالشرر (٢)

بل إنه يجعل من الفجر صورة للموت السرمدي الذي يتمناه خلاصاً من آلامه بل ويصفه بالرحمة : (فمتى أذوب براحة الفجر الرحيم)

ومن هنا فاستغلال الشاعر لصور الليل والنهار يتلون بحسب تجربته ، فبينما الليل موحش كئيب في الغالب يجده الشاعر في لحظة غرام سعيدة معنى للدفاء والهدوء والحنان ، ومعنى للجلال يقول :

ماذا علينا لو تعسانقنا دجى ولفنا في عطفه ثوب الظلام (٣)

وقوله :
وقد صلياً في جلال الظلام وشجو الفؤاد يضيء المشاعل (٤)

هذا فيما يخص الحديث عن تجربة الشاعر الذاتية والتي انعكست على رؤيته لمعنى الليل والنهار ، الا أنه استغل هذه الصور في تعبيرات أخرى ، فالنهار بمشتقاته معنى للجمال ، طالما شبه الحبيبة به وبأجزاء وقته ، بالفجر ويسمته ونسيمه وطلعته وهي بذلك تشرق في حياة الشاعر نوراً وظلاً وريقاً تبدد ظلمات حياته . ومن تعبيراته بمعاني النهار :

(يغني الصباح ويشدو الأصيل ، يبدد الظلمات فجر ريق ، الفجر ناي يرسل

(١) الأربعون : ص ٣٦ .

(٢) وحى وقلب والحنان : ص ١٦٢ .

(٣) تلميذتي : ص ٧٢ .

(٤) سمراء : ص ٥١ .

الأنغام في الأفق ، أشرق صبح المنى والغزل ، كأساً فجرها نغم ، مع بسمة الفجر
صحا الشعور ، يضيء الفجر ليلى الحائر ، وتخرجه من ظلام أساه ، هذه حقيقة الحب
نعيش صباحها ، أعشق فيك الصباح الوليد) .

والليل والنهار : رموز للقيود والحرية ، فقد استغل الصورتين للتعبير عن معاناة اخوته
وأشقاؤه من المسلمين في الأراضي المسلووية ، تلك التي شغلته وظل يتألم لها مما يضاعف
ألامه الخاصة ، وعادة ما يجمع الضدين معاً :

الفجر لا يدينه الا الجهاد والليل لا يطويه الا العناد

وقوله :

- غير أن الليل مهما طال في اظلامه بالصبايرين

سوف يتلوه الصباح النضر بالشعب الذي لا ين يهون

ويرسم صورة لليل بعام الذل والاستعمار الذي لقيه شعب فلسطين تحت الاستعمار

وعام تدجى علينا بشوم	مضى .. ليته لم يكن عام سقم
هو الليل في حضنه القدس تبكي	وتعوى الدروب بحزن وهم
مضى العام أشباح ليل حزين	ثقيلاً مملأ على المسلمين
تدور رحاه باكبادنا	ويضرم فينا سعير السنين

ويجدر القول انه - أحياناً - يأتي بالليل والنهار ومترادفاتهما من أدوات الصورة

مجرد رموز للزمن لاغير .

* * *

ب - الشمس والقمر : - كوكبان مضيئان ، كل له نوره الخاص وهما والليل

والنهار قبلهما متلازمان . يستغله الشاعر لأمر شتى :

فالشمس بضيائها وحركتها أو بلونها المائل للاحمرار ، استتمده في تشكيل صورته ،
فالشروق والغروب رمزان للميلاد والموت . وحين يصف الشاعر أهاته ومعاناته ونهاية أماله
واحلامه ، فإنه يستمد من دلالة الغروب مادة خصبة للتعبير عن الزوال والانتهاه والموت ،
وهذه الصورة هي الأكثر أو الوحيدة التي يستغلها للتعبير عن تجاربه الفاشلة وأحلامه

الضائعة كقوله : (أماته البكاء تنذر بالغروب) .

(تولت الأحلام في ركب المغيب) (وجئت أودع أمال حبي الغريب / مع الشمس تعدو لجنح المغيب)

ولون الشفق الأحمر صورة للجمال :

(على ثغرك العف ذاب الشفق) (وبوجنتيك يهوم الشفق الوليد)

وقد اتخذ صورة للجمال من إحمرار الغروب : (في وجنتيك لهيب الغروب) (١)

والشمس بلفظها المطلق يتخذه رمزاً لمعاني سامية ، كالحرية والعلو ، والعلم ،

وللموت .. مثال :

(ومضى الظلام وأشرقت شمس الجهاد) (وشمس انطلقتنا تفري أعادينا)

(قد زهت في كوننا شمس العلوم)

والشمس في سيرها صورة لرسالة الهدى والنور التي أشرقت على الدنيا هادية

للناس ، صور سيرها بسير الشمس وهي تعم الكون بضوئها :

كانت .. أجل كانت رسالات السلام وبينات النور تسطع من هنا

في الشرق في الصحراء في البلد الحرام وتسير سير الشمس تبسم للذنى (٢)

والقمر صورة مثلى للجمال الأنثوي ، يناديها بلفظة (ياقمري) ويشبها به كقوله :

وبدر بهى السنالاح يندي كطلّ الغمام بروض الجمال

فالبدر هنا رمز للحبيبة ، ولكنه رسم له صورة جميلة جديدة ، لها مدلول نفسي ،

فهو بدر لايشع نوراً - كما هو معروف - إنما يندي كالغمام المطير ، فيملا حياة الشاعر

القاحلة بالندى العذب .

وتكثر عنده هذه الصور الرامزة للجمال . ويندر أن توجد صورة سلبية للقمر . ففي

صوره وجد الشاعر في نور القمر أشباحاً تركض في وجل معبرة عن مأساة الحب الميت

والأماني الضائعة :

(١) سراء : ص ١٣ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ١٧٠ .

ماتت عهود الصفو ٠٠ ماتت في السحر

وكأنا وهم مع الذكرى عبر

وطلائع النور العتيق من القمر

أشباح تركض للنهاية في وجل (١)

والنجوم تلك الكواكب اللامعة المضيئة ، يسترعي انتباهه فيها نجم تائه يرى فيه
معنى الضياع والتيه ، فيصور نفسه وحظه به ، وتكثر عنده هذه الصور ، كقوله :

- أنا في رحاب الكون نجم تائه أحيأ شريداً بين ضلالت الفكر (٢)

- لكن حظي نجمة تاهت قديماً في الفلك

ومضى بها ربح القدر (٣)

وهو حين يتطلع الى النجوم وهي معلقة في السماء يعبر عن حاجة نفسه للانطلاق
والعلو من حياة القيد ، فهي تلبى حاجات نفسية لديه بسبب قهره وحبسه وضياع أمانيه ،
ولكن هذا النظر الى العلو والارتفاع يتبعه احساس بالتيه والتجهم والضياع في سماء رحبة
وبما يفسر شعوره بخطورة مرضه وملازمة الآلام له ، وله عدة صور جميلة تعبر عن ذلك :
(النجم مرهوب النظر ، النجوم تجهمت ، سحابة الشك ، الهموم تحيل ليلي نجوماً ، النجم يرمقنا
بلحظ عابر) .

ولاتقتصر الصور على خصوصياته ، بل أنه يستثمر علو السماء ونجومها لمعاني
الرفعة والسمو والجمال ، فيسند لفظ النجم على المرثى :

(قد مضى النجم الذي غال الدياجي ٠٠٠)

ويرمز به للارتفاع : (أيا فرقدا في سمائي تعالى) و (عشقتك روحاً ريبب السماء)

ويرمز للجمال والعتاء والبذل ٠٠٠ وكلها صور تقليدية متداولة منذ القديم .

* * *

ج - فصول السنة وأحوال الطقس والمناخ : - مادة خصبة يستغلها الشاعر في

وصف تجاربه وانفعالاته النفسية . والخريف من أهم الفصول في مادة صورته ، يجد فيه

(١) الأعمال الشعرية : ص ٢٦٤ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١٢٨ .

(٣) تلميذتي : ص ٢٤ .

معادلاً لنفسيته ، وهو كذلك لدى كثير من الشعراء الرومانتيكيين .
ويستخدمه للدلالة على الأسى والحزن والفناء والعذاب كقوله :

(وشبابي المحروم يروى من أساطير الخريف)

وقوله : فما العمر الا بقايا ضباب / يلقعه النور لمع السراب / ويطويه كف الخريف (١)
ويعمد الشاعر الى ذكر الضدين (ربيع - خريف) ليظهر مدى المناساة :

وأحس شاعرنا بما في جانبيه من الشجون

رجلاً غداً .. والعيب يملأ قلبه ووجوده

وشبابه المحروم يرتقب الخريف

وربيعه نوء يساقى الآخريين (٢)

صورة جميلة ، فبينما هو ينتظر النهاية المحتومة نتيجة شبابه المحروم من الصحة ،
فان ربيع عمره عطاء للآخرين ، مقابلة بين حالته في الأخذ والعطاء ، وله عدة تعبيرات
استعارية أخرى كهذه . والشتاء مثل الخريف فيه معنى الفناء ، يستثمره هو الآخر
مقابل الربيع ، ومن أمثلة صورته وتركيباته للفصول :

(نعزف اليوم لحن الشتاء ، وواروا الضياء .. قبور الشتاء ، بنفسى هبوب
الخريف ، وترجف ياساً بكف الخريف ، وهذي حياتي خريف ، الربا داميات كقلب الخريف
، الحب يرسف بين اغلال الخريف ، في وجود ضائع يفنى كأوراق الخريف ٠٠٠)
والربيع من أجمل فصول السنة يصف به الحبيبة بكل ماتحويه الكلمة من دلالات (٣)

أما فصل الصيف فلا يوجد لديه الا في صورة وحيدة . شبه الأمانى بسحب
الصيف الخادعة التي لاتمطر فتلك أمانى ماضية لاخير فيها : (تلك الأمانى كسحب الصيف
خادعة) (٤) وهي صورة تقليدية متبعة .

والأفق بسماؤه ونجومه المتلائلة المتعالية كما تقدم ، وأحوال الطقس والمناخ المتقلب
بما يبشر بهطول أمطار ، أو ينذر بالعواصف والرياح والرعود والغيوم والضباب والسراب
٠٠٠ كل تلك الأحوال مادة خصبة للتعبير عن تقلبات نفس الشاعر . فهبوب الرياح

(١) وحي وقلب والحان : ص ١٩٤ .

(٢) السابق : ص ١١٨ .

(٣) انظر ذلك في الغزل .

(٤) سمراء : ص ١٦٢ .

وصوت الرعود وغيوم السحاب وتجهم النجوم والشهب والرياح والسراب معان ورموز للألم والعذاب ، والضياح والحيرة ، والظلمة والفناء والحزن . . فألم قلبه وتوعكه وخفقاته السريعة كأنها رعود ، وشدة الألم عواصف وأعاصير وسحب دكناء . من امثلة ذلك :

- بريك ياقلب ماذا بكأ ؟ كأنك تخشى رعود الممات (١)

- وأبسم للناس والقلب يبكي وترهقه عاصفات الألم (٢)

- حنين قلبي عاد عاصفة تولول بالدعاء

ومن تعبيراته تلك :

(عاصفات السقم ، تضرمت العاصفة بقلبي ، قيدني الحظ بين الغيوم ، آلمي عاصفات ، عاصفة من الشجون ، الريح تعصف بالشباب ، الدنيا ضباب في غيوم ، هدير العاصفة . .)

وقد عبر عن قيده وعجزه عن مساعدة قومه بالعاصفات التي يحاول مقاومتها ليحقق طموحاته في تحطيم الأغلال :

وانا أقاوم عاصفات لن تهون لتحطم الأغلال عن كوني الغريق

وإضافة الى الأفق برحابته وارتفاعه فان الشاعر يستثمر البحر والطير والحيوان مادة لصوره .

* * *

د - البحر : دنيا من المتناقضات ، يجمع في جوفه الأموات والأحياء ، فيه الجمال والوحشة ، الخوف والجلال ، الروعة والرغبة ، ويستثمر الشاعر هذه الايحاءات ليربط مشاعر الحزن والخوف والأسى بذلك العالم المتناقض كقوله : -

أه لو كنت أبصرت تسياره يصرع الموج في بحره الزاخر

بحر دنياه : دنيا الأسى والشجي ومرائيه في حظه العاثر (٣)

الا أن هذه الصورة متكلفة لاتؤثر في النفس .

ويتخذ الشاعر من الموج والسفن والشواطئ صورة حية لصراعه مع الألم والعذاب

(١) وحي وقلب والحان : ص ١٢٨ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٢٥ .

(٣) السابق : ص ٧٦ .

كقوله :

وحدي أقود سفينتي

في لج أحلامي وألامي الكبار

ويقاوم الأعصار صدري الثائر

الموج يقذفني هنا / والشوك يدميني هناك (١)

وحين فقد الحبيبة أصبح تائهاً يصارع الأمواج في بحر حياته ، حتى وجد صخرة

الأمّل في وجه حبه الثاني الذي أعاد إليه الأمانى :

... وأصارع الأمواج والأثواء في بحر الوجود

أطفو وأرسب في متاه تحيري

حتى عثرت بصخرة الأمل البديد / وجدت عند هدونها شيخ الملاك (٢)

وبعض صورته تقليدية قديمة ، كتعبيره بالزورق الغارق في بحر العاصفة ،

واستمداده صورة من رحابة البحر وعطائه للكرم أو للأمن : (وفاضت أبحر الكرم) ،

(نعطى الأمن من بحر خضم)

ولاتنمو الصور - كثيراً - بل تظل ثابتة جامدة في الغالب فيسند عدة أمور الى

البحر أو الشاطئ أو السفن أو الساحل ، وأمثلة ذلك : (سفن الغروب ، بحر الوجود ،

سفن الذكريات ، شاطئ الآثام ، ساحل الظلمات ، بحر الصراع ، بحر عاصفة ،

سفن الحب ... الخ)

ويتخذ من النهر صورة للحياة الزوجية في قوله :

نادى فلبت نداء الروح وانطلقت نشوى بمركبه المرجوفى النهر

نهر الحياة جميلاً أعاد يبصره ويحلم الآن بالأبناء والأثر (٣)

ولكنها صورة جامدة نثرية ليس فيها جمال فني .

ويتخذ من الموج والنهر صورة حركية للجمال وتموجات الشعر في الجميلة ، كقوله :

في شعرك الذهبي ألوان الأصيل وسنى يموج مع الحرير شذى بليل

* * *

(١) وحى وقلب والحان : ص ١١٦ .

(٢) تلميذتي : ص ٢٧ .

(٣) الأريعون : ص ١٤٩ .

هـ - الطير والحيوان : يستغل الشاعر أسماء ولوازم الطير والحيوان في تشكيل صورته ، وتكثر أسماء الطيور والحيوانات في شعره سواء بالتصوير أو بمجرد الاقتباس

ومن الطيور : العصفير ، اليمامة ، البلابل ، النسر ، البازي ، القطا ، البوم ، الفراش .

ومن الحيوان : الظبي ، المها ، الذئب ، النعاج ، الأسد ، الثعبان ، الغزالة ، الغنم . ومن ذلك : الذباب ، القمل ، البرغوث .

ومن لوازم الطير والحيوان : الجناح ، المخبط ، الأنياب ، الأظافر ، العش ، الزقزقة ، الشدو ، النعيب ، العواء ...

وأكثر استخدامه للطير مطلقاً والفراش ، وإن في كثرة هذه بالذات مدلولاً نفسياً فالطير والفراش معنيان للحرية والانطلاق والتخليق ، فهو يجد فيهما حاجة دافئة للانطلاق من حياة القيد والحبس . وقد تقدم ذكر لبعض تصويراته بعالم الطير ، وتأتي صورته على بعدين ؛ إيجابياً وسلبياً . فحينما يصور حياة الألم والقيد والعذاب يستغل الجانب السلبي للطير الذي فقد إلفة أو فقد جناحه ، وأصبح عاجزاً عن الحركة ، والتخليق والتغريد ، تائهاً لأموى ولا مقر ، ومن تعبيراته وصورته هذه قوله : -

ويظل قلبي شاكياً حظى الظلوم (١)

ويرف فيه كطائر فقد الجناح

- أنا طائر فقد الأليف وعشه وتبددت في روضة جم الورود (٢)

- أنا في الربا طير غريب ضاقت به روض وخاطر (٣)

- أعرفت شاعرك الوحيد يطير في آفاقه أبداً شريد (٤)

وحين يعبر عن السعادة والمرح يستغل الجانب الإيجابي للطير حين ينطلق في رحاب

فسيحة يغرد :

ولا من لقاء لنا في انطلاق كسرب الطيور بأفق طليق

ويعبر عن قلبه المنطلق بالزهور والطيور والنسيم حينما يكون سليماً ، وحينما يقيد

الألم يصبح عاجزاً عن التغريد والصداح .

(١) تلميذتي : ص ٣٦ .

(٢) السابق : ص ٩٠ .

(٣) وحي وقلب والحان : ص ٤١ .

(٤) الأريعون : ص ٤١ .

والفراش - أيضاً - رمز صور نفسه به وهو يهفو الى الجمال :

فهو سر الحسن أهفو حوله قلباً وروحاً في جنان

كالفراشات التي تهوى الى الأنوار تزكو بالتفاني (١)

وقوله : كأننا فراشات حقل مطير نطير الى لهب في جذل (٢)

وهذه الصور في جملتها ليست غريبة في الشعر الحديث فهي ديدن الرومانتيكيين الذين يخلقون بأنفسهم الى أعلى تشبيهاً بالطيور والفراش وغيره .

أما الحيوان فمنه ما يتخذه رمزاً للجمال كالظبي والمها والقطا واليمامة ، وهو لون معروف منذ القديم ومتداول لدى الشعراء جميعهم منها قوله : (أشرقت ظبياً في نفور وارتعاد) (فتاة كالمها) (يمامة عشي) (أنت تسيرين سير القطا)

ومنه ما يتخذه صورة للعنف و القوة والشدة كالأسد والنسر والذئب والبازي ، وهي أيضاً تقليدية متبعة ومن أجمل صورة قوله :

فاستأسدت خفقات القلب راوية أقصوصة العمر في انشودة الساحر

وهو يمثل بالنسر للقوة والشهامة ويستثمره في التعبير عن أمجاد الأمة وحماتها المخلصين ، وهي صور مألوفة في الشعر :

(وطن العروية سوف تحكمه النسور) (نسور الحمى يابنة الخلود)

والنعاج والأغنام صورة للجهل والضياع والوهن :

- تلك (اسرائيل) تمضي في هواها تلکم الأغنام في الدور الخوالي

- شردوا اخواننا أوملكوهم كالنعاج الضمر تاهت في فلاة

أما الثعبان أو الحية فهي صورة لحواء الخبيثة الغادرة :

(تلك التي كتعبانها في تلونها) (حية فاتكة)

وقد تأتي بعضها مجرد أسماء فقط ، ولكنها توحى بتراكم العذاب ومدى المعاناة .

كقوله في حال المشردين :

(١) أنوار ذهبية : ص ٢٨ .

(٢) السابق : ص ٥٣ .

متشردين وفي الخيام وفي العراء
وعيونهم تشكو الذباب الى الضباب
وترى أمانها سراب
وأظافر الأيام تنهش في الجسم الوانية
مزق تغطيتها ملوثة الخيوط
بالقار والعرق المجيف فيه والطين الحقير
والقمل والبرغوث يمرح بينها
والريح تصفعا . . ويلثمها الظلام
مأساة مجتمع يعيش بيؤسه وهوانه (١)

أما لوازم الحيوان فيستثمرها بالاسناد - غالباً - كأسناد العواء للجراح أو للدروب
الحرينة :

(جراحه تعوى . . . ، الليل يعوى . . . ، وتعوى الدروب . . .)

ومن تلك الصور الكثيرة :

(وضم الجناح على جرحه ، أجنحة الظلام ، أمال مجنحة ، غرد الكون ، كزقزقة الطيور ،
مخالب ابليس في راحتها ، أظافر الأيام ، حوت الجوانح عش الطيور ، صرخات الأرض نعيب بوم ،
الحب ألهاه عن سقم به نشبت انيا به . . .)

ويسيطر المخزون الثقافي على معظم صورته ، فتكثر الصور القديمة وخاصة في
الموضوعات التقليدية كالمديح والرثاء وبعض الغزليات ، وأكثر صورته الجديدة تأتي في
حديث الذات والشكوى والألم لأنها تصدر عن انفعال قوي ، ولعل طبيعة الموضوع هو
الذي يحدد مصادر الصورة فالمديح والرثاء وغيره قيل فيه الكثير ، فترسخت معانيه
وصوره في الذهن وبالتالي يستقي صورته منه . ولا يمنع أن يعبر الشاعر عن الأثر
النفسي لهذا الموضوع أو ذاك فتختلط لديه الصور والمعاني حديثة وقديمة .

* * *

رابعاً - سمات أسلوبية

«الأسلوب صورة فنية لكل شاعر وأديب يبين طريقته وتفكيره ورؤيته للأشياء حوله ،

فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب » (١)

وقد أهتم البحث بأسلوب عبد السلام ، وطريقته وتفكيره في اختيار الألفاظ ، ورسم الصور، وتشكيل الموسيقى . . . حيث أعطى ذلك صورة لشخصيته من حيث علاقته بنفسيته . وتبين أن السمة الغالبة على أسلوبه ، غلبة الذات على الموضوع ، والإهتمام بالدافع والأثر العاطفيين عنده . وجاء أسلوبه - غالباً - بلغة سلسة بسيطة ، وبتلقائية ، وأسلوب مباشر مع شيء من التصوير والرمز ، كما تميزت ألفاظه بالرقّة والعذوبة ، وجاء معظم شعره من المقطعي بأنواعه وبالتلوين والتشكيل .

وهناك عدة سمات خاصة بأسلوب الشاعر تتضح في كثير من شعره ، وأصبحت ملازمة له ، وسيقف البحث عند أبرزها كثرة أو ندرة كما سيقف عند بعض المآخذ الأسلوبية لديه : -

١ - اعتماده وقع الكلمات والألفاظ : فهو يستثمر كل ماتشع به اللغة من دلالات تعبيرية ليصور بها انفعالاته ، فيأتي بطائفة من الألفاظ ذات الدلالة الوجدانية التي تقف عند حد دلالة المفردة دون الوصول الى صورة مركبة نامية ، كأن يسند الى الحبيبة عدة ألفاظ اشعاعية وجدانية مثل : النور ، الصفو ، السر ، الكأس ، الطهر ، اللحن ، السحر ، الفجر ، البدر . . . الخ .

وقليلاً ماتتمو لديه بعض الصور كقوله :

ريبعاً طاف بالكون المنيد	وأنت الصفو عمٌ مروج نفسي
أنار الافق من نور الخدود	وأنت الفجر بساماً ندياً
بروح الزهر في لون الورود (٢)	وأنت العطر موصول الحواشي

(١) أحمد الشايب ، الأسلوب : ص ١٣٤ .

(٢) وحي وقلب والحن ص ٥٩ ، ٦٠ .

وهذا الاعتماد على الألفاظ المفردة وإشعاعاتها لا يوفر الوحدة العضوية في المقطوعة أو القصيدة فكل بيت يستقل بنفسه في رسم صورة مفردة - وأحياناً يكرر لفظة ما عدة مرات لما تحويه من دلالة نفسية يحسها الشاعر كقوله :

يا فطم هلاً هالك الصوت الذبيح هلاً رحمت فتى أذابته الجروح
ياليت جرحاً واحداً في مهجتي لكن أجراحاً تقرب للضريح (١)

فتكرار كلمة (جرح) ثلاث مرات ، فيها دلالة حرقة ومرارة وألم من تلك الجروح ، وفي البيت الثاني إيجاز بليغ ، فإن الجروح التي أصابته لو كانت واحدة لهان الأمر ولكنها عدة جروح تحالفت لتؤدي به . وهذا الإيجاز مما لا يكثر عند الشاعر ، لما اتسم به من إسهاب وتطويل - كما سيأتي - وهو - أي البيت - شبيه ببيت امرئ القيس :

فلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفساً (٢)

ومافيه من إيجاز بليغ برغم من تكراره كلمة (نفس) .

٢ - كثرة التطابق والتضاد في شعره : وذلك منشؤه التدفق العاطفي ببث مشاعره وانفعالاته في عرضه معاناته في الحياة ، ورسم صورة للمتناقضات في نفسه وقلبه ، كقوله : -

قلبي يغني والعذاب يضمه وإذا بسمت فليس يعني أنني
متفائل حتى ولا متشائم أنا ساخر بالكل مما همئي (٣)

لا يعني غناؤه وابتسامته التفاؤل ولا التشاؤم ، إنما يعني السخرية مما عاناه ، وهي صورة رائعة لحالته النفسية . ومثل ذلك كثير في شعره .

(١) وحي وقلب والحان : ص ٨٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : ص ١٠٧ .

(٣) أنوار ذهبية : ص ٣٥ .

- وأبسم للناس والقلب يبكي وترهقه عاصفات الالم (١)
- وفي ألي المستبد أغنى وأسخر بالحزن أو بالتجني (٢)
- لكن الإحساس الذبيح يغني والأحاسيس في صراع مديد (٣)
- وأنا شريد الخطو ملتهب الفؤاد بسام للشوك المعيس للدروب (٤)

وهذه التعبيرات ، توحى بقوة الشاعر وتحديه للالام وعزمه على التغلب عليها وأمثلتها كثيرة .

٢ - تعدد الصفات والإضافات المعطوفات في سياق ممتد وذلك يحمل شحنة عاطفية - في الغالب - وقد رأى بعض النقاد أن الإسراف في النعوت والمترادفات عيب يدل على الضعف . يقول المازني : « إن الناس يستعملون كثيراً من الصفات والنعوت والمترادفات بعضها يصيب إذا طاش أكثرها » (٥) وقد عاب ذلك مرتئياً أنه من دلائل الضعف وفقر الذهن ويؤدي الى الفتور والثقل والملل . ويقول : « ولكن المطبوع يعلم ماذا يأخذ وماذا يطرح » (٦) .

وفي رأيي أن ذلك صحيح لأن فيها مبالغة ، ولكن إذا كانت النعوت تحمل دلالة نفسية بحيث تكشف عن معاناة فلا بأس بها ، لأنها تعطي صورة واضحة لتلك المعاناة كقول الشاعر الباسم الحزون شامخة أيامه في روايي الخلد تحتكم (٧)

فقوله (الباسم الحزون) دلالة على المتناقضات في نفسه بما يكشف عن أغوارها الحزينة المتأللة . ومثلها يخاطب البحر عاقداً صلة بينه وبينه :
(٨) في قلبك الصاحب الحاني مضى الزهر وفي محاجرك البيضاء ينتحر

(١) وحى وقلب والحان : ص ١٢٥ .

(٢) الأعمال الشعرية : ص ٣١٦ .

(٣) الأربعةون : ص ٣٦ .

(٤) ترائيم الصباح : ص ٥١ .

(٥) الشعر ، غاياته ووسائطه ، د . مدحت الجيار : ص ٨٩ .

(٦) السابق الصفحة نفسها .

(٧) الأربعةون : ص ١٦ .

(٨) الأعمال الشعرية : ص ٦١٤ .

فقوله (الصاحب الحاني) صورة لقلب الشاعر المتقلب بين الثورة والحنو .

وقد تأتي الصفات من غير مدلول نفسي فتصبح حينئذٍ لاقيمة لها كقوله :

ليس عدلاً هوان الفؤاد البريء الوحيد الحزن (١)

وكقوله : في حقل حب عتي ناعم غرد هو التناقض ... والأشواق لن تهدأ (٢)

كذلك المعطوفات سمة واضحة في شعره ، وكثرتها عنده أضعف كثيراً من شعره لأنه

يعتمد عليها كثيراً في إتمام البيت كقوله :

والكريم النبيل يسام الضنى والاسى والمحن (٣)

وقد يجمع عدة صفات ومعطوفات وإضافات في عدة أبيات متتالية كقوله :

- في المساء الحزين الكئيب وعين الدجى ساجية

والاسى يغمر الكون والقلب والمهجة الشاكية

والصدى يندب الحب والطهر بين الرؤى العارية

- روعونا .. وسمراء تغدو بحضن اللثيم الخطر

لقمروا الوحش فلذة كببد غليظ نميم السير (٤)

وديوانه (الأربعون) ملئء بهذه المعطوفات خاصة ، إضافة الى قصته (سمراء) .

٤ - غرابة التركيب للجملة : يتشكل تركيب الجمل لديه بطريقة غريبة - أحياناً -

فتتداخل فيه الأسماء والأفعال ويحدث فيه تقديم وتأخير غير مستساغ كقوله :

أنا إلفها - أواه إن خسف القمر - .. محرومة .. أما أنا فقد انتهيت (٥)

فهذا تركيب غريب للجملة لايفهم المراد من العبارة : هو إلف محرومة إن خسفها

القمر فقد انتهى ؟ !

وبهذا التركيب أضعف المعنى وزاده غموضاً . وكقوله :

(١) سمراء : ص ١٥١ .

(٢) ترانيم الصباح : ص ٨١ .

(٣) سمراء : ص ١٥٣ .

(٤) السابق : ص ١٤٦ - ١٤٨ .

(٥) الأعمال الشعرية : ص ١٥٥ .

قوم سمراعتي أشعلوا • بل حثالته الغادرة
أضمرت بعد فرقتنا ظنُّه : فكرة خاسرة
فهي تنقم منها ومن جفوتي للربا الشاعرة (١)

فتركيب الجملة أصلاً : (قوم سمراعتي أشعلوا فكرة خاسرة)

لكنه فصل الجملة الأسمية بجملتين اعتراضيتين : (بل حثالته الغادرة) (أضمرت
بعد ...) وذلك دأب الشاعر في تكرار الأفعال (أشعلوا ، أضمرت) وكقوله :

والجوى في حناياه يضنيه •• ينهش من نفسه (٢)

وقوله : والأعاصير تسري وتعصف في روحه المشفق (٣)

ومن أسلوبه التقديم والتأخير يقول : - حقد قلب أذا به وهو بكف الربيع النضر

فقد قدم المفعول به على الفعل والفاعل ، ويأتي التقديم والتأخير لديه جميلاً يزيد
الآبيات إيقاعاً ونغمًا متتابعاً كقوله :

وطني هنا ؟ وهناك في أرض الحجاز سماؤه ومطالعه

جسمي هنا •• لكن روعي بالمدينة داره ومضاجعه (٤)

٥ - ابتداءاته بالخطاب والنداء : وفي هذا دليل على أن الشاعر يعقد علاقة حميمة
بينه وبين الموضوع أو الطبيعة التي يحاكيها ويوجه إليها الخطاب والنداء ، كما أن تكرار
الأفعال الماضية دلالة على التحسر والندم وذهاب الأحلام والأمنيات .

ويعقد الشاعر علاقة بينه وبين قلبه المتألم فيخاطبه مخاطبة الصديق ، كقوله يحثه
على التلذذ بالعذاب :

ودع عنك هجس المنى والطيبوب	فيا قلب ذب لوعسة وضنى
من الروح ، فالكون أمسى نحيب	تبدد دموعاً تمج السنا
ونشرح لليل حسالي الغريب (٥)	هنا نعزف اليوم لحن الشتاء

(١) سمراء : ص ١٤٧ .

(٢) السابق نفسه : ص ١٤٩ .

(٣) السابق : ص ١٥٢ .

(٤) ترانيم الصباح : ص ١٥ .

(٥) وحي وقلب والحان : ص ١٢٩ .

٦ - اعتماده شرح واقع حالته : في إلحاح واضح تتكرر فيه العبارات والأبنية والصور ، من غير أن يتغير الشكل والتركيب ، وأكثر ما يأتي في شعره الحر الذي ينطلق فيه بحرية تامة عارضاً حالته المأساوية في ألفاظ متتابعة متصلة مكونة وحدة تامة ليرسم صورة لآلامه في موقف واحد كقوله :

كأنني بهذا الفؤاد الكسير / يعاني جديد الأنين / جديد الضنى والشجا والنواح
يحس الفراغ ٠٠ مليء الجنون / ويخفق في وحدة لاهبة
فطوراً يؤجج فيه الحنين / ويملاً كأس صباه النغم
يغني لكل الوجود ويبيكي / يعيش حياة المنى الحائرة
وحيثاً يقبده الألم / ويعبث في روضه الناعم / تراوحه النسمة الماطرة
وتهزأ منه العواصف (١)

وفي مقطوعة أخرى يرد المعنى نفسه :

أواه هذا حالي الداجي الظلوم
حال التعيس البائس المحروم من زهر الحياة
محروم حتى صحة الجسم المعنى الخائرا
فبكل عضو صرخة الألم العميق
آلام أشربها بأعصابي كسم قاتل
تجتاح أوراق الشباب المورقة
وتبيد أزهار الربيع المشرقة
فتحطمت في القوى (٢)

وليس هذا مقتصرأ على شرح حالته ، بل أنه في غير ذلك يعتمد تفسير المراد من معانيه وأفكاره - أحياناً - وذلك أيضاً من باب الإلحاح ، كقوله يتحدث عن البحر عاقداً صلة جوهرية بينه وبين البحر في تحمل الهموم والآلام :

دنياك يا بحر أسراراً محيرة

لماذا ؟ يفسر ذلك بقوله : فيها التقى الثلج والاعصار

ثورات تصخب ٠٠ أنغمأماً ترجعها أفالك الرزق ٠٠٠

(١) الأعمال الشعرية : ص ٤٢٣ .

(٢) وحي وقلب والحان : ص ١٣٦ .

كنا بشطآنك الشجرا اغنيــــــــة ؟

غنى بها الشعر والأطييار والحصان (١)

٧ - التكرار : - وهو ظاهرة فنية ونوع من الأداء البلاغي ، يأتي لإبراز المعنى وتقويته ، ويستند التكرار عند الشاعر الى حالة شعورية متدفقة تعبر عن مدى كثافة الذروة العاطفية كقوله :

أحبيتها .. أحبيت تمثالاً مثالياً بديع
نغمًا يوقعه الفؤاد بمعزفي
حب الحياة وحب أسرار الحياة
حب تنزه عن أحاسيس الجسد
حب السمو على جميع الكائنات
حب الفضيلة والصابابة بالخلود
حب كحبي يوم كنت فتى غرير (٢)

وهو تكرار عفوي متدفق ويكثر في الحديث العاطفي ، فتكرار كلمة (حب) عدة مرات في القطعة فيه تأكيد على شدة حبه مقروناً بالنقاء والصفاء .

ويأتي التكرار لتعبيرات عامة كان لها وقع في نفسه ، كتكرار جملة (صباح الخير) التي ألقته فتاة على مسمعه ، فأصبح يكررها لما لها من صدى في نفسه ، وأمثله هذا كثير (٣)

وحيث يأتي التكرار في وطنياته فإنه يأتي سليماً صحيحاً محبباً لما فيه من نبرة الحماس المتقد ، كقوله :

أجل يا شعب .. يا اخواننا في الدين والأمال نادتنا فلسطين
تهاوننا طويلاً وانتظرنا .. بينما ضاعت فلسطين
واعطوها يهود العصور يغزونا .. وإن تهدأ فلسطين
فنحن الأسد نحميها .. نموت اليوم أو تبقى فلسطين
وقوفاً نسحق الاعداء حتى ينتهوا .. تحيا فلسطين
فهيا للنضال الحر في ساح الجهاد اليوم تدعونا فلسطين (٤)

(١) الأعمال الشعرية: ص ٦١٤ ، ٦١٥ .

(٢) تلمينتي: ص ٢٧ .

(٣) انظر مثلاً الأعمال الشعرية: ص ٥٤٣ - ٥٥٣ .

(٤) أغنيات الدم والسلام: ص ٦٩ .

وأكثر التكرار عنده ترديد لبيت أو شطرة من أول القصيدة - غالباً - فيختتمها به ولكنه يلجأ في ذلك الى شيء من التغيير ، فيعكس شطري البيت ، أو يغير في الكلمة الواحدة أو يضيف أو ينقص كقوله في قصيدة بادئاً ببيت : -

سليني يافطيمة أي سؤل تدانيك المنى من كل بيد (١)

ثم يختم القصيدة بشطرة واحدة - ترديد للشطر الثاني من البيت الأول مع تغيير طفيف : -

وكقوله :-

أقبل .. أجل ياهول أقبل بالأسى وسد جناني في المجاهل في الردى (٢)

ختمها بقوله : -

أقبل .. أجل ياهول أقبل بالأسى وسد فؤادي في المجاهل والردي

وله عدة طرق غريبة في التغيير والتنويع ، يمكن ملاحظتها في أكثر شعره (٣) وذلك دليل على ما قيل سابقاً من اهتمامه باللازمة .

* * *

(١) وحي وقلب والحان : ص ٥٩ .

(٢) السابق : ص ١٢٨ .

(٣) انظر مثلاً الأعمال الشعرية : ص ٢٨٨ .

مآخذ أسلوبية : -

لقد بات معلوماً أن الشاعر يحمل بين جنبيه ألاماً ، لا يدع فرصة الا وتحدث عنها وعن همومه ومعاناته ، وبهذا كثر انتاجه ، وهذا من شأنه أن يحدث خللاً واضحاً في بعض شعره ، لأن حرصه على إبقاء ونشر كل مافاضت به قريحته وعدم الرجوع بالتنقيح لشعره ، أصاب بعضه الضعف في اللغة والصياغة واللجوء الى استخدام ألفاظ في غير محلها ، وبعض المعاني الحشوية التي يظهر فيها فتور النفس ، والترادف والتهافت والقوافي المعتسفة التي تجيء لإتمام البيت وإقامة القافية فقط .

ولو أنه أخضع إنتاجه للاختيار والمراجعة لبقى من شعره الجميل مايدل على شاعريته الخصبة الأصيلة ولقضى على الإلحاح والاسهاب ، كان مدعاة لشيء من الملل والنفور ، فان من أعظم الشعراء من خلف ديواناً واحداً فقط ، خلد شعره وأبقى اسمه ساطعاً لامعاً في عالم الشعر كالمثني وغيره .

وقديماً قال البحري :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه (١)

هذا وقد ذكر الشاعر أنه مزق أكثر من ستين قصيدة يقول : « قصدت دار الشيخ عبدالقادر شلبي يرحمه الله لأضبط عليه موازين الشعر وأدواته ٠٠ ورحت أمزق أكثر من ستين قصيدة كما سميتها وأسجل خطوات الشعر الأصيل لحظة بلحظة ٠٠ » (٢)

ويأتي الضعف وهبوط الصياغة في شعره من أسباب عدة ، منها التركيب الغريب للجملة ، ومنها الاسهاب والإلحاح في تصوير المراد من المعنى ، ومنها طغيان الشكل على المعنى بذهاب الشاعر الى التلوين كثيراً ، إضافة الى بساطة التعبير الذي تميز به شعره كله بحيث يخرج كثير منه الى نثرية واضحة كما في قوله يصف السد العالي

بمصر : - والسد ماقام الأ من تضامنهم يعلو ، ولايعتره الدهر عدوان
سدٌ ويفتتح الأبواب عن سعة تعطى الرخاء ، فتزهو منه أوطان
من المحيط الى سيف الخليج رؤى خضراء ٠٠ فيها الوجود اليوم ريان (٣)

(١) ديوان البحري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي : ص ٢٠٩ .

(٢) حكايتي مع الأدب ، جريدة المدينة (الاربعاء الاسبوعي) المدينة ٢٥ ذي القعدة / ١٤١٢ .

(٣) عبير الشرق : ص ١٢١

وقوله يمدح الملك خالد بن عبد العزيز حين افتتح مشروع التحلية بالمدينة المنورة :

وجاء حلواً من البحر الأجاج ترى حلتها آلات من ينبوعه العمم ؟
أم أنه أحلو من يد المليك لنا ؟ لنستق الكوثر الجاري من القمم (١)

فهذا أسلوب سطحي نثري لاشاعرية فيه . ومثل ذلك لديه كثير .

ومن ضعف أبياته الحشو في القافية أو إضافة جملة منفرة في متن الحديث يقطع وحدة البيت - أحياناً - كقوله : -

بعد افتراق بكيد الطامعين - وهم مستعمرونا . . . وقد ذلوا بما جاؤا (٢)

فجملة (وهم مستعمرونا) إستئنافية نافرة ليست في محلها . وقوله :

وأنتم القدر الموعود ينقذنا به تدول تماثيل وأعداء (٣)

وكقوله : أنا الفها - أواه إن خسف القمر محرومة - أما أنا فقد انتهيت (٤)

ومثل هذه الأمثلة كثيرة عنده .

أما الحشو في القافية فتأتي غالباً - متممة للبيت ، حشوية معتسفة كقوله : -
في كل يوم لها حسن به جلوة لاتحسوها . . فهذي فتنة القوة (٥)

فما المعنى من قوله (القوة) ؟ غير أنه أتى بها لإتمام البيت وإقامة القافية .

ومثل هذه القافية المحشوة كثير في شعره وقد أشير الى ذلك في التشكيل الشعري لديه . ويأتي الضعف أحياناً من هبوط الصياغة والتعبير كقوله :

فكفك هجراني كآني أحتضر يافطم كاد ربيع عمري يندثر (٦)

فجملة (كآني أحتضر) أسلوب ضعيف مبالغ فيه ، والجملة في حد ذاتها غير موفقة ، فالاحتضار لا يتوافق مع التشبيه بحالته من بعدها ، وإضافة كآني أضعفت

(١) الأربعون : ص ١٠٨ .

(٢) ترانيم الصباح : ص ٢٣ .

(٣) السابق : ص ٧٠ .

(٤) الأعمال الشعرية : ص ١٥٥ .

(٥) ترانيم الصباح : ص ٧٠ .

(٦) وحي وقلب والحان : ص ٤٦ .

المعنى القوي في كلمة (احتضار) . ومثله قوله :
وأنت الوعر في فكري توالى
(١) وأنت السهل يلحف في الوعيد

فكلمتا (الوعر ، السهل) غير متناسبة ، وليستا من ضمن المعاني الجميلة التي
أسندها الى الحبيبة في تدفق عاطفي .

وقوله :

همت أشكوجواها فأعطانها غُرِّبت . أن قلبي بها قد رحل
(٢)

فجملة (أعطانها غرِّبت) ليست لائقة في بيت عاطفي ، فان الأعطان لا تكون الا
للإبل .

وله بعض الأبيات ضعيفة التركيب كقوله :

فإن العمر أزه حينما كا ن موصولاً بها طراً الإهاب
فيا نفسي علالتك البكاريد ثما تصفو الكئوس من الشراب
(٣)

وهكذا تأتي بعض أساليبه في ضعف وحشو وابتذال ، كما أن شعره في الغالب
مجرد تشكيل وزخرفة وتكرار لمعنى واحد ، يتكرر لديه المعنى بشتى الصور والتلوين الذي
عرف به ، يحكم ذلك التدفق العاطفي المفرط .

(١) وحي وقلب والحان : ص ٦٠ .

(٢) السابق نفسه : ص ٦٣ .

(٣) السابق : ص ٥٤ .



الخاتمة

الخاتمة

تتاول البحث شعر عبد السلام هاشم حافظ بالدراسة والتحليل ، محاولاً الكشف عن خصائص شعره ، ولوحظ أن شعره خلاصة لتجاربه الشخصية ومعاناته في الحياة ، ولقد كَوَّن الشاعر لنفسه شخصية متميزة متفردة ملاكها الشكوى والأين ونبرة الألم التي كان لها أسباب سبق ذكرها في الدراسة ، واتخذ من أكثر شعره صورة لحياته تعكس ظللاً منها فظهرت مليئة بمعاني الألم والعذاب نتيجة لظروف حياته الخاصة . فهو شاعر ذاتي وجداني بالدرجة الأولى ، كثر لديه الحديث عن الذات وألم النفس والحرمان والداء ، كما ارتبط كثير من شعره الآخر بهذا الحديث الذاتي ، ولهذا جرى تقديم هذا الفصل الخاص بالذاتية ، أقيم بغية تكوين صورة واضحة ، وتقديم إضاءات لخصائص شعره الآخر ، وتبين في هذا الفصل نزوع الشاعر الى المذهب (الرومانتيكي) انسجماً وتوافقاً مع أحداث حياته وتقلباتها ، مما أعطى لشعره خصيصة ، وهي غلبة الذات على الموضوع ، فقد مال بتوجهاته الوطنية الى ذاتيته ، ونظم في القصة والمسرحية فكانت وجهاً آخر من أوجه التعبير عن الذات ، وأصبح شعره بجميع جوانبه مترابط الاتجاه ، يكوِّن حصيلة معاناته في الحياة ، فهو شاعر مغرق في ذاته .

ومن هنا أقيمت بقية الفصول تتلمس سمة الخصوصية وبرزت الذات ، وتبين وجود رابط وشيخ يربطها ببعض ، ففي مجملها تسير في خط واحد ، تصدر عن ذات أليمة ، وتفيض بمشاعر الحزن والألم ، وتعبر عن انطباع وتفاعل مع الدنيا والكون والناس ... فقد أتخذ المرأة ملجأً له وراحة مما يعاني وقد حظيت بمكانة كبيرة في شعره ، تحدث عنها بإسهاب ، وأكثر من شعر الغزل والبحث عن الجمال وتلمسه في كل شيء ، مما يدل على أنه نوع من التعويض عن الحرمان وضياح الأمانى .

وجاءت تأملاته انطباعية ، لم تعط رؤية فلسفية لحقيقة الكون والدنيا والحياة من حوله - الا نادراً - فقد اتصلت تأملاته بنفسيته ، وبرزت تقلباتها من خلال رسم صور مختلفة متفاوتة لاتستقر على حال .

وجاءت كثير من موضوعات شعره لصيقة بحياته ونفسيته ، فظهر إبداعه في الموضوع الوثيق الصلة بحياته ، ومادون ذلك يخرج عن الإبداع .

واتسم شعره الوطني بسمة خاصة يدل على مقدرة الشاعر في صوغ تعابير حماسية جميلة ملحنة يمكن غناؤها ، وتختلط الرومانتيكية بواقع أمته - أحياناً - وأكثر شعره حزين باك ، لأنه يصور خوالج النفس ومعاناة القلب ، وتبدو سمة الاشراق في أنحاء قليلة من شعره وخاصة الأسري منه ، وهو نوع من التسرية عن النفس ونسيان هموم الحياة بلحظات السعادة المؤقتة ، وعلى الغالب فالتأمل والمرأة والوحدة والانشغال بهموم الأمة والآخرين وغير ذلك كلها طرق للفكك من حالات الضيق والسأم التي يعيشها . واللجوء الى الله تعالى من أهم الطرق ، فقد كشف الجانب الديني عن سريان هذه الروح في أكثر شعره ، لأن الشاعر يحصر نفسه في إطار المناسبة ليلجأ الى الله في عرض شكواه وآلامه ، فهذه الأمور حددت ملامح شعره وكشفت عن خصائصه ، كما أقيمت الدراسة على عدة فصول كان الأخير منها ، الدراسة الفنية لشعره ، خرج البحث منها الى القول إن أسلوب أداء الشاعر وإجتهاداته في التلوين والتشكيل الشعري وتكرار ألفاظ بعينها ، وطرائقه في رسم صور بلاغية ، ووجود أساليب خاصة به . . . كل ذلك مرده عامل نفسي في المقام الأول ، فشعر عبدالسلام حافظ ذاتي وجداني انطباعي . . . وهذه الدراسة أقيمت على شعره وهو نصف الإنتاج ، ويمكن لمن يريد ، أن يتلمس تلك الخصيصة في نتاجه الآخر المتمثل في كتبه ومؤلفاته النظرية الأخرى ، التي لا يستبعد أن تكون هي الأخرى قريبة الى حياته الخاصة ، لصيقه بنفسيته . وأخيراً أتمنى أن أكون وفقت الى توضيح بعض ما قصدت اليه .

والله الموفق والمستعان



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

(أ) دواوين الشاعر

- ١ - « الأعمال الشعرية الكاملة » . الجزء الأول ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . ويشمل :
 - مذبج الأشواق : طبعته الأولى عام ١٣٧١ هـ .
 - راهب الفكر : طبعته الأولى عام ١٣٧٤ هـ .
 - صواريخ ضد الظلم والاستعمار : طبعته الأولى عام ١٣٧٦ هـ .
 - أضواء ونغم : طبعته الأولى عام ١٣٨٢ هـ .
 - الفجر الراقص : طبعته الأولى عام ١٣٨٣ هـ .
- ٢ - « الأربعون » . عبد المقصود محمد سعيد خوجة / جدة . الطبعة الأولى عام ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٣ - « أغنيات الدم والسلام » . مكتبة الخانجي ، عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- ٤ - « أنوار ذهبية » . مطبوعات نادي القصيم الأدبي / بريدة . عام ١٣٨٧ هـ .
- ٥ - « ترانيم الصباح » . مطبوعات نادي الطائف الأدبي . الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٦ - « تلميذتي » (شعر وقصة) . دار الصحافة العربية للنشر والطباعة والتوزيع / المدينة المنورة عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٧ - « سمراء » . دار الصحافة العربية للنشر والطباعة والتوزيع / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٨ - « عبير الشرق » . دار التراث . الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، دار الثقة العربية للطباعة .
- ٩ - « وحي وقلب وألحان » . مطبوعات نادي أبها الأدبي ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(ب) كتب ودواوين شعرية

- ١٠ - أبو بكر ، عبد الرحيم / الشعر الحديث في الحجاز ، دار المريخ للنشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

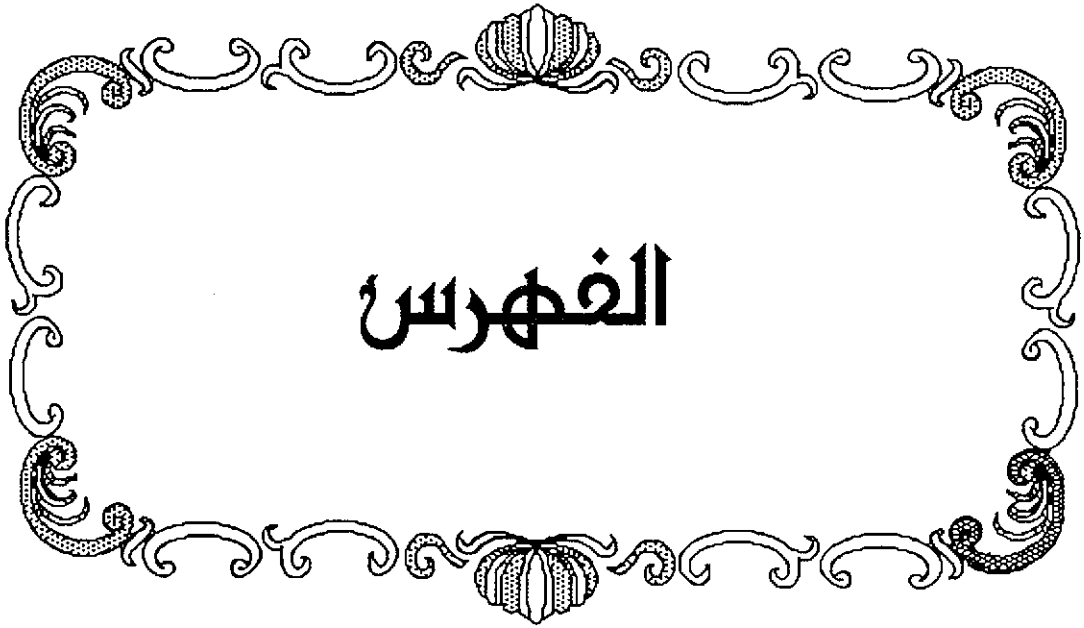
- ١١ - أبو العزم ، طلعت / الرؤية الرومانسية للمصير الأنساني لدى الشاعر العربي الحديث ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الاسكندرية ، ١٩٨١ م .
- ١٢ - اسماعيل ، د. عز الدين / الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار
العودة - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ م .
- ١٣ - اسماعيل ، د . كمال محمد / الشعر المسرحي في الأدب المصري المعاصر ، تقديم :
د . عبد المنعم اسماعيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ م .
- ١٤ - أمين ، د . بكري شيخ / الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ،
الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .
- ١٥ - أنيس ، د . ابراهيم / موسيقى الشعر . دار القلم ، بيروت - لبنان ، الطبعة
الرابعة ١٩٧٢ م .
- ١٦ - البغدادي ، د . مريم / المدخل في دراسة الأدب ، تهامة - جدة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ١٧ - جعفر ، قدامة / نقد الشعر ، تحقيق وتعليق : د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب
العلمية ، بيروت - لبنان .
- ١٨ - الجوهري ، أبو نصر اسماعيل بن حماد / عروض الورقة ، تحقيق وتقديم : د . صالح
جمال بدوي ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١٩ - الجيار ، د . مدحت / الشعر غاياته ووسائله « نص كتاب المازني مع دراسة وتحليل » دار
الصحوة للنشر ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م .
- ٢٠ - حافظ ، عبد السلام هاشم / من ثمرات الكتب بين النقد والتحليل (في محراب الفكر)
الجزء الأول ، نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٢١ - الحامد ، د . عبدالله / اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، مطابع
مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٢٢ - الحامد ، د . عبدالله / فصول حول الأدب ، مطابع مؤسسة الجزيرة العربية للصحافة
والطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٢٣ - الحامد ، د . عبدالله / في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، مطابع حنيفة
للأوقست بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .
- ٢٤ - حكيمي ، الشيخ حافظ بن أحمد / معارج القبول في شرح سلم الوصول الى علم الأصول
في التوحيد . دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى .
- ٢٥ - الربيعي ، د . محمود / قراءة الشعر ، مكتبة الزهراء ١٩٨٥ م .

- ٢٦ - الساسي ، د. عمر الطيب / الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، تهامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٢٧ - الشايب ، د. أحمد / الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- ٢٨ - الشكعة ، د. مصطفى / الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٨٦ م .
- ٢٩ - ضيف ، د. شوقي / الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة .
- ٣٠ - العوادي ، د. عدنان حسين / لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ١٩٨٥ م .
- ٣١ - فهمي ، د. ماهر حسن / تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٢ - الفوزان ، د. ابراهيم فوزان / الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٣ - القط ، د. عبد القادر / الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٤ - قطب ، سيد / النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٣٥ - كرو ، أبو القاسم محمد / الشبابي حياته وشعره ، الدار العربية للكتاب ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .
- ٣٦ - مريدن ، د. عزيزة / القصة الشعرية في العصر الحديث ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ٣٧ - المقدسي ، أنيس / الإتجاهات الأدبية ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ١٩٨٢ م .
- ٣٨ - الهاجري ، سحيمي ماجد / القصة القصيرة في المملكة ، النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٣٩ - الهاشمي ، السيد أحمد / ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٤٠ - هلال ، د. محمد غنيمي / الرومانتيكية . دار العودة - بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٨١ م .

- ٤١ - هلال ، د . محمد غنيمي / النقد الأدبي الحديث ، دار العودة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .
- ٤٢ - هيكل ، د . أحمد / الأدب القصصي والمسرحي في مصر ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م .
- ٤٣ - « ديوان ابن الرومي » تحقيق : د . حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث ١٩٧٤ م .
- ٤٤ - « ديوان امرئ القيس » تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .
- ٤٥ - « ديوان بشار بن برد » مقدمه وشارحه ومكملة : السيد محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- ٤٦ - « ديوان البحتري » تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية .
- ٤٧ - « ديوان جرير » دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- ٤٨ - « شرح ديوان المتنبي » وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
- ٤٩ - « الشوقيات » دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٥٠ - « ديوان علي محمود طه » دار العودة . بيروت ١٩٨٢ م .
- ٥١ - « قصيدة بلقيس » منشورات نزار قباني ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م .

(ج) الدوريات

- ٥٢ - المجلة العربية ، العدد (١٣١) السنة (١٢) نوالحجة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، المملكة العربية السعودية .
- ٥٣ - جريدة المدينة (الأربعماء الأسبوعي) ٢٥ ذي القعدة ١٤١٢ هـ ، جدة - المملكة العربية السعودية .
- ٥٤ - جريدة الشرق الأوسط (جريدة العرب الدولية) - لندن ، السبت ١١ المحرم ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢/٧/١١ م ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٤٩٧٤ .



الفهرس

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
٧ - ٥	المقدمة
٢٧ - ٩	تمهيد :
٩	- عبد السلام هاشم حافظ (صورة حياة)
١٦	- أعماله ومؤلفاته
٢٠	- مفهوم الشعر عنده
٢٣	- تأثره ومصادر ثقافته الشعرية
٥٩ - ٢٩	الفصل الأول : حديث الذات : -
٣٣	المعاناة الجسدية
٣٧	الهروب
٤٥	تمني الموت
٥٢	التحدي والصمود
٥٤	التيار الرومانتيكي في شعره
٥٧	بين عبد السلام والشابي
١٠٣ - ٦١	الفصل الثاني : المرأة وشعر الغزل في حياة الشاعر: -
٦٢	١ - التجربة العاطفية .
٨١	٢ - الغزل .
٩٦	٣ - مواقف ونظرات .
١٢٨ - ١٠٥	الفصل الثالث : شعر التأمل : -
١٠٦	١ - تأملات في الحياة والناس .
١١٠	٢ - تأملات في الكون والطبيعة .
١٢٠	٣ - تأملات ونظرات في المحبة .
١٢٥	٤ - تأملات في الشعر والشعراء .

١٥٢ - ١٣٠	الفصل الرابع : شعر المناسبات الاجتماعية : -
١٣٠	١ - الشاعر والأسرة .
١٣٩	٢ - شعر المناسبات العامة :
	المدائح - الرثاء - الاخوانيات
١٨١ - ١٥٤	الفصل الخامس : الشعر الوطني : -
١٥٥	١ - الوطن الخاص .
١٥٩	٢ - الوطن الأم .
٢٠٩ - ١٨٣	الفصل السادس : الشعر الديني : -
١٨٨	١ - الابتهالات والتسابيح .
١٩٢	٢ - المدائح النبوية .
١٩٧	٣ - المناسبات الدينية .
٢٣٩ - ٢١١	الفصل السابع : القصة الشعرية والمسرحية الشعرية .
٢١٤	١ - القصة الشعرية .
٢٢٨	٢ - المسرحية الشعرية .
٣١٣ - ٢٤١	الفصل الثامن : الدراسة الفنية : -
٢٤١	أولاً : الموسيقى والتشكيل الشعري
٢٧٧	ثانياً : المعجم الشعري
٢٨٤	ثالثاً : الصورة الشعرية
٣٠٣	رابعاً : سمات أسلوبية
٣١٥	الخاتمة
٣١٨	المصادر والمراجع
٣٢٣	الفهارس